الفرج بعد الشدة

القاضي التنوخي ج ١

---

[١]

الفرج بعد الشدة للقاضى أبى على الحسن بن أبي القاسم التنوخى (٣٢٧ - ٣٨٤) الاصل مأخوذ عن نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية الجزء الاول منشورات الرضى قم

---

[٢]

الكتاب: الفرج بعد الشدة المؤلف: للقاضي ابي علي المحسن ابن ابي القاسم التنوخي الناشر: منشورات الشريف الرضى - قم عدد الصفحات: الجزء الاول والجزء الثاني ٥١٨ عدد المطبوع: ١٠٠٠ نسخه الطبعة: الثانية المطبعة: امير - قم سنة الطبع: ١٣٦٤

---

[٣]

ترجمة المؤلف قال ابن خلكان: هو أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي. ولدليلة الاحد لاربع بقين من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة. وسمع بها من أبي العباس الاشرم، وأبي بكر الصولي، والحسين بن محمود بن عثمان. ونزل ببغداد وأقام بها وحدث إلى حين وفاته. وكان: سماعه صحيحا وأول سماعه الحديث في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وكان من العلماء الحفاظ، والشعراء المجيدين وفيه يقول أبو عبد الله ابن الحجاج الشاعر: إذا ذكر القضاة وهم شيوخ * تخيرت الشباب على الشيوخ ومن لم يرض لم اصفعه إلا * بحضرة سيدي القاضي التنوخي وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه. له مؤلفات منها: كتاب الفرج بعد الشدة، وكتاب نشوان المحاضرة، وكتاب المستجاد من فعلات الاجواد، وتولى القضاء من قبل أبي السائب عتبة بن عبيد الله في بابل والقصر وما والاهما في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، ثم ولاه الامام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وايذج ورامهرمز وتقلد بعد ذلك أعمالا كثيرة في أماكن مختلفة ومن شعره قوله: قل للمليحة في الخمار المذهب * أفسدت نسك أخي التقي المترهب نور الخمار ونور خدك تحته * عجبا لوجهك كيف لم يتلهب وجمعت بين المذهبين فلم يكن * للحسن عن مذهبهما من مذهب فإذا أتت عين لتسرق نظرة * قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

---

[٤]

وكتب رحمه الله تعالى إلى بعض الرؤساء في شهر رمضان: نلت في ذا الصيام ما ترتجيه * وكفاك الاله ما تتقيه أنت في الناس مثل شهرك في الاشهر * بل مثل ليلة القدر فيه ومن شعره في بعض المشايخ وقد خرج ليستقي، وكان في السماء سحاب فلما دعا أصحت السماء فقال أبو علي خرجنا لنستسقي بيمن دعائه * وقد

كان هدب الغيم أن يلحق الارضا فلما ابتدا يدعو تكشفت السما * فما تم إلا والغمام قد انقضا وكانت وفاته رحمه تعالى ببغداد ليلة الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب الحمد لله الذى جعل بعد الشدة فرجا، ومن الضيق سعة ومخرجا، ولم يخل محنة من منحة، ولا نقمة من نعمة، ولا نكبة ورزية، من موهبة وعطية، وصلى الله على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين. (أما بعد): فانى لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها بين خير وشر، ونفع وضر، ولم يكن لهم في أيام الرخاء، أنفع من الشكر والثناء، ولا في أيام البلاء، أنجع من الصبر والدعاء، لان من جعل الله عمره أطول من محنته، فانه سيكشفها عنه بطوله ورأفته، فيصير ما هو فيه من الاذى، كما قال بعض من مضى، ويروى للاغلب العجلى أو غيره: الغمرات ثم ينجلينا * ثمت يذهبن فلا يجينا وطوبى لمن وفق في الحالين، للقيام بالواجبين. وجدت من أقوى ما يفزع إليه، من أناخ الدهر بمكروهه عليه، قراءة الاخبار التى تلبئ عن تفضل الله عزوجل على من حصل قبله في محصله، ونزل به مثل بلائه ومعضله، بما أتاخه الله تعالى له من صنيع أسهل به الارزاق، ومعونة حل بها الخناق، ولفظ غريب نجاه، وفرج عجيب أنقذه وتلافاه، وإن خفيت من ذلك الاسباب، ولم يبلغ ما حدث منه الفكر والحساب، فان في معرفة الممتحن بذلك تشحيذ بصيرته للصبر، وتقوية عزيمته على التسليم لله مالك كل أمر، وتصويب رأيه في الاخلاص، والتفويض إلى من بيده ملك النواص، وكثيرا إذا علم الله تعالى من وليه وعبده، انقطاع آماله إلا من

عنده، لم يكله إلى سعيه وجهده، ولم يرض له باحتماله وطوقه، ولم يخله من عنياته ورفقه، وأنا بمشيئة الله تعالى جامع في هذا الكتاب، أخبارا من هذا الجنس والباب، أرجو به انشراح صدور ذوى الالباب، عند ما يدهمهم من شدة ومصاب، إذ كنت قد قاسيت من ذلك في محن دفعت إليها ما يحنو بى على الممتحنين، ويحدو بى على بذل الجهد في تفريج غموم المكروبين، وكنت قد وقفت في بعض محنى على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن على بن محمد المدايني، وسماها: " كتاب الفرج بعد الشدة والضيق " وذكر فيها أخبارا تدخل جميعها في هذا المعنى فوجدتها حسنة ولكنها لقلتها نموذج صغير، ولم يأت بها مؤتلفة، ولا سلك بها سبيل الكتب المصنفة، ولا الابواب الواسعة المؤلفة، مع اقتداره على ذلك، ولا أعلم غرضه في التقصير، ولعله أراد أن ينهج طريق هذا الفن من الاخبار، ويسبق إلى فتح الباب فيه بذلك المقدار، وينقل جميع ما عنده فيه من الآثار. ووقع إلى كتاب لابي بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا قد سماه: " كتاب الفرج بعد الشدة ". في نحو عشرين ورقة والغالب فيه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وأخبار عن الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى يدخل بعضها في معنى طلبته، ولا يخرج عن قصده وبغيته وباقيها أحاديث وأخبار في الدعاء والصبر، والارزاق، والتوكل، والتعرض، للشدائد بذكر الموت، وما يجرى مجرى التعازى ويتسلى به عن طوارق الهموم، ونوازل الاحداث والغموم، ويستحق عليها من الثواب في الاخرى، مع التمسك بالحزم في الاولى. وهو عندي خال من ذكر فرج بعد شدة، غير مستحق أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن، وضمن الكتاب نبذا قليلة من الشعر، وروى فيه شيئا يسيرا جدا مما ذكره

المدايني، إلا أنه جاء به بلا اسناده له الا عن المدايني. وقرأت أيضا كتابا للقاضى أبى لحسين عمر بن القاضى أبى عمرو محمد بن يوسف القاضى رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة قد سماه: " كتاب الفرج بعد الشدة ". أودعه أكثر ما رواه المدايني وجمعه وأضاف إليه أخبارا أخر

أكثرها حسنة وفيها ما هو غير مماثل عندي لما عناه، ولا مشاكل لما نحاه، وأتى في أثنائها بأبيات شعر يسيرة، من معادن لا مثالها جمة كثيرة، ولم يلم بما أورده ابن أبى الدنيا، ولا أعلم تعمد ذلك أم لم يقف على الكتاب ؟ ! ووجدت أبا بكر ابن أبى الدنيا والقاضى أبا الحسين لم يذكرا للمدايني كتابا في هذا المعنى، فان لم يكونا عرفا هذا فهو طريف، وان كانا تعمدا ترك ذكره تثقيفا لكتابيهما وتغطية على كتاب الرجل فهو أطرف، ووجدتهما قد استحسنا استعارة لقب كتاب المدايني على اختلافهما في الاستعارة، وحيدهما عن أن يأتيا بجميع العبارة، فتوهمت أن كل واحد منهما لما زاد على قدر ما أخرجه المدايني اعتقد أنه أولى منه بلقب كتابه، فان كان هذا الحكم ماضيا، والصواب به قاضيا، فيجب أن يكون من زاد عليهما أيضا فيما جمعاه أولى منهما بما تعبا في تصنيفه ووضعاه، فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوى من هذا الفن على أكثر مما جمعه القوم، وأبين للمعنى، واكشف وأوضح وان خالف مذهبهم في التصنيف، وعدل عن طريقهم في الجمع والتأليف، فانهم نسقوا ما أوعدوه كتبهم جملة واحدة، وربما صادقت مللا من سامعها، أو وافقت سآمة من الناظرين فيها، فرأيت أن أنوع الاخبار واجعلها أبوبا، ليزداد من يقف على الكتب الاربعة بكتابي من بينها اعجابا، وأن أضع ما في الكتب الثلاثة في مواضعه من أبواب هذا الكتاب، إلا ما اعتقد أنه يجب ان لا يدخل فيه، وأن تركه وتعديه أصوب وأولى. والتشاغل بذكر غيره مما هو أدخل في هذا المعنى ولم يذكره القوم أليق وأحرى، وأن أعزو ما أخرجه مما في الكتب الثلاثة إلى مؤلفيها تأدية للامانة، واستيثاقا في الرواية، وتبيينا لما آتى به من الزيادة، وتنبيها على موضع الافادة، فاستخرت الله عزوجل ذكره، وبدأت بذلك في هذا الكتاب ولقبته بكتاب: " الفرج بعد الشدة ". تيمنا لقارئه بهذا المقال، وليستسعد في ابتدائه بهذا الفال، ولم أستبشع إعادة هذا اللقب، ولم احتشم تكريره على ظهور الكتب، لانه قد صار جاريا مجرى تسمية رجل ابنه محمدا أو محمودا، أو سعدا، أو مسعودا، وليس لقائل مع التداول لهذين الاسمين أن يقول لمن سمى بهما الآن: انك انتحلت هذا

الاسم أو سرقته. ووجدتني متى أعطيت كتابي هذا حقه من الاستقصاه، وبلغت به حده في الاستيفاء، جاء في ألوف أرواق لطول ما مضى من الزمان وان الله سبحانه وتعالى بحكمته أجرى فيه أمور عباده منذ خلقهم، وإلى أن يقبضهم على التقلب بين شدة ورخاء، ورغد وبلاء، وأخذ وعطاء، ومنع وصنع وضيق ورحب، وفرج وكرب، علما منه تعالى بعواقب الامور، ومصلحة الكافة والجمهور، فأخبار ذلك كثيرة المقدار، عظيمة الترداد والتكرار، وليست كلها بمستحسنة ولا مستفادة، ولا مستطابة الذكر والاعادة، فاقتصرت على أحسن ما رويته من هذه الاخبار، وأصح ما بلغني في معانيها من الآثار، واملح ما وجدت في فنونها من الاشعار، وجعلت قصدي إلى الابجاز والاختصار، واسقاط الحشو وترك الاكثار وان كان المجتمع من ذلك جملة يستطيلها الملول، ولا يتفرغ لقرائتها المشغول، وأنا راغب إلى

من يصل كتابي هذا إليه، وينشط للوقوف عليه، أن يصفح عما يعثر به من زلل، ويصلح ما يجد فيه من خطأ أو خلل، والله اسأل السلامة من المعاب، والتوفيق لبلوغ المحاب والارشاد إلى الصواب، ويفعل الله ذلك بكرمه انه جواد وهاب.

الباب الاول فيما أنبأ الله تعالى به في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وقوله الحق اليقين بسم الله الرحمن الرحيم: (ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذى انقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك * فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب (١) فهذه السورة كلها مفصحة باذكار الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم منته عليه في شرح صدره بعد الغم والضيق ووضع وزره عنه، وهو الاثم بعد انقاض الظهر، وهو الثقل الذى أثقله لنقض العظام كما ينتقض البيت إذا صوت للوقوع. ورفع جل جلاله ذكره بعد أن لم يكن بحيث جعله مذكورا معه، والبشارة له في نفسه عليه الصلاة والسلام وفى أمته بأن مع اليسر الواحد يسرين إذا رغبوا إلى الله تعالى ربهم وأخلصوا له طاعاتهم ونياتهم وقال الله تعالى: (سيجعل الله بعد عسر يسرا (٢) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه (٣) وقال جل ثناؤه: (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه - إلى قوله - اعلم أن الله على كل شئ قدير (٤) فأخبر الله تعالى ان الذى مر على القرية استبعد أن يكشف الله عنها وعن أهلها البلاء بقوله: (أنى يحيى هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه) إلى آخر القصة فلا شدة أشد من الموت والخراب، ولا فرج أفرج من الحياة أو العمارة. فأعلمه الله تعالى بما فعله به أنه لا يجب أن يستبعد فرجا من الله وصنعا كما عمل به، وانه قادر على أن يحيى القرية وأهلها كما أحياه الله تعالى فأراه بذلك آياته ومواضع صنعه وقال جل ثناؤه: (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه (٥)

---

(١) الشرح ١ - ٨. (٢) و (٣) الطلاق ٧ و ٢ - ٣ (٤) البقرة ٢٥٩ (٥) الزمر ٣٦

وقال سبحانه: (وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون (١) وقال جل من قائل: (هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (٢) وقال جل من قائل (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجينا من هذه لنكونن من الشاكرين * قال الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (٣) وقال جل ثناؤه: (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (٤) وقال جل ذكره: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٥) وقال جل من

قائل: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خالفاء الارضءاله مع الله قليلا ما تذكرون (٦) وقال تعالى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (٧) وقال تعالى: (وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد * فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (٨)) وقال تعالى: (وإذا سألك عبادي عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون (٩) وقال تعالى: (ولنبولنكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبه قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من

---

(١) و (٢) يونس ١٢ و ٢٢ (٣) الانعام ٦٣ و ٦٤ (٤) إبراهيم ١٣ و ١٤ (٥) القصص ٥ و ٦
(٦) النحل ٦٢ (٧) المؤمن ٦٠ (٨) المؤمن ٤٤ و ٤٥ (٩) البقرة ١٨٦

ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (١) وقال عز من قائل: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (٢) وروى عن الحسن البصري رضى الله تعالى عنه أنه قال: عجبا لمكروب غفل عن خسم وقد عرف ما جعل لمن قالهن. قوله: (ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع إلى - قوله - هم المهتدون (٣) وقوله تعالى: (وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد * فوقاه الله سيئات ما مكروا (٤) وقوله تعالى: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٥) وقوله: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم - إلى قوله - والله ذو فضل عظيم (٦) وقوله تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر - إلى قوله - وذكرى للعابدين (٧)) وروى عن الحسن البصري رضى الله عنه أيضا أنه قال: من لزم قراءة هذه الآيات في الشدائد كشفها الله تعالى عنه، لانه قد وعد وحكم فيهن بما جعله لمن قالهن وحكمه تعالى لا يبطل، ووعده لا يخلف. وقد ذكر تعالى فيما قصه من أخبار الانبياء شدائد ومحنا استمرت على جماعة منهم وضروبا جرت عليهم من البلاء فأعقبها بفرج وتخفيف، وتداركهم منها بصنع جليل لطيف. فأول ممتحن منهم آدم عليه السلام أبو البشر فان الله جل جلاله خلقه في الجنة وعلمه الاسماء كلها وأسجد الملائكة له، ونهاه عن أكل الشجرة. فوسوس له الشيطان، فكان منه ما قاله الرحمن في محكم القرآن: (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (٨) هذا بعد أن أهبطه من الجنة إلى الارض

---

(١) البقرة ١٥٥ - ١٥٧ (٢) آل عمران ١٧٣ و ١٧٤ (٣) البقرة ١٥٥ (٤) المؤمن ٤٤ و ٤٥
(٥) الانبياء ٨٧ (٦) آل عمران ١٧٣ (٧) الانبياء ٨٣ (٨) طه ١١٨

وأفقده لذيذ ذلك الخفض، فانتقضت عادته، وغلظت محنته، وقتل أحد ابنيه الآخر، وكانا أول أولاده. فلما طال حزنه وبكاؤه، واتصل استغفاره ودعاؤه، رحم الله تذلله وخشوعه، واستكانته ودموعه، فتاب عليه

وهداه وكشف ما به ونجاه فكان آدم صلى الله عليه وسلم أول من دعا فأجيب، وامتحن فأثيب، وخرج من ضيق وكرب، إلى سعة ورحب، وسكن همومه، ونسى غمومه، وأيقن بتجديد الله تعالى له النعم، وإزالته عنه النقم، وانه تعالى إذا استرحم رحم، فأبدله الله تعالى هذا بتلك الشدائد، وعوضه بدل الابن المفقود والابن العاق الموجود نبى الله شيثا عليه السلام وهو أول أولاده البررة بالوالدين، ووالد النبيين والصالحين، وأبو الملوك الجبارين وجعل ذريته هم الباقين وخصهم من النعم بما لا يحيط به وصف الواصفين وقد جاء في القرآن من الشرح لهذه الجملة والبيان، مالا يحتمل ذكره هذا المكان، وقد روى فيه من الاخبار، مالا وجه للاطالة به والاكثار. ثم نوح عليه السلام فانه امتحن بخلاف قومه عليه، وعصيان ابنه له، والطوفان العام، وركوب السفينة وهى تجرى بهم في موج كالجبال، واعتصام ابنه بالجبل وتأخره عن الركوب معه. فقاسى نوح بذلك الشدائد، فأعقبه الله تعالى الخلاص من تلك الاهوال بالتمكين له في الارض، وبغيض الطوفان وجعله شبه آدم عليه الصلاة والسلام، لانه أنشأ منه ثانيا جميع البشر كما أنشأهم أولا من آدم فلا ولد لآدم إلا من نوح عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون، ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين، وتركنا عليه في الآخرين (١). (ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم (٢) ثم ابراهيم صلى الله عليه وسلم، وما وقع له من كسر الاصنام، وما لحقه من قومه من محاولة احراقه، فجعل الله النار عليه بردا وسلاما.

---

(١) الصافات ٧٥ - ٧٨ (٢) الانبياء ٧٦ (*)

وقال تعالى: (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين (١) ثم اقتص قصته في قوله تعالى: (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا: يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم * وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين * ونجيناه ولوطا إلى الارض التى باركنا فيها للعالمين * - إلى قوله تعالى - وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا (٢) وما كلفه الله تعالى إياه من مفارقة وطنه بالشام لما غارت عليه سارة من أم ولده هاجر، فهاجر بها وبابنه منها اسماعيل الذبيح عليه السلام فأسكنهما بواد غير ذى زرع، نازحين بعيدين منه، حتى أنبع الله عزوجل لهما الماء، وتابع عليهما النعماء، وأحسن لابراهيم فيهما الصنع. والفائدة النفع. وجعل لاسماعيل النسل والنبوة والعدد والملك هذا بعد أن كان أمر سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام أن يجعل ابنه اسماعيل لسبيل الذبح. قال الله تعالى فيما اقتصه من ذكره في سورة الصافات: (فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بنى إنى أرى في المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين (٣) فلا بلاء أعظم من بلاء شهد الله جل ثناؤه أنه بلاء مبين، وهو تكليف إنسان أن يجعل سبيل الذبح ابنه وتكليفه هو والمذبوح أن يؤمنا ويصبرا ويسلما ويحتسبا. فلما أديا ما كلفا من ذلك وعلم الله جل جلاله منهما صدق الايمان، والصبر، والتسليم، والاذعان، فدى الابن بذبح عظيم، وخصلهما من تلك الشدائد الهائلة ومن هذا الباب قصة لوط عليه السلام لما نهى قومه عن الفاحشة فعصوه وكذبوه، وتضييفه الملائكة عليهم السلام فطالبوه بما طالبوه

---

(١) الانبياء ٥١ (٢) الانبياء ٦٨ - ٧٢ (٣) الصافات ١٠١ - ١٠٨

فخسف الله تعالى بهم أجمعين، ونجى لوطا وأثابه ثواب الشاكرين، وقد نطق بهذا كلام الله العظيم في مواضع من الذكر الحكيم ويعقوب ويوسف عليهما السلام، فقد أفرد الله تعالى بذكر شأنهما وعظم بلواهما وامتحانهما سورة محكمة بين فيها حسد إخوة يوسف له على المنام الذى بشره الله فيه بغاية الاكرام، حتى طرحوه في الجب فخلصه الله تعالى منه بمن أدلى الدلو ثم استعبد، فألقى الله عزوجل في قلب من صار إليه إكرامه واتخاذه ولدا، ثم مراودة امرأة العزيز إياه عن نفسه، وعصمة الله له منها وكيف جعل عاقبته بعد الحبس إلى ملك مصر، وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء وما لحق إخوة يوسف من التسريق وحبس أحدهم نفسه حتى يأذن له أبوه، أو يحكم الله له، وكيف أنفذ يوسف عليه السلام إلى أبيه عليه السلام قميصه حتى رده الله عز وجعل به بصيرا، وجمع بينهم وجعل كل واحد منهم بالنعمة مرسورا. وأيوب عليه السلام وما امتحن به من الاسقام وعظم اللاواء، والدود، والادواء، وقد جاء القرآن الكريم بذكره، ونطقت الاخبار بشرح أمره قال الله تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثله معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (١) ويونس عليه السلام وما اقتص الله عزوجل من قصته في موغير موضع من كتابه العزيز ذكر فيها التقام الحوت له وتسبيحه في بطنه وكيف نجاه الله تعالى وأعقبه بالرسالة والصنع قال الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين، إذ ابق إلى الفلك المشحون، فساهم فكان من المدحضين - إلى

---

(١) الانبياء ٨٣

قوله - فمتعناهم إلى حين (١)) ومنها قوله (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٢) قال بعض المفسرين معنى: أن لن نقدر عليه أي نضيق عليه وهذا مثل قوله تعالى: (ومن قدر عليه رزقه (٣) أي من ضيق عليه رزقه ومثل قوله تعالى: (قل) إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين (٤) وقد جاء قدر في القرآن بمعنى ضيق في مواضع كثيرة. ومن هذا قيل للفرس الضيق الخطو فرس أقدر. لانه لا يجوز أن يهرب من الله تعالى نبى من أنبيائه، ومن ظن أن الله تعالى لا يقدر عليه أي لا يدركه، وأنه يعجز الله هربا فقد كفر. والانبياء عليهم السلام أعلم بالله سبحانه من أن يظنوا فيه هذا الظن الذى هو كفر. وقد روى أنه من أدام قراءة (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين - إلى قوله - ننجي المؤمنين (٥)) في الصلاة وغيرها في أوقات شدائده عجل الله له الفرج، وأنا أحد من واظبتها في نكبة عظيمة لحقتني يطول ذكرها عن هذا الموضع وقد كنت حبست وهددت بالقتل، ففرج الله سبحانه وتعالى عنى وأطلقت في اليوم التاسع من حين قبضت. وموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فقد نطق القرآن بقصه في غير موضع منها قوله تعالى: (وأوحينا

إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافى ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين * - إلى قوله - ولكن أكثرهم لا يعلمون (٦)) فلا شدة أعظم من أن يبتلى الناس بملك يذبح أبناءهم، حتى ألقت أم موسى ابنها في البحر،

---

(١) الصافات ١٣٩ - ١٤٨ (٢) الانبياء ٨٧ (٣) الطلاق ٧ (٤) سبأ ٣٩ (٥) الانبياء ٨٨ (٦) القصص ٧ - ١٣

---

[١٦]

ولا شدة أعظم من حصول طفل في بحر فكشف الله سبحانه ذلك عنه بالتقاط آل فرعون له، وما ألقاه في قلوبهم من الرأفة عليه حتى استحبوه، وحرم عليه المراضع حتى رده إلى أمه وكشف عنها الشدة في فراقه وعنه الشدة في حصوله في البحر. ومعنى قوله تعالى: (ليكون لهم عدوا وحزنا (١) أي يصير عاقبة أمره معهم إلى عداوته لهم وهذه لا العاقبة كما قال الشاعر: لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكم يصير إلى ذهاب وقد علم أن الولادة لا يقصد بها الموت، والبناء لا يقصد به الخراب وإنما عاقبة الامر فيهما أن يصيرا إلى ذلك. وعلى الوجه الاول قوله تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس (٢) أي عاقبة أمرهم وفعلهم واختيارهم لانفسهم يصيرهم إلى جهنم فيصيرون لها، لا أن الله جل ثناؤه خلقهم لقصد تعذيبهم بالنار في جهنم عز الله تعالى عن الظلم. وقال عزوجل في تمام هذه القصة: (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين، فخرج منها خافا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين (٣) فهذه شدة أخرى كشفها الله تعالى عنه وقال سبحانه وتعالى: (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون - إلى قوله - من خير فقير (٤) فهذه شدة أخرى لحقته بالاغتراب والحاجة إلى الاضطرار في المعيشة والاكتساب فوفق الله له شعيبا عليه السلام وزوجه ابنته قال الله تعالى في تمام القصة: (فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف. نجوت من القوم الظالمين (٥) ثم أخبر الله تعالى في هذه القصة كيف زوجه شعيب ابنته بعد أن استأجره ثمانى حجج، وانه خرج بأهله من عند شعيب فرأى النار فمضى ليقتبس منها فكلمه الله تعالى وجعله نبيا وأرسله إلى فرعون، فسأله أن

---

(١) القصص ٨ (٢) الاعراف ٢٣ (٣) القصص ٢٠ و ٢١ (٤) القصص ٢٣ و ٢٤ (٥) القصص ٢٥

---

[١٧]

يرسل معه أخاه هارون فشد الله عضده به وجعله نبيا معه، فأى فرج أحسن من فرج من أتى خائفا هاربا فقيرا قد آجر نفسه ثمانى حج فجوزي بالنوبة والملك قال الله تعالى: (وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض، ويذرك وآلهتك. قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون (١) فهذه شدة أخرى لحقت بنى اسرائيل فكشفها الله تعالى عنهم. قال الله تعالى: (وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى في قومي وأصلح (٢). (وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبرا إن الارض لله يورثها من يشاء من

عباده والعاقبة للمتقين * قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويتسخلفكم في الارض فينظر كيف تعلمون (٣) وقال تعالى: (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (٤). فأخبر تعالى عن صنعه لهم وفلقه البحر لبنى إسرائيل حتى عبروه يبسا، واغراقه فرعون لما تبعهم فكل ذلك أخبار عن محن عظيمة انجلت بمنح جليلة لا يؤدى شكر الله عليها ويجب على العاقل تأملها ليعرف كنه تفضل الله بكشف الشدائد وإغاثته بإصلاح كل فاسد لمن تمسك بطاعته، واخلص في خشيته. واصلح من نيته، ليسلك من هذه السبيل، فانها إلى النجاة من المكاره أوضح طريق وأهدى دليل. وذكر سبحانه وتعالى في (والسماء ذات البروج (٥) أصحاب الاخدود، وروى قوم من أهل الملل المخالفة للاسلام عن كتبهم أشياء في ذلك فذكرت اليهود: ان أصحاب الاخدود كانوا دعاة إلى الله تعالى وإن ملك بلدهم أضرم لهم نارا وطرحهم فيها فاطلع الله على صبرهم، وخلوص نياتهم في دينهم وطاعتهم له فأمر النار أن لا تحرقهم فشوهدوا فيها قعودا وهى تضرم عليهم ولا تحرقهم ونجوا منها، وجعل الله دائرة السوء على الملك فأهلكه.

---

(١) الاعراف ١٢٧ (٢) الاعراف ١٤٢ (٣) الاعراف ١٢٨ و ١٢٩ (٤) الاعراف ١٣٧ (٥) البروج ١

وذكر هؤلاء الفوم أن نبيا كان في بنى اسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام بزمان طويل يقال له دانيال، وان قومه كذبوه فأخذه ملكهم بختنصر فقدمه إلى أسدين كان يجوعهما في جب فلما علم الله تعالى حسن اتكاله عليه، وصبره طلبا لما لديه. أمسك عنه أفواه الاسدين حتى قام على رؤسهما برجليه وهى مذللة له غير ضارة فبعث الله تعالى أرميا من الشام حتى خلص دنيال من هذه الشدة وأهلك من أراد هلاك دانيال. وعضدت روايتهم أشياء رواها أصحاب الحديث منها: ما حدثوني عن عبد الله بن أبى الهذيل قال: إن بختنصر جوع أسدين وأطلقهما في جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجاه فمكث ما شاء الله، ثم اشتهى ما يشتهى الآدميون من الطعام والشراب فأوحى الله تعالى إلى أرميا وهو بالشام أن اعدد طعاما وشرابا لدانيال. فقال يا رب: أنا بالارض المقدسة، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق. فأوحى الله إليه أن اعدد ما أمرتك به فسأرسل إليك من يحملك ويحمل ما أعددت ففعل، فأرسل الله إليه من حمله وحمل ما أعد حتى وقف على رأس الجب. فقال دنيال: من هذا ؟ قال: أنا أرميا. قال ما جاء بك ؟ قال: أرسلني اليك ربك. قال: وقد ذكرني ؟ قان نعم. قال دنيال: " الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذى لا يخيب من دعاه، والحمد لله الذى من توكل عليه كفاه، والحمد لله الذى من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاة، والحمد لله الذى هو يكشف ضرنا وكربتنا، والحمد الله الذى هو يقيننا ورجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا، والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا " وقد ذكر الله تعالى في محكم التنزيل الشدة التى جرت على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الاخيار فيما اقتصه من قصة الغار فقال سبحانه وتعالى: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى

اثنين إذ هما في الغار - إلى قوله - والله عزيز حكيم (١)) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خاف أن تلحقه المشركون حين سار عن مكة دخل الغار هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه فاستخفيا فيه فأرسل الله تعالى عنكبوتا فنسج في الحال على باب الغار، وحمامة عششت وباضت وأفرخت للوقت، فلما انتهى المشركون إلى الغار ورأوا ذلك لم يشكوا أنه غار لم يدخله أحد منذ حين، وإن النبي صلى الله عليه وسلم " وأبا بكر رضى الله عنه لير ان أقدامهم ويسمعان كلامهم، فلما انصرفوا وبعدوا وجاء الليل خرجا فصارا نحو المدينة فورداها سالمين. وروى أصحاب الحديث أيضا في شرح حال النبي صلى الله عليه وسلم في المحن التى لحقته من المشركين من شق الفرث عليه، ومحاولة أبى جهل، وشيبة وعتبة ابني ربيعة، وأبى سفيان بن حرب، والعاص بن وائل، وعقبة ابن أبى معيط وغيرهم لعنهم الله تعالى قتله وما كانوا يكاشفونه به من السب، والتكذيب، والاستهزاء، والتأنيب ورميهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون، وقصدهم إياهم غير دفعة بأنواع الاذى، والفضيحة والافتراء، وحصرهم إياه صلى الله عليه وسلم وجمعهم بنى هاشم في الشعب وتخويفهم إياه، وتدبيرهم أن يقتلوه حتى بعد، وبيت على بن أبى طالب رضى الله عنه في مكانه وعلى فراشه ما يطول ذكره واقتصاصه، ويكثر شرحه، ثم أعقبه الله عزوجل من ذلك بالنصر والتمكين، وإعزاز الدين وإظهاره على كل دين، وقمع الجاحدين والمشركين، وقتل أولئك الكفرة المعادين والمعاندين، وغيرهم من المكذبين الكاذبين الذين كانوا عن الحق ناكثين، وبالدين مستهزئين، وللمؤمنين ناصبين متوعدين، وللنبى صلى الله عليه وسلم مكاشفين محاربين، وأذل من بقى منهم بعز الاسلام، بعد أن عاد بإظهاره، وأضمر الكفر في إسراره، فصار من المنافقين الملعونين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) التوبة ٤٠

فهذه أخبار جاءت في آيات من القرآن.. نفع الله بها وينفع بها غير إنسان. وهى تجرى في هذا الباب وتنضاف إليه، وروى عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا (١) ثم يقول: يا أبا ذر: " لو أن الناس كلهم أخذوا بذلك لكفاهم ". حدثنا على بن أبى طالب باسناده قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن بنى فلان أغاروا علي فذهبوا يا بنى وإبلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن آل محمد لكذا وكذا ما في بيتهم مد من طعام فاسأل الله تعالى. فرجع إلى أمرأته فقالت له: ما قال لك ؟ فأخبرها. فقالت: نعم ما ردك إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فما لبث أن رد الله عليه إبله أوفر مما كانت وابنه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمر الناس مسألة الله عزوجل والرجوع إليه والرغبة وقراءة (ومن يتق الله يجعل له مخرجا * يرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا (١). وسئل أبو الدرداء عن هذه الآية (كل يوم هو في شأن (٢) فقال: سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من شأنه يغفر ذنبا، ويكشف كربا، ويرفع أقواما، ويصنع آخرين. وأخبرني محمد بن الحسن بإسناد

طويل قال، سمعت سعيد بن عنبسة يقول: بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصا ويحذف به إذ رجعت حصاة منها عليه فصارت في أذنه فجهدوا بكل حيلة فلم يقدروا على إخراجها فبقيت الحصاة في أذنه مدة وهى تؤلمه فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع قارئا يقرأ

---

(١) الطلاق ٢ و ٣ (٢) الرحمن ٢٩

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه (١)) الآية. فقال الرجل يا رب أنت المجيب وأنا المضطر، فاكشف عنى ضر ما أنا فيه. فنزلت الحصاة من أذنه في الحال. وروى أن أبا عبيدة حصر فكتب إليه عمر رضى اله عنه: مهما نزل بامرئ من شدة يجعل الله بعدها فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وانه يقول عزوجل: (اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (٢)). وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن يونس عليه السلام حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال: " اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إن كنت من الظالمين " فأقبلت الدعوة نحو العرش فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة. قال أما تعرفون ذلك ؟ قالوا: لا يا رب. قال: ذلك عبدى يونس، قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل نرفع له عملا صالحا متقبلا ودعوة مستجابة ؟ قال: نعم. قالوا يا رب: أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاد ؟ قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه بالعراء، وقال أبو صخر: فأخبرني أبو سقيط وأبوه حدثه بهذا الحديث أنه سمع أبا هريرة يقول: طرح بالعراء فأنبت الله عليه اليقطينة. قلنا: وما اليقطينة ؟ قال شجرة الدبا. قال أبو هريرة: وهيأ الله له أرنبة وحشية تأكل من حشائش الارض وتجئ فتفشح عليه وترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت جلده، وقال أمية بن أبى الصلت قبل الاسلام في ذلك شعرا: فأنبت يقطينا عليه برحمة * من الله لو لا الله القى ضاحيا وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام أهوى به إلى قرار البحر فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا وهو في ظلمات ثلاث: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من

---

(١) النمل ٦٢ (٢) آل عمران ٢٠٠

الظالمين (١)) قال الله عزوجل: (فنبذناه بالعراء وهو سقيم (٢)) قال: كهيئة الفرخ الممعوط الذى ليس له ريش. حدثنى فتى من الكتاب البغداديين يعرف بأبى الحسن بن أبى الليث وكان أبوه من كتاب الجند يتصرف مع اشكرون بن سهلان الديلمى أحد الامراء في عسكر معز الدولة بن أحمد بن بويه قال: قرأت في بعض الكتب إذا دهمك أمر تخافه فبت وأنت طاهر، على فراش طاهر، وثيابك كلها طاهرة، واقرأ: (والشمس وضحاها (٣) إلى آخر السورة. سبعا (والليل إذا يغشى (٤)) إلى آخر السورة سبعا ثم قل: " اللهم اجعل لى فرجا ومخرجا من أمرى " فانه يأتيك في الليلة الاولى، أو الثانية إلى السابعة آت في منامك فيقول لك: المخرج منه كذا وكذا. قال فحبست بعد ذلك بسنين حبسة طالت حتى أيست من الفرج -

وكنت قد أنسيت هذا الخبر فذكرته يوما وأنا في الحبس ففعلت ذلك. فلم أر في أول ليلة، ولا في الثانية، ولا في الثالثة شيئا. فلما كان في الليلة الرابعة فعلت ذلك على الرسم فرأيت في منامي كأن قائلا يقول لى خلاصك على يدى على بن إبراهيم. فأصبحت من غد متعجبا ولم أكن أعرف رجلا يقال له على بن إبراهيم، فلما كان بعد يومين دخل على شاب لا أعرفه فقال: قد كفلت ما عليك فقم، وإذا معه رسول إلى السبحان بتسليمي إليه، فقمت معه فحملني إلى منزلي وسلمنى فيه وانصرف. فقلت لهم: من هذا ؟ قالوا رجل من أهل الاهواز يقال له على بن ابراهيم يكون في الكرخ. قيل لنا أنه صديق للذى حبسك فطرحنا أنفسنا عليه فتوسط في أمرك وضمن ما عليك وأخرجك. قال مؤلف هذا الكتاب: فلما كان بعد يسير جاءني على بن ابراهيم هذا وهو معاملي في سنين كثيرة فذاكرته بالحديث فقال: نعم كان هذا عبدوس الذى حبسه هو ابن أخت أبى على النصراني خازن معز الدولة، فلما طالبه بالمبلغ الذى كان عليه من الضمان الذى ضمنه منه وكان عبدوس صديقى فجاءني من سألني خطابه في أمره فجرى الامر على ما عرفت.

---

(١) الانبياء ٨٨ (٢) الصافات ١٤٥ (٣) الشمس (٤) الليل ١

---

[٢٣]

قال مؤلف الكتاب وجدت في كتاب محمد بن جرير الطبري الذى سماه بكتاب " الآداب الحميدة والاخلاق النفيسة " حدثنى محمد بن عمارة الاسدي، عن روح بن الحارث بن حبيش الصنعانى. عن أبيه، عن جده أنه قال لبنيه: إذا دهمكم أمر فلا يبيتن أحدكم إلا وهو طاهر، على فراش طاهر، ولا يبيتن معه امرأة وليقرأ (والشمس وضحاها (١)) إلى آخر السورة سبعا (والليل إذا يغشى (٢) إلى آخر السورة سبعا ثم يقل: " اللهم اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا " فانه يأتيه آت في أول ليلة، أو في الثالثة، أو في الخامسة، وأظنه قال: أو في السابعة يقول لك: مخرج مما أنت يه كذا قال أنيس: وأصابني وجمع شديد فلم أدر ما علاجه فبت على هذه الحالة فأتاني في أول ليلة اثنان جلس أحدهما على رأسي وجلس الآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه: جسه. فلمس جسدي كله فلما بلغ موضعا من رأسي قال: احجم هذا ولا تحلقه ولكن اغسله بخطمية، ثم التفت إلى أحدهما أو كلاهما وقال لى: فكيف لو ضممت اليهما (والتين والزيتون (٣)) فلما أصبحت سألت لم أمرت بالخطمية فقيل لتمسك المحجمة فبرأت وأنا إلى اليوم لا أحدث بهذا الحديث أحدا فيعالج به من تلك العلة إلا وجد الشفاء بإذن الله تعالى وأضمم اليهما قراءة (والتين والزيتون (٣)). وحدثت عن أحمد بن أبى داود قال: حدثنى الواثق قال: حدثنى المعتصم ان قوما ركبوا البحر فسمعوا هاتفا يهتف بهم من يعطينى عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمات إذا أصابه غم أو أشرف على هلكة فقالها انكشفت عنه ؟. فقام رجل من أهل المركب معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف: أنا أعطيك حتى تعلمني. فقيل له أرم بالمال في البحر فرمى بالمال. فسمع الهاتف يقول: إذا أصابك غم أو أشرفت على هلكة فاقرأ: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا (٤) فقال جيمع من في المركب للرجل

---

(١) الشمس ١ (٢) الليل ١ (٣) التين ١ (٤) الطلاق ٢ و ٣

[٢٤]

لقد ضيعت مالك. فقال: كلا إن هذه لفظة ما أشك في نفعها. قال: فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم أحد غير ذلك الرجل على لوح فحدث بعد ذلك قال: طرحني البحر على جزيرة فصعدت أمشى فيها فإذا بقصر منيف فدخلته فإذا فيه من كل ما يكون من الجواهر التي في البحر وغيرها وإذا بامرأة لم أرقط أحسن منها فقلت لها: من أنت، وأى شئ تعملين هاهنا ؟ قالت أنا ابنة فلان بن فلان التاجر بالبصرة، وكان أبى عظيم التجارة، وكان لا يصبر عنى، فسافر بى البحر معه فانكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت في هذه الجزيرة، وإنه يخرج إلى شيطان من البحر فيتلاعب بى سبعة أيام من غير أن يطأنى إلا أنه يلامسنى ويؤذيني ويتلاعب بى وينظر إلى ثم ينزل إلى البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله في نفسك واخرج قبل موافاته وإلا أتى عليك. فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة عظيمة قد أقبلت. فقالت: قد جاء والله وسيهلكك، فلما قرب منى وكاد يغشاني قرأت الآية فإذا هو قد خر كقطعة جبل إلا أنه رماد محترق. فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت يا هذا الفتى الذى من الله على بك ؟ فقمت أنا وهى وانتخبنا ذلك الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمنا ساحل البحر نهارنا أجمع، فلما كان الليل رجعنا إلى القصر. قال: وكان فيه ما يؤكل فقلت لها من أين لك هذا ؟ قالت وجدته هاهنا. فلما كان بعد أيام رأينا مركبا يبين عن بعد، فلوحنا إليهم فدخلوا فحملونا وسلمنا الله عزوجل إلى البصرة. فوصفت لى منزل أهلها فأتيتهم فقالوا: من أنت ؟ قلت رسول فلانة بنت فلان، فارتفعت الواغية. وقالوا يا هذا: لقد جددت علينا مصيبتنا. فقلت اخرجوا ثم أخذتهم ورجعت حتى جئت بهم إلى ابنتهم فكادوا يموتون فرحا وسألوها عن خبرها فقصته عليهم وسألتهم أن يزوجوني بها ففعلوا وجعلنا هذا الجوهر رأس مال بينى وبينها وأنا اليوم أيسر من بالبصرة وهؤلاء أولادي منها. وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء: ان عبد الله

[٢٥]

ابن المعلى بن أيوب حدثه عن أبيه قال: قال المعلى بن أيوب: أعتنى الفضل ابن مروان ونحن في بعض الاسفار فطالبني بعمل بعيد يعمل في مدة بعيدة واقتضانيه في كل يوم مرارا إلى أن أمرنى عن المعتصم أن لا أبرح إلا بعد الفراغ منه. فقعدت في ثيابي وجاء الليل فجعلت بين يدى نفاطة وطرح غلماني أنفسهم حولي وورد على أمر عظيم لانى قلت ما تجاسر على أن يوكل بى إلا وقف على سوء رأى في من المعتصم. قال: فانى لجالس وذقني على يدى وقد مضى من الليل بعضه وأنا مفكر فحملتني عينى فنمت فرأيت كأن شخصا قد مثل بين يدى وهو يقول: (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجينا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (١)) ثم انتبهت فقرأتها فإذا أنا بمشعل قد أقبل من بعيد، فلما قرب منى رأيت وراءه حمادا ونفس صاحب الحرس وقد أنكر نفاطتى فجاء ليعرف سببها فأخبرته خبرى فمضى إلى المعتصم فأخبره فإذا الرسل يطلبونني فدخلت إليه وهو قاعد ولم يبق من الشمع إلا أسفله. فقال لى: ما خبرك فشرحته له. فقال لى: ويلى على النبطي يمتهنك، وأى يد له عليك، وأنت كاتبى كما هو كاتبى انصرف. قال: فانصرفت وبكرت إلى الفضل على عادتي لم أنكر شيئا. حدثنى أبو الفضل محمد بن عبد الله في المذاكرة في خبر طويل لست أقوم عليه أن رجلا كانت بينه وبين رجل يتمكن من أذاه عداوة فخافه خوفا

شديدا، وأهمه أمره ولم يدر ما يصنع فرأى في منامه كأن قائلا يقول له: اقرأ في كل يوم في إحدى ركعتي الفجر (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل (٢)) إلى آخر السورة. قال فقرأتها فما مضت إلا شهور حتى كفيت أمر ذلك الرجل وأهلكه الله عزوجل وأنا أقرؤها إلى الآن. قال مؤلف هذا الكتاب: فوقعت أنا بعد ذلك في شدة لحقتني من عدو خفته فاستترت منه فجعلب دأبي قراءة هذه السورة في

---

(١) الانعام ٦٣ و ٦٤ (٢) الفيل ١

الركعة الثانية من صلاة الفجر كل يوم وأقرأ في الاولى منها: (ألم نشرح لك صدرك (١)) إلى آخر السورة لخبر كان بلغني فيها، فلما كان بعد شهور كفانى الله أمر ذلك العدو، وأهلكه من غير سعى لى في ذلك ولا حول ولا قوة. وأما الخبر في (ألم نشرح (١)) فان أبا بكر بن شجاع المقرى البغدادي الذى كان يخلفني على العيار في دار الضرب بسوق الاهواز في سنة ست وأربعين وثلاثمائة. وكان: شيخا ثقة نبيلا وهو من أمناء القاضى الاحنف محمد بن أبى الشوارب حدثنا بأسناد ذكره أن بعض الصالحين ألح عليه الغم وضيق الصدر وتعذر الامر حتى كاد يقنط فكان يمشى يوما وهو يقول: أرى الموت لمن أمسى * على الذلة له أصلح فهتف به هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه - أو قال - رأى في النوم كأن قائلا يقول: ألا أيها المرء * الذى الهم به برح إذا ضاق بك الصد * ر ففكر في ألم نشرح قال فقرأتها في صلاتي فشرح الله صدري، وأزال كربى وسهل أمرى أو كما قال. وحدثني غيره هذا الخبر من قريب بهذا الحديث وزاد في الشعر حيث قال: فإن العسر مقرو * ن بيسيرن فلا تبرح وقد ذكر القاضى أبو الحسين في كتاب الفرج بعد الشدة البيتين فقط وقال في الاخير منهما إذا أعضلك الامر * بدل إذا ضاق بك الصدر (هامش) * (١) الشرح ١ (*)

الباب الثاني ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللاواء، وما يتوصل به إلى كشف الشدة والبلاء أخبرني القاضى أبو القاسم على بن محمد بن أبى الفهم التنوخى بالاسناد الصحيح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سلوا الله من فضله فان الله تبارك وتعالى يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج ". وروى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " انتظار الفرج من الله عزوجل عبادة ". وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفضل أعمال أمتى انتظارها فرج الله " وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه في حديث ذكره: " واعلم أن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا ". وعن عمر بن مرة قال: سمعت أبا وائل يحدث عن كردوس بن عمرو وكان ممن قرأ الكتب أنه قال: إن الله عزوجل يبتلى العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه. حدثنا ابن أبى الدنيا يرفعه، عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن ؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما

كان وما هو كائن، ولو جهد العباد أن ينفعوك بشئ لم يكتبه الله لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بشئ لم يكتبه الله عليك لما قدروا، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، واعلم ان النصر مع الصبر، وان الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ". وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن المعونة من الله عزوجل تأتى العبد على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي على قدر شدة البلاء، - وربما قال -: إن الفرج يأتي من الله على قدر شدة البلاء ". وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من ستر أخاه المسلم ستره الله يوم القيامة، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله عزوجل في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ". وروى ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك. وروى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، عن أبيه، عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من أجرى الله على يده فرجا لمسلم فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة ". وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقة من حيث لا يحتسب ". وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من كل داء أيسرها الهم ". وعن نصر بن زياد قال كنت عند جعفر بن محمد رضى الله عنه فأتاه سفيان بن سعيد الثوري قال يا ابن رسول الله: حدثنى فقال: يا سفيان إذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، وإذا ورد عليك أمر تكرهه فأكثر: من لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وإذا أنعم الله عليك بنعمة فأكثر من: الحمد لله: حدثنى محد بن جعفر بن صالح الصالحي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " بينما ثلاثة نفر من بنى إسرائيل يسيرون إذ أخذهم المطر فأوو إلى غار في جبل فانطبقت عليهم صخرة فسدت الغار فقالوا تعالوا فليسأل الله عزوجل كل رجل منا بأفضل عمله فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لى ابنة عم جميلة وكنت أهواها فدفعت إليها مائة

دينار فلما جلست منها مجلس الرجل من المرأة قالت: اتق الله يا ابن العم ولا تفض الخاتم إلا بحق فقمت عنها وتركت لها المائة دينار. اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك خشية منك وابتغاء لما عندك فافرج عنا. فانفرج عنهم ثلث الصخرة. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت أغدو عليهما بصبوحهما، وأروح عليهما بغبوقهما فغدوت عليهما يوما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أنصرف عنهما فيفقدان غداءهما فوقفت حتى استيقظا فدفعت اليهما غداءهما. اللهم إن كنت تعلم أنى انما فعلت ذلك ابتغاء ما عندك، وخشية منك فافرج عنا، فانفرج عنهم الثلث الثاني، وقال الثالث: اللهم إن كنت تعلم أننى استأجرت أجيرا فلما دفعت إليه أجرته قال عملي أوفى من هذا وترك لى أجرته وقال بينى وبينك يوم يؤخذ للمظلوم فيه من الظالم ومضى، فابتعت له بأجرته غنما فلم أزل أرعاها ونمت حتى تزايدت وكثرت. فلما كان بعد مدة من الدهر أتانى فقال: يا هذا إن لى عندك أجرة عملت لك كذا وكذا في وقت كذا وكذا. فقلت له: خذ الغنم فهى لك. فقال تمنعني

أجرتي ونهزأ بى ؟ فقلت: خذها فانها لك. فأخذها ودعا لى. اللهم إن كنت تعلم أنى إنما فعلت هذا خشية منك وابتغاء لما عندك فافرج عنا فانفرج عنهم باقى الصخرة وخرجوا يمشون ". وذكر الحديث. قال مؤلف هذا الكتاب هذا حديث مشهور رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب، و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن عمر، و عبد الله بن أبى أوفى، والنعمان بن بشير الانصاري رضى الله عنهم. وعن كل واحد منهم عدة طرق. وقد اختلف في ألفاظه والمعنى واحد. وليس غرضي هنا جمع طرقه وألفاظه فاستقصى ذلك هنا. وروى ابراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ألا أخبركم بشئ إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا دعا به ففرج عنه ؟ فقبل له بلى. فقال دعاء ذى النون لا إله

إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين " حدثنا ابن بشار قال: حدثنا ابن عدى بالاسناد عن حميد بن عبد الرحمن الحميرى قال: كان بأبى الحصاة، وكان يلقى من شدة ما به من البلاء ألما عظيما، فانطلقت إلى بيت المقدس فلقيت أبا العوام، فشكوت له الذى بأبى وأخبرته خبره فقال: مره فليدع بهذه الدعوات وهى: ربنا الذى في السماء تقدس اسمه. أمرك ماض في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعلها في الارض، اغفر لنا حوبتنا وخطايانا إنك رب الطيبين. أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على ما بفلان ابن فلان من وجع ". قال فدعا به فأذهبه الله عزوجل. وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " كلمات الفرج لا إله إلا الله الحكيم الكريم، لا إله إلا الله العلى العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع والارضين السبع ورب العرش العظيم ". حدثنا عن عبد الرحمن بن أبى بكر، عن أبيه رضى الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لى شأني كله لا إله إلا أنت ". وروى عبد الله بن جعفر قال: علمتني أمي أسماء بنت عميس شيئا أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقوله عند الكرب: " الله ربى لا أشرك به شيئا ". وروى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بى كرب أو شدة أن أقول: " لا إله إلا الله الحكيم الكريم، عز الله وتبارك رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين ". وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بى كرب أن أقول: " لا إله إلا الله العلى الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين ". قالت أسماء بنت عميس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من أصابه هم، أو غمء أو سقم، أو شدة. أو ذل، أو لاوأ فقال:

الله ربى لا شريك له كشف ذلك عنه ". وعن أبى سلمة الجهمى، عن أبى القاسم، عن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أصاب مسلما قط هم ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور بصرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى إلا أذهب الله همه وأبدله مكان

حزنه فرجا، قالوا يا رسول الله: أفلا نتعلم هذه الكلمات ؟ قال: بلى ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن ". وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أصابه غم أو كرب يقول: " حسبى الرب من العباد، حسبى الخالق من المخلوقين، حسبى الرازق من المرزوقين، حسبى الله هو حسبى، حسبى الله ونعم الوكيل، حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ". وروى اسماعيل ابن فديك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما أكربني أمر إلا تمثل لى جبريل وقال يا محمد: قل توكلت على الحى الذى لا يموت، والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا "، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا نزل به هم أو غم قال " يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ". وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك. وفى الاخبار أن موسى عليه السلام كان دعاؤه حين يتوجه إلى فرعون وهو دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، ودعاء كل مكروب: " كنت وتكون، وأنت حى لا تموت أبدا، تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حى قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم يا حى يا قيوم ".

دعاء للفرج أعطانيه أبو عبد الحميد داود بن الناصر المعروف: بطباطبا ابن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وقال لى: إن أهله يتوارثونه على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو: " يا من يحل عقد المكاره، ويفك حلق الشدائد، ويا من يلتمس به المخرج إلى محل الفرج، ذلت لقدرتك الصعاب، وتشبثت بلطفك الاسباب، وجرى بطاتك القضاء، ومضت على ذكرك الاشياء فهى بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون وحيك منزجرة، أنت المدعو للمهمات، وأنت المفزع في اللمات، لا يندفع منها إلا ما دفعت، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت، قد نزل بى ما يكيدني ثقله، وألم بى ما يهيضنى حمله، وبقدرتك أوردته على، وبسلطانك وجهته إلى، لا مصدر لما أوردت، ولا كاشف لما وجهت، ولا فاتح لما أغلقت، ولا مغلق لما فتحت، ولا ميسر لما عسرت، ولا معسر لما يسرت، صل على محمد وعلى آل محمد، وافتح لى يا رب أبواب الفرج بطولك، واحبس عنى سلطان الهم بحولك، وأنلني حسن النظر فيما شكوت، وأذقني حلاوة الصنع فيما سألت، وهب لى من لدنك فرجا قريبا هنيئا، وصلاحا في جميع أمرى، واجعل لى من عندك مخرجا رحيبا، ولا نشغلنى بالاهتمام عن تعهد فروضك، واستعمال سنتك فقد ضقت ذرعا بما قد عرانى، وتحيرت في أمرى وفيما نزل بى ودهانى، وضعفت عن حمل ما قد أثقلني هما، وتبدلت فيما أنا فيه قلقا وغما، وأنت القادر على كشف ما وقعت فيه، ودفع ما ثقلت به، فافعل بى ذلك يا سيدى والهى وإن لم أستحقه، وأجبني إليه وإن لم أستوجبه، يا ذا العرش العظيم، ثلاث مرات ". وأعطاني دعاء آخر وقال لى إن أهله يتوارثونه عن أهل البيت عليهم السلام وهو: " لا إله إلا الله حقا حقا، لا اله إلا الله تعبدا وصدقا، لا اله الا الله ايمانا وصدقا " يا منزل الرحمة من أماكنها، ومنشئ البركة من ادنها أسألك أن تصلى على محمد عبدك ونبيك وخيرتك من خلقك

وصفيك، وعلى آله مصابيح الدجا، وأئمة الهدى، وأن تفرج عنى فرجا عاجلا، وتلبسني في أمورى صلاحا شاملا. وتفعل بى في دينى ودنياى ما أنت أهله، وتنيلني صلاحا لجميع أمرى شاملا، يا كاشف

كل كرب، ويا غافر كل ذنب ". حدثنى أيوب بن العباس بن الحسن بإسناد كثير: أن أعرابيا شكا إلى أمير المؤمنين على رضى الله عنه شكوى لحقته، وضيقا في الحال، وكثرة من العيال، فقال له: عليك بالاستغفار فان الله عزوجل يقول: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا (١)) الآيات. فمضى الرجل وعاد إليه فقال يا أمير المؤمنين: إنى قد استغفرت الله كثيرا ولم أر فرجا مما أنا فيه ؟ فقال له: لعلك لا تحسن الاستغفار ؟ قال: علمني فقال: أخلص نيتك، وأطع ربك وقل: " اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب قوى عليه بدنى بعافيتك، أو نالته قدرتي بفضل نعمتك، أو بسطت إليه يدى بسابغ رزقك، واتكلت فيه عند خوفى منه على أمانك، ووثقت فيه بحملك، وعولت فيه على كريم عفوك. اللهم إني أستغرك من كل ذنب خفت فيه أمانتى، أو بخست فيه نفسي، أو قدمت فيه لذتي، أو آثرت فيه شهوتي، أو سعيت فيه لغيري، أو استغويت إليه من تبعني، أو غلبت فيه بفضل حيلتى، أو أحلت فيه على مولاى فلم يعاجلني على فعلى، إذ كنت سبحانك كارها لمعصيتي غير مريدها منى، لكن سبق علمك في باختيارى واستعمال مرادى وإيثارى فحلت عنى ولم تدخلني فيه جبرا، ولم تحملني عليه قهرا، ولم تظلمنى عليه شيئا يا أرحم الراحمين، يا صاحبي في شدتي، يا مؤنسي في وحدتي، يا حافظى في غربتى، يا وليى في نعمتي يا كاشف كربتي، يا مستمع دعوتي، يا راحم عبرتي، يا مقيل عثرتي، يا إلهى بالتحقيق، يا ركني الوثيق، يا رجاى للضيق، يا مولاى الشفيق، يا رب البيت العتيق، أخرجنى من حلق المضيق إلى سعة الطريق، بفرج من عندك قريب

(١) نوح ١٠ - ١٢

وثيق، واكشف عنى كل شدة وضيق، واكفنى ما أطيق، ومالا أطيق، اللهم فرج عنى كل هم وغم، وأخرجنى من كل حزن وكرب يا فارج الهم، ويا كاشف الغم، ويا منزل القطر، ويا مجيب دعوة المضطر، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد خيرتك من خلقك وعلى آله الطيبين الطاهرين، وفرج عنى ما ضاق به صدري، وعيل معه صبرى، وقلت فيه حيلتى، وضعفت له قوتي، يا كاشف كل ضر وبلية، يا عالم كل سر وخفية يا أرحم الراحمين: (وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد (١)). وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. قال الاعرابي: فاستغفرت بذلك مرارا فكشف الله عنى الغم والضيق ووسع على في الرزق وأزال المحنة. وعن أبى مخلد أنه قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ما أبالى على أي حالة أصبحت على ما أحب، أو على ما أكره. وذلك لانى لا أدرى الخير فيما أحب أو فيما أكره. روى عن الاعمش عن إبراهيم قال: إن لم يكن لنا خير فيما نكره لم يكن لنا خير فيما نحب. وروى عن سفيان بن عيينة قال: قال محمد بن على رضى الله عنه لمحمد بن المنكدر: مالى أراك مغموما ؟ فقال أبو حازم: لدين فدحه. قال محمد بن على: أفتح له في الدعاء. قال: نعم. قال بورك لك في حاجة أكثرت فيها دعاء ربك كانت لك ما كانت. دعاء لداود عليه السلام: " سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء، سبحان مستخرج الشكر بالرخاء. وروى عن طاوس قال: إنى لفى الحجر ذات ليلة إذ دخل على بن الحسين عليه السلام فقلت: رجل صالح من أهل بيت الخير لاسمن إلى دعائه الليلة. فصلى. ثم سجد فأصغيت بسمعي إليه فسمعته يقول: عبيدك بفنائك يرجو ثوابك، ويخشى عقابك. قال طاوس: فما دعوت بها في كرب إلا فرج الله عنى. وروى في الاخبار: أن صديقا ذبح عجلا بين يدى أمه فخبل عقله، فبينما هو كذلك ذات يوم تحت

شجرة فيها وكر طائر إذ وقع فرخ ذلك الطائر في الارض فغبر في الترات فأتاه الطائر فجعل يطير فوق رأسه،

---

(١) لمؤمن ٤٤

فأخذ الصديق الفرخ فمسحه من التراب وأعاده في وكره فرد الله عليه عقله وقال ابن عيينة: ما يكرهه العبد خير له مما يجب، لان ما يكرهه يهيجه على الدعاء وما يحبه يلهيه. وروى عن عبد الصمد العمى قال: سمعت مالك بن دينار يقول في مرضه وهو آخر كلام سمعته منه: ما أقرب النعم من البؤس يعقبان ويوشكان زوالا. وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لجلسائه يوما وفيهم عمرو بن العاص: ما أحسن شئ يناله المرء ؟ فأتى كل رجل برأيه وعمرو ساكت. فقال له عمر: ما تقول يا عمرو ؟ قال الغمرات ثم ينجلين. كتب سعيد بن حميد إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتابا من الانبار قال فيه: وأرجو أن يكشف الله بالامير هذه الغمة الطويل مداها، البعيد منتهاها، فإن طولها قد أطمع في انقضائها، وتراخى أيامها قد سهل طريق الامل لفنائها. قال مؤلف هذا الكتاب: لحقتني محنة عظيمة من السلطان فكتب إلى أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومى رقعة يتوجع إلى فيها نسختها: بسم الله الرحمن الرحيم: " مدد النعم أطال الله بقاء القاضى بغفلات المسار وان طالت أحلام، وساعات المحن وإن قصرت بسوابغ الهم أعوام، وأحظانا بالمواهب من ارتبطها بالشكر، وأنهضنا باعباء المصائب من قاومها بعدد الصبر، إذ كان أولها بالعظة مذكرا، وآخرها بمضمون الفرج مبشرا، وإنما يتعسف ظلم الفتنة، ويتمسك بتفريط العزم ضال الحكمة، ومن كان بسنة الغفلة مغمورا، وبضعف المنية والرأى مقهورا، وفى انتهاز فرص الحرم مفرطا، ولمرضى ما اختاره الله تعالى متسخطا والقاضى أنور بصيرة، وأطهر سريرة، وأكمل حزما، وأنفذ مضاء وعزما من أن يتسلط الشك على يقينه، أو يقدح اعتراض الشبه في مروءته ودينه، فيلقى ما اعتمده الله من طارق القضاء المحتوم بغير واجبه من فرط الرضا والتسليم، ومع ذلك فانما تعظم المحنة إذا تجاوزت، وضعف التنبيه من الله جل ذكره إلى واجب العقوبة، ويصير تجنى السلطان بها وجوب الحجة فشغلت الالسن عن محمود الثناء منها

بمذموم اللائمة، فإذا خلت من هذه الصفات اللئيمة، والشوائب المذمومة كانت وإن راع ظاهرها بصفات النعم أولى، وبأسباب المنح أحق وأحرى، وهى أعمال ذى الفهم الثاقب، والفكر الصائب مثله أيده الله تعالى بكامل عقله، وزائد فضله فيما يسامح به الدنيا من مرتجع هباتها، وتبدله من خدع لذاتها من علم أن أسعد أهلها منها ببلوغ الآمال أقربهم فيما خوله من التغيير والانتقال، وصفاءها مشوب بالكدر، وأمنها مروع بالحذر، لان انتهاء الشئ إلى حده ناقل له عما كان عليه إلى ضده، فتكاد المحنة بهذه القاعدة لاقترابها في الفرج بفسح الرجاء، وانتهاء الشدة فيها إلى مستجد الرخاء أن تكون أحق بأسماء النعم، وأدخل في باب المواهب والقسم، وبالحقيقة فكل وارد من الله عزوجل على العبد وإن جهل مواقع الحكمة منه، وساءه استتار عواقب الخيرة بمفارقة ما نقل عنه غير خال من مصلحة بتقديم عاجل، وادخار آجل، وهذا الوصف ما ذكر الله به القاضى إذ

كان للمثوبة مفيدا، وللفرج ضامنا، وبالحظ مبشرا، وإلى المسرة مؤديا، وبأفضل ما عوده الله عائدا، وهو ينجز ذلك بمستحكم الثقة ووجاهة الدعاء والرغبة، ووسائط الصبر والمعونة. ولعله يكون إليه أقرب من ورود رقعتي إليه بقدرة تعالى ومشيئته، ولولا الخوف من الاطالة، والتعرض للاضجار والملالة، باخراج هذه الرقعة عن مذاهب الكتابة، وادخالها ذكر ما نطق به نص الكتاب من ضمان اليسر بعد العسر، وما وردت به في هذا المعنى الامثال السائرة، والاشعار المتناقلة في جملة الرسائل وخير المصنفات لاودعتها نبذا من ذلك، لكننى آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحتها به واستخدمتها له، مقتصرا على استغناء القاضى عن ذلك بمراشد حفظه، ووقور فضله، ومأثور نباهته ونبله، والله يبلغنا ويبلغه ما فيه نهاية الآمال، ولا يخليه في طول البقاء من موارد السعادة والاقبال إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل. وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: أفضل ما يعمله الممتحن انتظار الفرج، والصبر على قدر البلاء، والصبر كفيل بالنجاح، والمتوكل لا يخيب ظنه. وقال بعض الصالحين: استعمل في كل بلية

تطرقك حسن الظن بالله تعالى في كشفها فإن ذلك أقرب بك إلى الفرج، ويقال العاقل لا يذل لاول نكبة، ولا يفرح بأول نعمة فربما أقلع المحبوب عما يضر، وأجلى المكروه عما يسر. شكا عبد الله بن طاهر إلى سليمان بن يحيى ابن معاذ كاتبه بلاء خافه وتوقعه فقال له أيها الامير: لا يغلبن على قبلك إذا اغتممت ما تكره دون ما تحب، فلعل العاقبة تكون ما تحب، وتوقى ما تكره فتكون كمن يتسلف الغم والخوف. قال: أما إنك فقد فرجت عنى ما أنا فيه. بلغني أن الناس قحطوا بالمدينة في أيام عمر رضى الله عنه فخرج بهم مستسقيا فكان أكثر قوله الاستغفار. فقيل له يا أمير المؤمنين: لو دعوت الله تعالى ؟ فقال أما سمعتم قوله تعالى: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا (١) الآيات فصار الاستكثار منه في خطب الاستسقاء سنة إلى اليوم. حكى عن أنو شروان أنه قال: جميع مكاره الدنيا ينقسم على ضربين. فضرب فيه حيلة فالاضطراب دواؤه، وضرب لا حيلة فيه فالاصطبار شفاؤه. وكان بعض الحكماء يقول: الحلية فيما لا حيلة فيه الصبر، وكان يقال: من اتبع الصبر أتبعه النصر، ومن الامثال السائرة الصبر مفتاح الفرج، من صبر قدر ثمرة الصبر الظفر، وعند اشتداد البلاء يأتي الرخاء، وكان يقال: تضايقي تنفرجي، إذا اشتد الخناق انقطع الوثاق. والعرب تقول: إن في الشر خيارا. قال الاصمعي: معناها إن بعض الشر أهون من بعض. وقال أبو عبيدة: معناها إذا أصابتك مصيبة فاعلم أنه قد يكون أجل منها فلتهن عليك مصيبتك. وقال بعض الحكماء: عواقب الامور تتشابه في الغيوب، فرب محبوب في مكروه ومكروه في محبوب وكم مغبوط بنعمة هي داؤه، ومرحوم من داء فيه شفاؤه، ورب خير من شر، ونفع من ضر. وروى أن على بن أبى طالب سلام الله عليه قال: يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذى لم يأت على يومك الذى قد أتى فانه ان يكن من عمرك يأتك الله فيه بمحنتك، واعلم أنك

---

(١) نوح ١٠ و ١١

لن تكسب شيئا سوى قوتك إلا كنت في خازنا لغيرك بعد موتك. وقال وداعة السهمى في كلام له: اصبر على الشر إن فدحك فربما أجلى عما يفرحك وتحت الرغوة اللبن الصريح. وقال شريح: إنى لاصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات. أحمده إن لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجوه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في دينى. ويشبه هذا ما يروى عن بزر جمر لما حبسه أنو شروان عند غضبه عليه في بيت كالقبر ظلمة وظيقا، وصفده بالحديد وألبسه الخشن من الصوف، وأمر أن لا يزاد على قرصين في كل يوم من شعير، وكف ملح جريشا ودورق ماء، وأن تحصى ألفاظه فتنقل إليه. فأقام بزرجمهر أياما لا يتكلم فقال أنو شروان: أدخلوا إليه أصحابه وأمروهم أن يسألوه ويفاتحوه في الكلام واسمعوا ما يجرى بينهم وعرفونيه. فدخل إليه جماعة من المختصين به وقالوا أيها الحكيم: نراك في هذا الضيق والحديد، والصوف والشدة التى وقعت فيها، ومع هذا فان سحنة وجهك، وصحة جسمك على حالهما لم يتغيرا فما السبب في ذلك ؟ فقال: إنى عملت جوارشا من ستة أخلاط آخذ منه في كل يوم شيئا فهو الذى أبقاني على ما ترون. قالوا: فصفه لنا فعسى أن يبتلى بمثل بلواك من إخواننا أحد فيستعمله أو نصفه له. قال: الخلط الاول: الثقة بالله عزوجل، والخلط الثاني: علمي أن كل مقدر كائن، والخلط الثالث: أن الصبر خير ما استعمله الممتحن، والخلط الرابع: ان لم أصبر فأى شئ أعمل، والخلط الخامس: قد يمكن أن أكون في أشر مما أنا فيه، والخلط السادس: من ساعة إلى ساعة فرج. قال فبلغ كسرى كلامه فعفا عنه.

---

[٣٩]

فصل لبعض الكتاب: وهو على بن نصر بن على بن بشر النصراني. وكما ان الله عزوجل يأتي بالمحبوب من الوجه الذى قد ورد المكروه منه يأتي بالفرج عند انقطاع الامل واستبهام وجوه الحيل، ليحض سائر خليقته بما يريهم من تمام قدرته على صرف الرجاء إليه، وإخلاص التوكل عليه، وأن لا يزووا وجوههم في قوت من الاوقات على من تتوقع الروح منه، ولا يعدلوا بآمالهم على حال من الحالات عن انتظار فرج يصدر عنه، فكذلك أيضا سرهم فيما ساءهم بأن كفاهم بمحنة يسيرة أعظم منها، وأفداهم بملة سهلة بما هو أنكى فيهم لو لحقهم. قال اسحاق العابد: ربما امتحن الله العبد بمحنة عظيمة يخلصه بها من الهلكة فتكون تلك المحنة أجل نعمة. وقال سمعان: من احتمل المحنة ورضى بتدبير الله عزوجل في النكبة، وصبر على الشدة كشف الله له عن منفعتها حتى يقف على المستور عنه في مصلحتها. وقال عبد الله بن المعتز: ما أوطأ راحلة الواثق بالله تعالى، وآنس مثوى المطيع لله. حكى بعض النصارى أن بعض الانبياء عليهم السلام قال: المحن تأديب من الله عزوجل، والادب لا يدوم، وطوبى لمن يصبر على التأديب، ويثبت عند المحنة فيجب له لبس إكليل الغلبة، وتاج الفلاح الذى وعد الله عزوجل محبية وطائعية. وقال بزرجمهر: انتظار الفرج بالصبر يعقب الاغتباط.

---

[٤٠]

فصل لبضع الكتاب: وهو على بن نصر بن بشر. وكما أن الرجاء مادة الصبر والمعين عليه، فكذلك علة الرجاء ومادته حسن الظن بالله عزوجل الذى لا يجوز أن يخيب، فانا قد نستقري الكرماء فنجدهم يرفعون من أحسن ظنه بهم، ويخيبون من يخيب أمله فيهم، ويتحرجون من اخفاق رجاء من قصدهم. فكيف بأكرم الاكرمين الذى لا يعوذه أن بمنح مؤمليه ما يزيد على آمالهم فيه، وأعدل الشواهد

بمحبة الله جل جلاله أن يمسك عبده برجائه، وانتظاره الروح من ظله وفنائه. إن الاسنان لا يأتيه الفرج، ولا تدركه النجاة إلا بعد إخفاق أمله في كل ما كان يتوجه فنحوه بأمله ورغبته، وعند انفلاق مطالبه وعجز حيله وحيلته، وتناهى ضره ومحنته، ليكون ذلك باعثا له على صرف رجائه أبدا إلى الله تعالى، وزاجرا له عن تجاوز حسن الظن بالله تعالى. وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال. الفرج والروح في اليقين، والرضا والهم والحزن في الشك والغضب. قال أبان بن ثعلب سمعت أعرابيا يقول: من أفضل آداب الرجال أنه إذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها، وألهم نفسه الرجاء لزوالها حتى كأنه بصبره يعاين الخلاص والغناء توكلا على الله وحسن ظن به، فمتى لزم هذه الصفة لم يلبث أن يقضى الله حاجته، ويزيل كربته، وينجح طلبته، ومعه دينه وعرضه ومروءته. وكان يقال: الصبور يدرك أحمد الامور. حكى الاصمعي عن أعرابي قال: خف الشر من موضع الخير، وارج الخير من موضع الشر، فرب حياة سببها طلب الموت، وموت سببه طلب الحياة. وأكثر ما يأتي الا من ناحية الخوف. قال مؤلف هذا الكتاب: ما أقرب هذا الكلام من قول قطرى بن الفجاءة الخارجي (١) ذكره أبو تمام الطائى في كتابه المعروف بالحماسة: لا يركبن أحد إلى الاحجام * يوم الوغى متخوفا لحمام فلقد أرانى للرماح دريئة * من عن يمينى مرة وأمامي

---

(١) من رؤساء الخوارج.

حتى خضبت بما تحدر من دمى * اكناف سرجى أو عنان لجام ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب * جزع البصير قارح الاقدام هذا لمن أحب الموت طلبا لحياة الذكر، وقد أفصح بهذا الحصين بن الحمام المرى حيث يقول: تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل أن أتقدما وهذا كثير متسع ليس هو مما نحن فيه بسبيل فنستوعبه ونستوفيه، ولكن الحديث ذو شجون، والشئ يذكر بالشئ. ونعود إلى ما كنا فيه قال بعض عقلاء التجار: ما أصغر المصيبة إذا عادت بسلامة الارواح، وكأنه من قول بعض العرب: إن تسلم الحلة فالسخل هدر. ومن كلامهم لا تيبس أرض من عمران وإن جفاها الزمان. والعامة تقول نهر جرى فيه الماء لابد أن يعود إليه. وقال بيسمطيوس: لم تتفاضل أهل العقول والدين إلا باستعمال الفضل في حال القدرة والنعمة، وابتذال الصبر في حال الشدة والمحنة. وقال بعض الحكماء: العاقل يتعزى فيما نزل به من المكروه بأمرين أحدهما: السرور بما بقى له. والآخر: رجاء الفرج مما نزل به. والجاهل يجزع في محنته بأمرين أحدهما: استكثار ما أتى إليه. والآخر: تخوفه مما هو أشد منه. وكان يقال المحن آداب الله تعالى لخلقه، وتأديب الله يفتح القلوب والاسماع والابصار. ووصف الحسن بن سهل المحن فقال: معها تمحيض من الذنوب، وتنبيه من الغفلة، وتعرض للثواب بالصبر، وتذكير بالنعمة، واستدعاء للتوبة، وفى نظر الله عزوجل وقضائه الخيار، وبلغني هذا الخبر على وجه آخر. وقرئ على أبى بكر الصولى وأنا أسمع في كتابه " كتاب الوزراء " حدثكم أبو ذكوان القاسم بن اسماعيل. قال: سمعت ابراهيم بن العباس بن محمد يصف الفضل بن سهل ويذكر تقدمه وعلمه وكرمه، وكان مما حدثنى به أنه برأ من علة كان فيها فجلس للناس فهنوه بالعافية. فلما فرغ الناس من كلامهم قال الفضل: إن في العلل لنعما لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوها، تمحيص للذنوب،

وتعرض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وإذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء للمثوبة، وحض على الصدقة، وفى قضاء الله تعالى وقدره بعد الخيار. كتب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حين سيره ابن الزبير عن مكة إلى الطائف: " أما بعد فقد بلغني أن ابن الزبير سيرك إلى الطائف، فأحدث ألله لك بذلك ذخرا، وحط عنك به وزرا، يا ابن عم: إنما يبتلى الصالحون، وتعد الكرامة للاخيار، ولو لم تؤجر إلا فيما تحب لقل الاجر، وقد قال الله تبارك وتعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم (١) عزم الله لنا ولك بالصبر على البلاء، والشكر على النعماء، ولا أشمت بنا عدوا، والسلام. كتب بعض الكتاب إلى صديق له في محنة لحقته: إن الله تبارك وتعالى ليمتحن العبد ليكثر التواضع له، والاستغاثة به، ويجدد الشكر على ما يوليه من كفايته، ويأخذ بيده في شدته، لان دوام النعم والعافية تبطر الانسان حتى يعجب بنفسه، ويعدل عن ذكر ربه، وقد قال الشاعر. لا يترك الله عبدا لا يذكره * بمن يؤدبه ومن يؤنبه في نعمة تقتضي شكرا يدوم له * أو نقمة حين ينسى الشكر ينكبه وقال الحسن البصري رحمه الله: الخير الذى لا شر فيه الشكر مع العافية، والصبر عند المحنة، فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم من مبتلى بمحنة وهو صابر، والجزع لا ينفع ما لم تنصرم أيام المحنة. وكان ابن شبرمة إذا نزلت به شدة قال: سحابة ثم تنقشع، وقال بعض الحكماء: أخر الهم أول الفرج، وكان جعفر بن سليمان يقول: جربناه فوجدناه كذلك، وذكر القاضى أبو الخير في كتابه قال: حدثنا الحسن بن مكرم يرفعه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

---

(١) البقرة ٢١٦

" إنى لان أكون في شده أتوقع بعدها رخاء أحب إلي من أن أكون في رخاء أتوقع بعده شدة ". وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير إسناد أنه قال: " لو كان العسر في كوه لجاء يسران فأخرجاه ". قال مؤلف هذا الكتاب: كان لى في هذا الحديث خبر طريف وذلك أنى كنت قد لجأت إلى البطيحة هاربا من نكبة لحقتني، فاعتصمت بأميرها معين الدولة أبى الحسن بن عمران بن شاهين السلمى، فألقيت هناك جماعة من معارفى بالبصرة، وواسط خائفين على أنفسهم قد هربوا من ابن تعية الذى كان في الوقت وزيرا ولجؤا إلى البطيحة. فكنا نجتمع في الجامع فنتشاكى أحوالنا ونتمنى الفرج مما نحن فيه من الخوف والشدة والشقاء، فحدث أبو الحسن بن جيشان التاجر الصالحي قال: حدثنى أبو محمد الحسن بن عثمان بن قنيف بالاسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو دخل العسر كوة لجاء يسران فأخرجاه ". فلما سمعت ذلك فكرت ساعة ثم عملت بيتين من الشعر. إنا روينا عن النبي رسول الله * فيما أفيد من أدبه لو دخل العسر كوة لاتي يسران * فاستخرجاه من ثقبه فما مضى على هذا المجلس إلا أربعة أشهر حتى فرج الله عنى وعن كثير ممن حضر ذلك المجلس وردنا الله تعالى إلى غوائده الجميلة عندنا، فالحمد والشكر لله رب العالمين. ووجدت هذا الخبر على غير هذا فقد حدثت عن ابن مسعود أنه قال: " لو أن العسر دخل في حجر لجاء اليسر حتى يدخل معه ". قال الله تبارك وتعالى: (فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا (١)، وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: عند تناهى الشدة تكون الفرجة،

وعند تضايق البلاء يكون الرخاء، ومع العسر يكون يسر. وروى عنه كرم الله وجهه

---

(١) الانشراح ٥ و ٦

---

[٤٤]

أنه قال: ما أبالى باليسر رميت أو بالعسر، لان حق الله عزوجل في العسر الرضا والصبر، وفى اليسر البر والشكر. قال مؤلف هذا الكتاب حدثنى بعض الشيعة بغير إسناد قال: قصد أعرابي أمير المؤمنين عليا عليه السلام فقال: إنى لذو محن فعلمني شيئا أنتفع به ؟ فقال يا اعرابي: إن للمحن أوقاتا ولها غايات فاجتهاد العبد في محنته قبل إزالة الله تعالى إياها يكون زيادة فيها لقوله تعالى: (إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون (١) لكن استعن بالله واصبر، وأكثر من الاستغفار، فان الله عزوجل وعد الصابرين خيرا كثيرا وقال: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا (٢). فانصرف الرجل فقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: إذا لم يكن عون من الله للفتى * فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده حدثنا أبو محمد الحسين بن محمد المهلبى في وزارته قال: كنت في وقت من الاوقات قد وقعت لى شدة شديدة وخوفه عظيم لا حيلة لى فيه، فأقمت ليلتى قلقا ولم أعرف الغمض، فلجأت إلى الصلاة والدعاء، وأقبلت على البكاء في سجودي والتضرع ومسألة الله تعالى ففرج عنى ما كنت فيه على أفضل ما أردت فقلت شعرا: بعثت إلى رب العطاء رسالة * تؤمل لى فيما دعاء مناصح فجاء جوابي بالاجابة فانجلت * بها كرب ضاقت بهن جوانحي وعن على كرم الله وجهه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اشتدي أزمة تنفرجي ". قيل أراد جعفر بن محمد بن على الحج فمنعه المنصور فقال: " الحمد لله الكافي، سبحان الله الاعلى، حسبى الله وكفى، ليس من الله منجى،

---

(١) الزمر ٣٨ (٢) نوح ١٠ و ١١

---

[٤٥]

ما شاء الله قضى، ليس وراء الله منتهى، توكلت على الله ربى وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربى على صراط مستقيم، اللهم إن هذا عبد من عبيدك خلقته كما خلقتني، ليس له على فضل إلا ما فضلته به على فاكفني شره، وارزقني خيره، واقدح لى المحبة في قلبه، واصرف عنى أذاه، لا إله إلا أنت سبحان الله رب العرش العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله كثيرا ". قال: فأذن له المنصور في الحج.

---

[٤٦]

الباب الثالث من بشر بالفرج فنجا من محنه بقول أو دعاء أو ابتهال أخبرني الصولى قال: حدثنا البر القاضى قال: رأيت امرأة بالبادية وقد

جاء البرد فذهب بزرع لها فجاء الناس يعزونها، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: " اللهم أنت المأمول لاحسن الخلف، وبيدك العوض عما تلف، فافعل ما أنت أهله، فان أرزاقنا عليك، وآمالنا منصرفة اليك " قال: فلم أبرح حتى مر رجل من الاجلاء فحدث بما كان لها فوهب لها خمسمائة دينار. حدثنى أبى في المذاكرة من لفظه وحفظه ولم أكتبه عنه في الحال وعلق بحفظي والمعنى واحد ولعل اللفظ يزيد أو ينقص، عن أبى محمد عبد الله بن أحمد ابن حمدون نديم المعتضد بالله قال: حدثنى أبى عن المعتضد أنه قال: لما سعى إسماعيل بن بلبل بينى وبين أبى الموفق فأوحشه منى حتى حبسني الحبسة المشهورة، وكنت أتخوف القتل صباحا ومساء ولا آمن أن يرفع عنى إسماعيل ما يزيد في غيظ الموفق على فيأمر بقتلى، فكنت كذلك حتى خرج الموفق إلى الجند فازداد خوفى، وأشفقت أن يكاتبه إسماعيل عنى بكذب يجعل غيبته طريقا إليه ويأمر بقتلى، فأقبلت على الدعاء والتضرع إلى الله تعالى والابتهال في تخليصي، وكان إسماعيل يجيئنى في كل يوم مراعيا خبرى ويورينى أن ذلك خدمة لى، فدخل إلى يوما وبيدي المصحف وأنا أقرأ فتركته وأخذت أحادثه. فقال أيها الامير: اعطني المصحف لآخذ فألك منه، فلم أجبه بشئ فأخذ المصحف ففتحه وكان في أول سطر منه: (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الاض فينظر كيف تعملون (١) فاسود وجهه واربد، ثم خلط الورق ففتح المصحف ثانية فخرج: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (٢) فازداد ولها

---

(١) الاعراف ١٢٩ (٢) القصص ٥

واضطرابا، وفتح المصحف ثالثة فخرج: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم (١) فوضع المصحف وقال: أنت الخليفة والله بلا شك، فما حق بشارتي عليك ؟ فقلت: الله الله في دمى، واسأل الله أن يبقى أمير المؤمنين الامير الناصر الموفق ومالنا وهذا ومثلك في عقلك لا يطلق مثل هذا القول بمثل هذا الاتفاق قال: فأمسك وما زال يحادثنى ويخرجني من حديث ويدخلنى في حديث إلى أن جرى حديث ما بينى وبين أبى فأقبل يحلف بالايمان الغليظة أنه لم يكن له في أمرى صنع ولا سعاية على بمكروه، فصدقته ولم أزل أخاطبه بما تطيب به نفسه خوفا من أن يزيد وحشة فيسرع إلى التدبير في تلفى إلى أن انصرف، ثم صار أي وقت جاءني أخذ معى في الاعتذار والتنصل، وأنا أظهر التصديق له والتقبل حتى سكن، ولم يشك انى معتقد لبراءة ساحته فما كان بأسرع من أن جاء الموفق وقد اشتدت عليه ومات، فأخرجني الغلمان من الحبس فصيروني مكانه وفرج الله عنى وفاجأنى بالخلافة ومكننى من عدو الله وعدوى اسماعيل فأنفذت الحكم فيه. حكى عن عبد الله بن سليمان بن وهب، عن أبيه أنه قال: أصبحت يوما وأنا في حبس محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق آيس ما كنت من الفرج، وأشد محنة وغما حتى وردت على رقعة أخى الحسن ابن وهب ونسختها. محن أبا أيوب أنت محلها * فإذا جزعت من الخطوب فمن لها إن الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يحسن حلها فاصبر فإن الله يعقب فرجة * ولربما أن تنجلي ولعلها وعسى تكون قريبة من حيث لا * ترجو وتمحو عن جديدك ذلها قال فتفاءلت بذلك وقويت نفسي فكتبت له: صبرتني ووعظتني فأنا لها * وستنجلي بل لا أقول لعلها

(١) النور ٥٥ (*)

---

[٤٨]

ويحلها من كان صاحب عقدها * ثقة به إذا كان يحسن حلها قال: فلم أصل العتمة ذلك اليوم حتى أطلقت فصليتها في دارى. ووجدت في هذا الخبر ان هذه الرقعة وقعت في يد الواثق من الابتداء والجواب، فأمر باطلاق سليمان وقال: والله لا تركت الفرج يموت في حبسي لاسيما من خدمني، فأطلقه وابن الزيات كاره لذلك. وروى أن الحسن البصري دخل على الحجاج واسط فرأى بناءه فقال: " الحمد لله ان هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عبرا، وانا لنرى فيهم عبرا، يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده، وفرس فيتخذه وقد حف به ذباب طمع وفراش نار، ثم يقول ألا فانظروا ما صنعت فقد رأينا يا عد والله ما صنعت فماذا يا أفسق الفاسقين، أما أهل السماء فمقتوك، وأما أهل الارض فلعنوك، ثم خرج وهو يقول: إنما أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه، فتغيظ الحجاج عليه غيظا شديدا وقال يا أهل الشام: هذا عبيد أهل البصرة يدخل على فيشتمني في وجهى فلا يكون له مغير ولا نكير والله لاقتلنه، فمضى أهل الشام إلى الحسن فحملوه إلى الحجاج وعرف الحسن ما قاله، فكان طول طريقه يحرك شفتيه. فلما دخل وجد السيف والنطع بين يدى الحجاج وهو متغيظ، فلما رآه الحجاج كلمه بكلام غليظ فرفق به الحسن ووعظه، فأمر الحجاج بالسيف والنطع فرفعا ولم يزل الحسن يمر في كلامه حتى دعا الحجاج بالطعام فأكلا، وبالوضوء فتوضأ، وبالغالية فغلفه بيده وصرفه مكرما. قال صالح بن مسمار: فقيل للحسن بم كنت تحرك شفتيك ؟ قال قلت: يا غياثي عند دعوتي، ويا عدتي في ملتى، ويا ربى عند كربتي، ويا صاحبي في شدتي، ويا ولي في نعمتي، ويا إلهى وإله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والاسباط، وموسى، وعيسى، ويا رب النبيين كلهم أجمعين، ويا رب كهيعص، وطه، وطس، ويس، ويا رب القرآن الكريم، صل على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وارزقني مودة عبدك الحجاج وخيره ومعروفه، واصرف عنى أذاه وشره ومكروهه ومعرته، قال صالح: فما دعونا بها في شدة إلا فرج عنا.

---

[٤٩]

حدثنا على بن أبى الطيب قال: حدثنا بن الجراح قال: حدثنا ابن أبى الدنيا قال: حدثنا الفضل بن يعقوب قال: لما أخذ أبو جعفر المنصور اسماعيل بن أمية آمر به إلى السجن فمر على حائط مكتوب عليه: " يا ولي في نعمتي، وصاحبى في وحدتي، وعدتي في كربتي " فلم يزل يدعو بها حتى خلى سبيله. فمر على ذلك المكان فلم ير شيئا مكتوبا. حدثنى أبو القاسم محمد بن أحمد الاثرم المقرئ بإسناده: ان عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله بالمدينة هشام بن اسماعيل: أن الحسن بن الحسن قد كاتب أهل العراق، فإذا جاءك كتابي فابعث إليه الشرط فليأتوا به. قال: فأتوا به فشغله عنه شئ فقام إليه على بن الحسين وقال له يا ابن العم: قل كلمات الفرج يفرج الله عنك وهى: " لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلى العظيم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين. " قال وانصرف على بن الحسين وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ هشام من قراءة الكتاب ونزل قال: أرى وجها قد قذف بكذبة خلوا سبيله، وأنا أراجع أمير المؤمنين فيه فأخروه، وكتب إلى عبد الملك فكتب إليه فأطلقه بعد أيام. وروى في الاخبار أنه كان في بنى إسرائيل رجل في صحراء قريبة من جبل يعبد الله عزوجل فيها إذ مثلت له حية وقالت: قد فجأنى من يريد

قتلى فاجرني أجارك الله واخبئني قال: فرفع ذيله وقال ادخلي فتطوقت على بطنه وجاء رجل بسيف وقال يا رجل: حية هربت منى الساعة أردت قتلها فهل رأيتها ؟ فقال: ما أرى شيئا. فانصرف الرجل. فقال العابد لها: أخرجنى فقد أمنت. قالت بل أقتلك وأخرج. فقال لها الرجل: ليس هذا جزائي منك. قالت: لابد. قال: فامهليني حتى آتى سفح هذا الجبل فأصلى ركعتين وأدعو الله وأحفر لنفسي قبرا فإذا نزلته فشأنك وما تريدين. قالت: افعل. وبقيت معلقة بجسمه فصلى بسفح الجبل، ودعا الله فأوحى الله إليه إنى قد رحمت ثقتك بى، ودعاءك إياى فاقبض على الحية فانها تموت في يدك ولا تضرك

ففعل ذلك فنجا، وعاد إلى موضعه وتشاغل بعبادته. ووقعت لى هذه الحكاية على سياقة أخرى وذلك: أن الرجل خبأ الحية في جوفه فقالت له الحية: اختر منى إحدى خصلتين أن أنكتك نكتة فأقتلك، أو اكرث كبدك فتلقيها من أسفل قطعا ؟ قال: والله ما كافأتيني. قالت: فلم تضع المعروف عند من لا يعرفه ؟ وقد عرفت عداوة ما بينى وبين أبيك قديما، وليس معى مال فأعطيك ولا دابة فأحملك ؟ فبهذا أكافئك. قال: فامهليني حتى آتى سفح الجبل، وامهد لنفسي قبرا. فبينما هو يمشى إذا فتي حسن الوجه، طيب الرائحة، حسن الثياب فقال له يا شيخ: مالى أراك مستسلما للموت، آيسا من الحياة ؟ قال من عدو في جوفى يريد هلاكى فاستخرج شيئا من كمه فدفعه إليه وقال: كله، فلما أكله وجد مغصا شديدا ثم ناوله أخرى فأكلها فرمي بالحية من أسفله قطعا. فقال له من أنت ؟ يرحمك الله فما أحد أعظم منة على منك. قال: أنا المعروف الذى صنعت لان أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضربوا كل يسأل ربه أن يغيثك. قال الله عزوجل يا معروف: أدرك عبدى فاياى أراد بما صنع * بلغني أن رجلا جنى على عهد عبد الملك بن مروان جناية فأهدر دمه، وأمر بطلبه وأهدر دم من يأويه، فتحاماه الناس فكان يأوى الجبال والمفاوز مستخفيا لا يذكر اسمه ويضاف اليوم واليومين فإذا عرف طرد. فقال الرجل: كنت يوما أسيح في بطن واد فإذا بشيخ أبيض عليه ثياب بيض قائم يصلى فقمت فصليت إلى جانبه فلما سلم قال لى: من أنت ؟ فقلت رجل أخافني السلطان وقد تحامنى الناس ولم يجرنى أحد فأنا أسيح في هذه البرية خائفا على نفسي. قال: فأين أنت من السبع ؟ قلت وأى سبع. قال: " تقول سبحان الله الواحد الذى ليس غيره، سبحان الدائم الذى لا يعادله شئ، سبحان القائم القديم الذى لا بدء له، سبحان الذى يحي ويميت، سبحان الذى كل يوم هو في شأن الذى خلق ما يرى ومالا يرى، سبحان الذى علم كل شئ بغير تعليم. اللهم إنى أسألك بحق هذه الكلمات وحرمتهن أن تفعل بى كذا وكذا فأعادهن على حتى حفظتهن. قال الرجل: وفقدت صاحبي فألقى الله عزوجل الامن في قلبى فخرجت من وقتى

متوجها إلى عبد الملك بن مروان حتى وقفت ببابه واستأذنت فأذن لى فلما دخلت قال: أوقد تعلمت السحر ؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين ولكنه كان من شأني كذا وكذا وقصصت الخبر فأمنني وأحسن إلى * أخبرني بعض أصحابنا أن صديقا له من الكتاب دفع إلى محنة صعبة فكان من دعائه: " يا كاشف الضر بك استغاث من اضطر " قال: ورأيته نقشه على فص خاتمه، وكان يردد الدعاء به فكشف الله عزوجل محنته عن قرب * حدثنى على بن هاشم، قال: حدثنى أحمد بن محمد. قال مؤلف هذا الكتاب: قال لى أبو القاسم عيسى بن على في كلام جرى بيننا غير هذا طويل: كان أحمد بن محمد أشار على

المقتدر وقد اشتشاره فيمن يقلده الوزارة قال: فأسميت له نفرا وقال سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول: كان المتوكل من أغلظ الناس على ايتاخ، فذكر فيه حديثا طويلا وصف فيه كيف قبض المتوكل على ايتاخ وابن ببغداد لما رجعا من الحج بيد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب قال سليمان ابن وهب: وساعة قبض على ايتاخ ببغداد قبض على بسر من رأى وسلمت إلى عبيد الله بن يحي وكتب المتوكل إلى اسحاق بن ابراهيم بدخوله بسر من رأى ليتقوى به على الاتراك لانه كان معه بضعة عشر الفا لكثرة الظاهرية بخراسان وشدة شوكتهم، فلما دخل اسحاق أمر المتوكل بتسليمي إليه وقال: هذا عدوى ففصل عظامه. هذا كان يلقانى في أيام المعتصم فلا يبدأني بالسلام وأبدأه لحاجتي فيرد على كما يرد المولى على عبده وكل ما دبره ايتاخ فعن رأيه. فأخذني اسحاق وقيدني بقيد ثقيل وألبسنى جبة صوف وحبسني في كنيف وأغلق على خمسة أبواب فكنت لا أعرف الليل من النهار، فأقمت كذلك نحو عشرين يوما لا يفتح على الباب إلا حملة واحدة في كل يوم وليلة، ويدفع إلى فيهما خبز شعير وملح وماء حار، فكنت آنس بالخنافس وبنات وردان وأتمنى الموت لشدة ما أنا فيه فعرض لى ليلة من الليالى أن أطلت الصلاة وسجدت ودعوت الله عزوجل بالفرج وقلت في دعائي: " اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى في دم نجاح بن مسلمة صنع فلا تخلصني مما أنا فيه، وإن كنت تعلم أنه لا صنع لى فيه ولا في غيره من الدماء التى سفكت ففرج عنى. فما استممت الدعاء حتى سمعت

صوت الاقفال تفتح فلم أشك في أنه القتل، ففتحت الابواب وجئ بالشمع وحملنى الفراشون لثقل حديدي، فقلت لحاجبه سألتك بالله أصدقني عن أمرى فقال: ما أكل الامير اليوم شيئا لان أمرك غليظ. وذلك أن أمير المؤمنين وبخه بسببك. وقال سلمت اليك سليمان بن وهب لتسمنه أو تستخرج ماله ؟ فقال الامير أنا صاحب شرطة وسيف ولا أعرف وجوه المناظرة على الاموال وان تقرروا أمره على شئ طالبته به، فأمر الكتاب بالاجتماع عند الامير لمناظرتك والزامك ما يؤخذ به خطك وتطالب به، وقد اجتمعوا واستدعيت لذلك. قال: فحملت إلى مجلس اسحاق فإذا فية موسى ابن عبد الملك صاحب ديوان الخراج. والحسن بن محمد صاحب ديوان الضياع، وأحمد بن اسرائيل الكاتب، وأبو نوح، وعيسى بن ابراهيم كاتب الفتح بن خاقان، وداود بن الجراح صاحب الزمام فطرحت في آخر المجلس، فشتمني إسحاق بن ابراهيم أقبح شتم وقال: يا فاعل يا صانع تعرضني لاستبطاء أمير المؤمنين والله لا فرق بين لحمك وعظمك. ولاجعلن بطن الارض أحب اليك من ظهرها، أين الاموال التى جمعتها من غير وجهها ؟ فاختججت بنكبة ابن الزيات فبدأني الحسن بن محمد فقال: أخذت ممن الناس أضعاف ما أديت، وعادت يدك إلى كتبة إيتاخ فأخذت ضياع السلطان واقتطعتها لنفسك وحزتها سرقة اليك وأنت تستغلها الفى ألف درهم وتتزيا بزى الوزراء، وقد بقيت عليك جملة من تلك المصادرة لم تؤدها وأخذت الجماعة تواجهني بكل قبيح، إلا موسى بن عبد الملك فانه ساكت لصداقة كانت بينى وبينه فأقبل من بينهم على اسحاق فقال يا سيدي: تأذن لى في الخلوة لافصل الامر فقال له اسحاق أفعل. فاستدناني فحملت إليه فسار إلى وقال عزيز على يا أخى حالك، وبالله لو كان خلاصك بنصف ما أملكه لافتديتك به، ولكن صورتك قبيحة وإن خالفتني فأنت والله هالك. فقلت: لا أخالفك. فقال: الرأى أن تكتب خطك بالتزام عشرة آلاف ألف درهم تؤديها في في عشرة أشهر كل شهر ألف ألف درهم وتترفه عاجلا مما أن فيه

---

[٥٣]

فكست سكوت مبهوت. فقال لى مالك ؟ فقلت: والله ما أرجع إلى ربعها إلا بعد بيع عقارى ومن يشترى منى وأنا منكوب، وكيف يتوفر الثمن. فقال: أنا أعلم أنك صادق ولكن احرس نفسك عاجلا بعظم ما تبذله ويطمع فيه من جهتك، وأنا وراء الحيلة لك في شئ أميل به رأى الخليفة إلى صلاحك والله المعين، ومن ساعة إلى ساعة فرج، والا تتعجل الموت، ولا تستفيد الراحة مما أنت فيه يوما. فقلت لست أتهم ودك ولا رأيك وأنا أكتب. فأقبل على الجماعة وقال يا سادتي: إنى قد أشرت عليه أن يكتب بشئ لا طاقة له بأكثر منه، ورجوت أن تعاونه بأموالنا وجاهنا ليمشى أمره، وقد أوقفته ليكتب بكذا وكذا فقالوا الصواب أن تفعل هذا. فدعا له بدواة وقرطاس وأخذ خطه بالمال. فلما أخذ قام موسى بن عبد الملك وقال لاسحاق يا سيدى: هذا رجل قد صار للسلطان عليه مال، وسبيله أن يرفه ويحرس نفسه، وينقل عن هذه الحال ويغير زيه، ويرد جاهه بانزاله في دار كبيرة واخدامه بفرش وآلة حسنة ويمكن من يؤثر لقاءه من أهله وولده وحاشيته ومعامليه ليجد في تمحل الاموال وتبعة الناس ويبيع أملاكه، ويرتجع ودائعه ممن هي عنده. فقال اسحاق: أفعل ذلك الساعة، وغدا أخرجه إلى دار كبيرة كما وصفت، وأمكنه من جميع ما التمست له ونهضت الجماعة. فأمر اسحاق بأخذى في الحال وإدخالي الحمام وجاؤني بخلعة نظيفة فلبستها، وبخور طيب فتبخرت واستدعاني اسحاق فلما دخلت إليه نهض إلى ولم يكن في مجلسه أحد واعتذر إلى مما خاطبني به وقال: أنا صاحب سيف ومأمور، ولقد لحقني اليوم من أجلك سماع كل مكروه حتى امتنعت والله عن الطعام بأن إبتلى بقتلك أو يعتب الخليفة على من أجلك، وإنما خاطبتك بذلك إقامة عذر عند هؤلاء الاشراف ليبلغوا الخليفة ذلك وجعلته وقاية من الضرب والعذاب، فشكرته وقلت ما حضرني من الكلام. فلما كان من غد حولني إلى دار

---

[٥٤]

كبيرة حسنة مفروشة ووكل علي فيها باحسان وإجلال، واستدعيت كل من أردت وتسامع الناس بأمرى وجاؤني ففرج عنى ومضت سبعة وعشرون يوما وقد أعددت ألف ألف درهم وأنا أتوقع أن يرد المحل فأطلب فأؤدى المال، وإذا أنا بموسى بن عبد الملك قد دخل إلى فقمت إليه فقال: أبشر. فقلت ما الخبر ؟ فقال ورد كتاب صاحب مصر بمبلغ مالها لهذه السنة مجملا، ومبلغ الجمل في النفقات يبلغ ذلك حسابا مفصلا فقرأ عبيدالله ذلك على أمير المؤمنين فوقع إلى باخراج مال مصر ليعرف آثار العامل، فأخرجتها من ديوان الخراج والضياع لان ضياع مصر تجرى في ديوان الضياع وتجرى في ديوان الخراج وينفد حسابها إلى الدواوين كما علمت، فجعلت سنتك التى توليت فيها عمالة مصر مصدرة، وأفردت بعدها السنين الناقصة عن سنتك توصلا في خلاصك وجعلت أقول النقصان في سنة كذا وكذا من التى صدرتها كذا وكذا. فلما قرأ عبيدالله المفصل على المتوكل قال: فهذه السنة الوافرة من كان يتولاها ؟ فقلت يا أمير المؤمنين: سليمان بن وهب. فقال المتوكل لم لا يرد إليها ؟ فقلت يا أمير الؤمنين وأين سليمان بن وهب ذاك مقتول بالمطالبة، قد استصفى وافتقر. فقال تزال عنها المطالبة، ويعاون بمائة الف درهم، ويعجل إخراجه. فقلت يا أمير المؤمنين: وترد ضياعه ليرتفع جاهه. قال: ونفعل ذلك. وقد تقدم إلى عبيد الله بذلك واستأذنته في أن أجيئك وأخرجك فأذن لى فقم بنا إلى الوزير. قال وقد كان أرسل إلى اسحاق بوسالة الخليفة يأذن له في إطلاقي فخرجت من وقتى ولم أؤد من المال حبة واحدة ورددته إلى موضعه وجئت إلى عبيد الله فوقع لى بمائة ألف معونة على سفري ودفع إلى عهد مصر فخرجت إليها مسرورا. حدثنى عبيد الله الاسناتى قال: أحزنني أمر ضقت به

ذرعا فأتيت يحي ابن خالد الازرق وكان مستجاب الدعوة فرأني مكروبا قلقا فقال: ما شأنك ؟ قلت: دفعت إلى كيت وكيت. فقال استعن بالله واصبر فإن الله جل جلاله وعد الصابرين أجرا. فقلت: ادع الله فحرك شفتيه بشئ لا أعلم ما هو فانصرفت

على جملة قلقي فبت بليلة عظيمة فلما أصبحت أتانى الله بالفرج. حدثنى أحمد ابن عبد الله بن داسه قال: اعتللت علة عظيمة يئست فيها من نفسه ؟ ى ؟ ادنى بعض أصحاب سهل بن عبد الله التسترى فقال: كان سهل يدعو في علله بدعاء ما دعا به أحد إلا عوفي. فقلت: ما هو ؟ فقال: " اللهم اشفني بشفائك، وداونى بدوائك، وعافنى من بلائك ". فواصلت الدعاء فعوفيت * حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف الازرق قال: حدثنى أبو الحسين البواب المقرئ قال: كان يصحبنا على القرآن رجل مستور صالح يكنى أبا أحمد وكان يكتب كتب العطف للمستورين من الناس فحدثني قال: بقيت يوما بلا شئ وأنا جالس في دكاني، فدعوت الله عزوجل ليسهل لى سببا فما استتمت الدعاء حتى فتح باب دكاني غلام أمرد حسن الوجه جدا فسلم بأدب حسن وجلس. فقلت: ما حاجتك ؟ فقال: أنا عبد مملوك وقد طردني مولاى وغضب على وقال: انصرف عنى إلى حيث شئت، وما أعددت لنفسي من أن أطرحها عليه في مثل هذا الوقت، ولا أعرف من أقصده وقد بقيت متحيرا في أمرى وقد قيل لى إنك تكتب كتاب العطف فاكتب فكتبت الكتاب الذى كنت أكتبه وهو: بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله رب العالمين (١)) - إلى آخر - السورة، و (المعوذتين (٢)) (وآية الكرسي (٣)) (ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله (٤) إلى آخر السورة، وكتبت آيات العطف (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (٥) (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٦) (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا - إلى قوله - لعلكم تهتدون (٧)

---

(١) الفاتحة ١ (٢) الفلق والناس. (٣) البقر ٢٥٥ (٤) الحشر ٢١ (٥) الانفال ٦٣ (٦) الروم ٢١ (٧) آل عمران ١٠٣

وقلت له: خذ هذه الرقعة، فشدها على عضدك الايمن ولا تعلقها عليك إلا إذا كنت طاهرا. قال: فأخذها وقام ووضع بين يدى دينارا عينا فتداخلني رحمة له فصليت ركعتين ودعوت الله عزوجل أن ينفعه بالكتاب، ويرضى عليه قلب مولاه وجلست. فما مضت إلا ساعتان فإذا بأبى الجود خليفة عجيف غلام ناذوك وكان على الشرطة قد جاءني فقال: أجب الامير ناذوك. قال: فخفت. فقال: لا ترع وأركبنى بغلا وجاء بى إلى دار ناذوك فتركني في الدهليز ودخل فلما كان بعد ساعة أدخلت إلى ناذوك فإذا هو جالس في دست عظيم وبين يديه الغلمان قياما نحو ثلاث مائة غلام وأكثر، وكاتبه أبو القاسم جالس بين يديه ورجل لا أعرفه، فارتعت وأهويت لاقبل الارض. فقال: مه عافاك الله لا تفعل هذه من سنن الجبارين، ما نريد نحن هذا اجلس يا شيخ لا تخف. قال: فجلست فقال جاءك اليوم غلام أمرد فكتبت له كتابا للعطف ؟ فقلت: نعم. قال فاصدقني عما جرى بينكما حرفا

حرفا، قال فأعدته عليه حتى لم أخرم منه حرفا، وتلوت عليه الآيات. قال فلما قلت له: إن الغلام قال أنا عبد مملوك وما أعددت لنفسي من أقصده لهذا الحال ولا أعرف جهة ألجأ إليها وقد طردني مولاى بكيت أنا لما تداخلنى من رحمتى للفتى ومحبتى للدينار الذى أعطانيه. قال: فدمعت عين ناذوك ثم تجلد واستوفى الحديث وقال قم يا شيخ بارك الله فيك وعليك، ومهما عرضت لك حاجة أو لجارك أو لصديقك فاسألني إياها فانى أقضيها إن شاء الله تعالى، وأكثر الحضور عندنا، وانبسط في هذه الدار فانك غير محجوب عنها، فدعوت له وخرجت فلما صرت في الدهليز إذا بالفتى فعدل بى إلى موضع وأجلسني فقلت: ما خبرك ؟ قال أنا غلام الامير وكان قد عضب على وطردني فجئتك فلما جلست عندك طلبني فرجعت فإذا برسل قد انبثوا في طلبى، فلما حضرت قال أين كنت فحدثته، فلم يصدقني فطلبك فلما حدثته بمثل ما حدثته أنا حرفا بحرف وخرجت الساعة أحضرني وقال يا بنى إنك الساعة من أجل غلماني عندي، وأمكنهم من قلبى، وأخصهم بى إذ كنت لما عاملتك بهذا ما غيرك ذلك

عن محبتى والرغبة في خدمتي، وطلب الحيل في الرجوع إلى، وانكشف لى أنك ما أعددت لنفسك بعد الله عزوجل سواى، ولا عرفت وجها تلجأ إليه في الدنيا غيرى، فما ترى بعد هذا إلا كل ما تحبه وسأ على منزلتك، وأبلغ بك مراتب نظرائك، ولعل الله عزوجل استجاب فيك دعاء هذا الشيخ ونفعك بالآيات من القرآن العظيم، فبأى شئ كافأت الرجل ؟ فقلت: ما أعطيته غير ذلك الدينار. فقال سبحان الله: قم إلى الخزانة وخذ ما تريد واعطه فأخذت هذا من الخزانة وجئتك به. وأعطاني خمسمائة درهم. وقال: الزمنى فانى أحسن اليك إن شاء الله تعالى فجئته بعد مدة فإذا هو قائد جليل، وصار لى عدة على الزمان. قال وحدثنا أبو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن المهتدين، قال: حدثنى أبو مروان الحامدي، قال: لما ظلم الناس بواسط أحمد بن سعيد الكوفى وهو إذ ذاك يتقلدها لناصر الدولة وقد تقلد ناصر الدولة أمرة الامراء ببغداد كنت أحد من ظلم ظلمنى وأخذ من ضيعي بالحامدية نيفا وأربعين كرا أرزا بالنصف من حق الدهقنة بغير تأويل سوى ما أخذه من حق بيت المال وظلم فيه، فتظلمت إليه وكلمته فلم ينصفني وكان الكر الارز بالنصف إذ ذاك يساوى ثلاثين دينارا فقلت له: قد أخذ سيدنا أيده الله منى ما أخذ ووالله ما عندي أنا وعيالي شئ سواه، ومالى ما أقوتهم به باقى سنتى، ولا ما أعمر به ضيعتي وقد طابت نفسي أن يطلق لى من جملته عشرة اكرار وأجعل الباقي له حلالا. فقال: لا أفعل. وبكيت بين يديه وقبلت يده ورققته وقلت: فهب لى ثلاثة اكرار وتصدق بها على وأنت من جميعه في حل، فقال: والله ولا رزة واحدة. قال فتحيرت وقلت له فإنى أتظلم إلى الله عزوجل منك. فقال كن على ظلامتك يكررها دفعات ويكسر الميم بلسان أهل الكوفة، فانصرفت محترق القلب منقطع الرجاء، فجمعت عيالي وما زلت أدعو الله عليه ليالى كثيرة، فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من أخذ الارز فجئت إلى البيدر وأرزى مطروح فيه، وأخذته وحملته إلى منزلي، وما عاد

الكوفى إلى واسط ولا أفلح * حدثنى غير واحد من الكتاب عمن سمع أبا على بن مقلة لما عاد من فارس وزيرا يتحدث قال: من طريف ما أتفق في نكبتي هذه التى أدتني إلى الوزارة أنى أصبحت

وأنا محبوس مقيد في حجرة من دار ياقوت أمير فارس، وقد لحقني من الاياس من الفرج وضيق الصدر بها من أقنطنى وكاد يغلب على عقلي، وكنت أنا وفلان محبوسين مقيدين في بيت واحد من الحجرة إلا أنا على سبيل ترفيه واكرام. فدخل علينا كاتب لياقوت كان كثيرا ما يجيئنا برسالته. فقال الامير يقرأ عليكما السلام ويعرف أخباركما، ويعرض عليكما قضاء أي حاجة كانت لكما. فقلت له: تقرأ على الامير السلام وتقول له: قد ضاق والله صدري، واشتهيت أن أشرب على غناء طيب، فان جاز أن يسامحنا بذلك سرا فيتخذ به عندنا منة وبرا تفضل بذلك. قال: والمحبوس معى يخاصمني ويقول يا هذا: والله ما في قلوبنا فضل لهذا. فقلت للكاتب أعد عنى ما قلت لك. قال: السمع والطاعة ومضى ثم جاء وقال: الامير يقول لك حبا وكرامة لك وعزازة أي وقت شئت فقلت الساعة، فلم يمض إلا ساعة حتى جاؤا بالطعام فأكلنا والمشام والفاكهة والنبيذ وصفف المجلس فجلست والمحبوس معى مقيدا، وقلت له تعال حتى نشرب ونتفاءل بأول صوت يغنى به لنا في هذه الساعة في سرعة الفرج مما نحن فيه فلعله يصح الفأل، فقال: أما أنا فلا أشرب فلم أزل أرفق به حتى شرب وجاءت المغنية فكان أول صوت غنته شعر: قواعد للبين الخليط لينبوا * وقالوا لراعي الذود موعدك السبت ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة * وأفظع شئ حين يفجؤك البغت فقال لى: ما هذا مما يتفاءل به، وأى معنى فيه يدل على فرجنا ؟ فقلت: ما هو إلا فأل مبارك، ولعل الله أن يفرق بيننا وبين هذه الحال التى نحن فيها بالفرج والصلاح يوم السبت. قال وشربنا يومنا وسكرنا وانصرفت المغنية ومضت بقية أيام ذلك الاسبوع. فلما كان يوم السبت لم يمض من النهار إلا دون ساعتين فإذا بياقوت قد دخل علينا فجأة فارتعنا وقمت إليه فقال أيها الوزير: الله الله في واقبل

مسرعا إلى وعانقني وأجلسني وأخذ يهنيني بالوزارة فتهنيت ولم يكن عندي علم من شئ من الامر، ولا مقدمة له فأخرج كتابا قد ورد عليه من القاهر بالله يعلمه فيه تقليده إياى الوزارة، ويأمره فيه بطاعتي وسلم إلى كتابا من القاهر بمثل ذلك يأمرنى فيه بالنظر في أمر فارس والاولياء بها واستصحاب ما يمكننى من المال وتدبير أمر البلدة بما أراه والبدار إلى حضرته فانه قد استخلف لى إلى وقت حضوري الكلوباذى. فحمدت الله تعالى وشكرته وإذا الحداد واقف فتقدمت إليه يفك قيودي وقيود الرجل ففكت ودخلت الحمام وأصلحت من أمرى وأمر الرجل وخرجت فجلست ونظرت في الاعمال والاموال وجمعت مالا جليلا في مدة يسيرة وقررت أمور البلدة واستصحبت الرجل إلى الحضرة حتى جلست هذا المجلس وفرج الله عنى وعنه في يوم السبت * وقال ابراهيم بن العباس: كنت أكتب لاحمد بن أبى خالد فدخلت عليه يوما فرأيته مطرقا مفكرا مغموما، فسألته عن خبره فاخرج لى رقعة فإذا فيها: ان حظية من أعز جواريه يخالف إليها وتوطئ فراشه غيره، ويستشهد في الرقعة خادمين على ذلك كانا ثقتين عنده. قال، فدعوت الخادمين وسألتهما عن ذلك فانكراه فتهددتهما بالقتل فأقاما على الانكار فضربتهما فاعترفا بذلك على الجارية بكل ما في الرقعة، وإنى لم أذق أمس واليوم ذواقا وقد هممت بقتل الجارية. قال: فوجدت بين يديه مصحفا ففتحه فكان أول ما خرج فيه: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (١) الآية قال: فشككت أنا في صحة الحديث ورأيته ما خرج في الفأل وقلت دعني أتلطف في كشف هذا. فخلوت بأحد الخادمين وناجيته عن الامر فقال النار ولا العار، وذكر أن امرأة أحمد بن أبى خالد وجهت إليه بكيس فيه ألف دينار وسألته الشهادة على الجارية وأمرته أن لا يذكر شيئا إلا بعد أن يقع به مكروه ليكون أثبت للخبر، وأحضر الكيس مختوما بختم المرأة، ودعوت بالآخر فخلوت به فاعترف بمثل هذا فبادرت إلى أحمد بالبشارة فما

(١) الحجرات ٦

[٦٠]

وصلت إليه حتى وردت رقعة الحرة تعلمه أن الرقعة الاول كانت من فعلها غيرة عليه من الجارية، وأن جميع ما فيها باطل، وأنها هي التى حملت الخادمين على ذلك وأنها تائبة إلى الله عزوجل من هذا الفعل وأمثاله. فجاءته براءة الجارية من كل جهة فسر بذلك وزال ما كان فيه وأحسن لى الجائزة. وقال الحسن بن الحسن: إن عبد الله بن جعفر زوج ابنته فلما أراد أن يهديها إلى زوجها خلا بها فقال: إذا نزل بك الموت أو أمر من أمر الدنيا فظيع فاستقبليه بأن تقول: " لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين ". قال الحسن بن الحسن فبعث إلى الحجاج فقلتهن فلما مثلت بين يديه قال: لقد بعثت اليك وأنا أريد أن أضرب عنقك. ودخلت إلى وما من أهل بيت على أكرم منك سل حاجتك. عن الشعبى قال: كنت جالسا عند زياد فجاء رجل إليه يحمل ولم نشك في قتله فحرك الرجل شفتيه بشئ لا ندرى ما هو فخلى سبيله. فقلت للرجل: ما قلت ؟ قال قلت: " اللهم رب ابراهيم، واسماعيل، واسحاق، ويعقوب، والاسباط، ورب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومنزل التوراة، والانجيل، والقرآن العظيم، ادرأ عنى شر زياد " فدر أعنى شره * حدثنى أبو عبد الله الحزنبل قال: أمر الرشيد خادمه قال: إذا كان الليلة فصر إلى الحجرة الفلانية فافتحها فخذ من رأيت فائت به موضع كذا وكذا من الصحراء فانك تجد قليبا مفحورا فارم به فيه وطمه بالتراب وليكن معك فلان الحاجب. (قال): فجاء إلى باب الحجرة ففتحها فإذا فيها غلام كأنه الشمس الطالعة قال فجذبه إليه جذبا عنيفا. فقال له: اتق الله في فإنى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله أن تلقى جدى بدمى. قال فلم يلتفت إليه وأخرجه إلى الموضع (قال): فلما أشرف الفتى عل التلف قال يا هذا: إنك على فعل ما لم تفعل أقدر منك على رد ما فعلت. فدعني أصلى ركعتين وأمض ما أمرت به. فقال له شأنك وما تريد فافعل. فقام الفتى فصل ركعتين ثم سمعناه يقول: " يا خفى اللطف أغثنى في وقتى هذا، والطف بى بلطفك الخفى ". فلا والله ما استتم دعاءه

[٦١]

حتى هبت ريح باردة، وغبرة فلم ير بعضنا بعضا، ووقعنا لوجوهنا، واشتغلنا بأنفسنا عن الفتى، ثم سكنت الريح والغبرة فرأينا الكواكب وطلبنا الفتى فلم نجده. ورأينا قيوده مرمية بحضرتنا. قال فقال الحاجب للخادم هلكنا سيقع لامير المؤمنين أنا أطلقناه فماذا نقول لئن نحن كذبناه لم نأمن أن يبلغه حبر الفتى، ولئن صدقناه ليعجلن المكروه علينا ؟ فقال أحدهما للآخر لئن كان الكذب ينجى فالصدق أنجى. فلما دخلوا عليه قال هلم ما فعلتما ؟ فقال الحاجب يا أمير المؤمنين الصدق أولى ما اتبع ومثلى لا يجترئ أن يكذب على أمير المؤمنين، وأنه كان من الخبر كذا وكذا فقصه عليه. فقال الرشيد: والله لقد تداركه اللطف الخفى، والله لاجعلنها من مقدمات دعائي امض لشأنك واكتم ما جرى. وعن أبى سلمة عبيدالله بن منصور قال: جرت على رجل شدة هاضته فلح في الدعاء ذات ليلة فهتف به هاتف يا هذا: " قل يا سامع كل صوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، ويا من لا تغشاه الظلمات، ويا من لا يشغله شئ عن شئ ". قال فدعا بها ففرج الله عنه ولم يسأل ربه حاجة تلك الليلة إلا أعطاه * وعن اسحاق العروانى قال: زحف الينا ابن ادمهو مرد عند مدينة

الكرج في ثمانين فيلا فكادت تنقض الصفوف والخيول فكرب لذلك محمد ابن القاسم، فنادى عمران بن النعمان أمير أهل حمص وأمر الاجناد فنهضوا فما استطاعوا فلما أعيته الامور نادى مرارا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. فكف الله الفيلة بذلك وسلط عليها الحر فأنضجها فنزعت إلى الماء فما استطاع سواقها ولا أصحابها حبسها وحملت الخيل عند ذلك فكان الفتح * قال كان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقى العدو أو ناهض حصنا قول: لا حول ولا قوه إلا بالله. وانه ناهض يوما حصنا فانهزم الروم فقالها المسلمون فانصدع الحصن. حدثنى الحسين بن عبد الرحمن: أن بعض الوزراء نفاه الملك لموجدة وجدها عليه فاغتم لذلك غما شديدا فبينما هو ذات ليلة في مستتر له إذ أنشد رجل معه بيتين من شعر وهما:

أحسن الظن برب عودك * حسنا أمس وسوى أودك إن ربا كان يكفيك الذى * كان بالامس سيكفيك غدك قال: فسرى عنه ما كان فيه وأمر له الملك بعشرة آلاف درهم. وعن محمد بن رجاء قال: أصابني غم شديد لامر كنت فيه فرفعت مقعدا لى كنت جالسا عليه فإذا رقعة فنظرت فيها فإذا مكتوب بيت شعر. يا صاحب الهم إن الهم منقطع * لا تيأسن كان قد فرج الله قال: فذهب عنى ما كنت أجده من الغم، ولم ألبث أن فرج الله عنى * حدثنى أبو بكر الثقفى قال: قال رجل أصابني غم ضقت به ذرعا فنمت فرأيت في المنام كان قائلا يقول هذه الابيات: كن للمكارم بالغرام مقطعا * فلعل يوما أن ترى ما تكره ولربما ابتسم الوقور من الاذى * وضميره من حره يتأوه قال مؤلف هذا الكتاب: حدثني على بن الحسن الشاهد من حفظه قال حدثنى أبو الحسن بن أبي الطاهر محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش قال: قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته للقاهر بالله على أبى، وعلى معا فحبسنا في حجرة من دار ضيقة وأجلسنا على التراب، وشدد علينا، وكان يخرجنا كل يوم فيطالب أبى بمال المصادرة، واضرب أنا بحضرته ولا يضرب هو، فلاقينا من ذلك شدة صعبة. فلما كان بعد أيام قال لى أبى إن هؤلاء الموكلين بنا قد صارت لنابهم حرمة، فتوصل إلى مكاتبة أبى بكر الصيرفى وكان صديقه حتى ينفذ الينا ثلاثة آلاف درهم نفرقها عليهم. ففعلت ذلك فأنفذ الدارهم من يومه فقلت للموكلين في عشية ذلك اليوم: قد وجبت لكم علينا حقوق خذوا الدراهم فانتفعوا بها. فامتنعوا من ذلك فقلت: ما سبب امتناعكم ؟ فوروا عنى. فقلت أما قبلتم وأما عرفتموني السبب ؟ فقالوا نشفق عليك من ذكره، ونستحى. فقلت لابي: قل لهم اذكروه على كل حال. فقالوا: قد عزم الوزير على قتلكما الليلة

ولا نستحسن أخذ شئ منكما مع هذا الحال. فقمت وتغير حالى فقال أبى اردد الدراهم على أبى بكر فدفعتها إلى من جاء بها فردها عليه، وكان أبى يصوم تلك الايام كلها فلما غابت الشمس ذلك اليوم وتطهر لم يفرط وصلى المغرب وصليت معه ثم أقبل على الصلاة والدعاء إلى أن صلى العشا الآخرة. ثم دعاني فقال: اجلس يا بنى جاثيا على ركبتيك ففعلت، وجلس هو كذلك ثم رفع رأسه إلى السماء فقال يا رب: " محمد بن القاسم قد ظلمنى، وحبسني على ما ترى، وأنا بين يديك، قد استغثت اليك، وأنت أحكم الحاكمين، فاحكم بيننا ". لا يزيد عليها، ثم صاح بها إلى أن ارتفع صوته ولم يزل يكررها بصياح وبكاء، واستغاثة إلى أن ظننت أنه قد مضى ربع الليل. فوالله ما قطعها حتى سمعت الباب يدق فذهب عنى أمرى، ولم

أشك أنه القتل وفتحت الابواب فدخل قوم بشموع، فتأملت فإذا فيهم سابور خادم القاهر. فقال: أين أبو طاهر ؟ فقام أبى فقال: ها أنا ذاك. فقال أين ولدك ؟ فقال: هو ذا. فقال انصرفا إلى منزلكما. فإذا هو قد قبض على محمد بن القاسم وأخذه إلى دار القاهر فانصرفنا وعاش محمد في الاعتقال ثلاثة أيام ومات. لما خرج طاهر بن الحسين إلى محاربة على بن عيسى بن ماهان جعل ذات يوم في كمه دراهم يفرقها على الفقراء، ثم أسبل كمه ناسيا فانتقضت الدراهم فتطير من ذلك واغتم فانتصب له شاعر فقال: هذا تفرق جمعهم لا غيره * وذهابه منه ذهاب الهم شئ يكون الهم نصف حروفه * لا خير في إمساكه في الكم فسلى همه وما به وأمر له بثلاثين ألف درهم. انصرف يحيى بن خالد البرمكى من عند الهادى وقد ناظره في تسهيل خلع العهد عن هارون الرشيد ويحيى يحلف أنه قد فعل ذلك وجهد به فامتنع هارون. فقال له الهادى: كذبت هذا من فعلك، والله لافعلن بك ولاصنعن، وتوعده بكل عظيمة وصرفه، فجاء إلى داره فكلم غلامه في شئ فأجابه بما أعاظه، فلطمه يحيي فانقطعت حلقة خاتمه وضاع الفص.

فاشتد ذلك عليه وغمه فدخل عليه الشيارى الشاعر عقيب ذلك فأخبره بالقصة فقال في الحال. أخلاك من كل الهموم سقوطه * وأتاك بالفرج انفراج الخاتم قد كان ضاق فقلت حلقة ضيق * فاصبر فما ريب الزمان بدائم فما أمسى حتى ارتفعت الناعية على موسى وصار الامر إلى هارون، وأعطى يحيى الشيارى مائة ألف درهم. قال أبو على العتائى: حدثنى جدى، قال: بكرت يوما إلى موسى بن عبد الملك، وحضر داود بن الحاج فوقف إلى جانبى فقال: كان بى أمس خبر طريف انصرفت من عن موسى بن عبد الملك فوجدت في منزلي امرأة شريفة من شرائف النساء فشكته إلى وقالت: قد حاول أن يأخذ ضيعتي الفلانية وأنت تعلم أنها عمدتي في معيشتي، وان في عنقي صبية أيتاما فأى شئ تدبر في أمرى وتشير علي ؟ فقلت لها: من معك وراء الستر ؟ قالت: ما معى أحد فقلت لها أما التدبير في أمرك فمالى فيه حيلة، وأما المشورة فقد قال النبطي: لا تبع أرضك من اقدام الرجل الردئ، فإن الردئ يموت، والارض تبقى. فدعت لى وانصرفت فنحن كذلك إذ خرج موسى فقال لداود بن الحاج، يا أبا سليمان: لا تبع أرضك من اقدام الشرير فانه يموت والارض تبقى. فقال لى داود: سمعت هذا والله هو الموت، أين أهرب أين أمضى، ما آمنه والله على نفسي، ولا نعمتي فأشر على ما اصنع قبل نفاد طريقنا إلى الديوان ؟ فقلت ما ادرى فرفع طرفه إلى السماء وقال: " اللهم اكفني شره وضره وامره، فإنك عالم بقصتي وما أردت بما قلت إلا الخير،. واشتد قلقه وكثر بكاؤه وقربنا من الديوان. فقال موسى وهو على حالته: متى حدث هذا الجبل الاسود في طريقنا ومال على سرجه حتى سقط واستكث اسنانه وحمل إلى منزله وكان آخر العهد به. ذكر المدايني في كتابه قال: قال أبو سعيد - وانا احسبه الاصمعي: نزلت يوما بحى من كليب مجدبين، وقد توالت عليهم سنون موتت الماشية، ومنعت

الارض خروج نباتها وأمسكت السماء قطرها، فجعلت أنظر إلى السحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء متقاربة حتى تطبق السماء ويشرف لها الحى ويرفعون أصواتهم بالتكبير ثم يعدلها الله عنهم مرارا. فلما كثر ذلك خرجت عجوز فعلت شرفا ثم نادت بأعلى صوتها: " يا ذا العرش اصنع كيفما شئت فإن أرزاقنا عليك " فما نزلت من

موضعها حتى تغمت السماء فمطرت مطرا كاد أن يغرقهم وأنا حاضر. حدثنا على بن أبى الطيب بالاسناد عن وضاح بن خيثمة قال: أمرنى عمر ابن عبد العزيز بإخراج من في السجن فأخرجتهم إلا يزيد بن أبى مسلم فهدر دمى. فقال: والله إنى لبإفريقية إذ قيل قدم يزيد بن أبى مسلم فهربت منه، فارسل في طلبي فأخذت فأتى بى. فقال وضاح: فقلت: نعم فقال أما والله لطالما سألت الله تعالى أن يمكننى منك. فقلت: وأنا والله لطالما استعذت الله من شرك. فقال: والله ما أعاذك الله، ووالله لاقتلنك، والله لو سابقني ملك الموت على قبض روحك لسبقته. على بالسيف والنطع. قال فجئ بهما واقعدت فيه وكتفت وقام قائم على رأسي بالسيف مشهورا، وأقيمت الصلاة فخرج إليها فلما خر ساجدا أخذته السيوف من أهل الهند فقتل، فجاءني رجل وقطع كتافى بسيفه وقال انطلق. حدثنى أبو الطيب عبد العزيز حماد بإسناد كثير، عن القاضى التنوخى الانباري قال: حدثنى أبو عبد الله بن أبى عوف البزورى، قال: دخلت على أبى العباس بن ثوابة وكان محبوسا فقال لى احفظ عنى فقلت نعم فقال شعرا: عواقب مكروه الامور خيار * وأيام شر لا تدوم قصار وليس بباق بؤسها ونعيمها * إذا كر ليل ثم كر نهار فلم يمض أيام يسيرة حتى أطلق من محبسه * حدثنى أحمد بن عبد الله الوراق، عن أبى بكر المعروف بالمستعينى بإسناد عن بعض تجار المدينة قال: كنت أختلف إلى جعفر بن محمد وكنت له خليطا وكان يعرفني

بحسن حال فتغيرت حالتى فرق لي فأتيته فجعلت أشكو إليه سوء حالتى فقال شعرا: فلا تجزع وإن أعسرت يوما * فقد أيسرت في الدهر الطويل ولا تيأس فإن اليأس كفر * لعل الله يغنى عن قليل ولا تظنن بربك ظن سوء * فإن الله أولى بالجميل قال فخرجت من عنده وأنا أغنى الناس. وفى رواية أخرى زيادة وهى: فان العسر يتبعه يسار * وقيل الله أصدق كل قيل فلو أن العقول تسوق زرقا * لكان المال عند ذوى العقول وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه بالاسناد عن محمد بن موسى بن الفرات قال: كنت أتولى ماء سيدان، وكان صاحب البريد بها على بن زيد، وكان قديما يكتب للعباس بن المأمون فحدثني: أن العباس غضب عليه وأخذ كل ما كان يملك حتى بقى بسر من رأى لا بملك شيئا إلا برذونه بسرجه ولجامه ومنطقته وطيلسانا وقميصا وشاشية، وانه كان يركب في أول النهار فليقى من يحتاج إلى لقائه، ثم ينصرف فيبعث برذونه إلى الكراء فيكسب عليه ما يعلفه وما ينفق هو وغلامه عليه. فاتفق في بعض الايام أن الدابة لم يكسب عليها شيئا فبات هو وغلامه طاويين. قال: ونالنا من الغد مثل ذلك. فقال لى الغلام: نحن نصبر ولكن الشأن في الدابة إنا نخاف أن تعطب. فقلت يا بنى فنعمل ماذا: ؟ ليس إلا السرج واللجام والمنطقة والطيلسان والقلنسوة ومتى بعنا منها شيئا بطلت الحركة وبطل التصرف. قال: فانظر في أمرك. قال فنظرت فإذا فراشي حصير خلق، ومخدتى لبنة أغشيها بخرقة وما أتمسح فيه للصلاة مطهرة خزف فلم أجد شيئا غير منديل ديبقى خلق قد بقى منه الاسم فقلت للغلام بع هذا المنديل واشترى لنا لحما بدرهم واشوه فقد قرمت إليه. فمضى الغلام وأخذ المنديل وبقيت في الدار وحدي وفيها شاهمرج قد جاع، فلم أشعر إلا بعصفور قد سقط في المظهرة التى فيها الماء لظهري عطشا فشرب ونهض إليه الشاهمرج فناهضه فلضعفه قصر عنه، وطار العصفور فوقف الشاهمرج

فأخذه بحمية فابتلعه. فلما صار في حوصلته دخل المطهرة فتغسل ونشر جناحيه وصاح ونشط فبكيت ورفعت رأسي إلى السماء. فقلت: " اللهم كما فرجت عن هذا الشاهمرج ففرج عنى وارزقني ". فما رددت طرفي حتى دق الباب داق فقلت: من ؟ فقال: إبراهيم بن نوح، وكان للعباس وكيل هذا اسمه. فقلت ادخل، فنظر إلى صورتي فقال: مالى أراك على هذه الحالة. فكتمته خبرى. فقال: الامير يقرأ عليك السلام وقد أصبح في هذا اليوم وهو يذكرك وأمر لك بخمسمائة دينار وأخرج الكيس ووضعه بين يدى. فحمدت الله تعالى ودعوت للعباس ثم أريته قصتي وأطلعته دارى وبيوتى وعرفته خبر الدابة والمنديل والشاهمرج والدعوة فتوجع لى وانصرف. فلم يلبث أن عاد وقال: قد صرت إلى الامير وحدثته حديثك كله فتوجع وأمر لك بخمسمائة دينار أخرى ثانية لتلك وانفق هذه إلى أن يصنع الله عزوجل. وعاد غلامي وقد باع المنديل ببضع عشرة درهما فاشترى ما أمرته فأريته الدنانير وحدثته الحديث وما زال صنع الله يتعاهدني * قال المدايني في كتابه وحدث القاضى أبو الحسن في كتابه عن المدايني بغير إسناد واللفظان متقاربان: ان اعرابية كانت تخدم نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرا تتمثل بهذا البيت: ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا * إلا أنه من ظلمة الكفر أنجانى فقيل لها: إنك لتكثرين التمثل بهذا البيت وإنا لظنه لامر فما هو ؟ فقالت أجل كنت عسيفة على قوم من البادية - والعسيف الاجير - فجاءت جارية منهن فاختطف وشاحها عقاب ونحن لا ندرى. فقلن إن الوشاح أنت صاحبته، فحلفت واعتذرت فابين قبول قولى واستدعين الرجال فجاؤا وفتشوني فلم يجدوا شيئا. فقال بعضهم احتملته في فرجها، فأرادوا أن يفتشوا فرجى فما ظنكم بامرأة تخاف ذلك. فلما خفت الشر رفعت رأسي إلى السماء وقلت: " يا رباه أغثنى ". فمرت العقاب فطرحته بيننا فندموا وقالوا ظلمنا المسكينة وجعلوا يعتذرون إلى فما وقعت في كربة إلا ذكرت ذلك وهو يوم الوشاح ورجوت الفرج * حكى القاضى أبو الحسين في كتابه قال: حدثنى

أبو الحسين بن نمير الخزاعى، قال: سار الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى البرمكى في حاجة له فلم يرفع له رأسا، ولا قضى له حاجة له فقام مغضبا، فلم يدع به ولا اكترث بغضبه، وفى المجلس يحيى بن خالد فقال لبعض خاصته، اتبعه فانظر ماذا يقول ؟ فان الرجل ينبئ عما في نفسه من ثلاثة أماكن: إذا اضجع على فراشه، وإذا خلا بفرسه، وإذا استوى على سرجه. قال الرجل: فاتبعته فلما استوى على سرجه عض على شفتيه وقال شعرا: عسى وعسى يثنى الزمان عنانه * بعثرة دهر والزمان عثور فتدرك آمال وتقضى مآرب * ويحدث عن بعد الامور أمور قال: فلم يكن بين ذلك وبين سخط الرشيد على البرامكة إلا أيام يسيرة. وفى رواية أخرى: أن يحيى بن خالد رده وقضى حوائجه. أخبرني على بن عبد الله الوراق المعروف بابن لؤلؤ بالاسناد عن عبد الله بن جعفر: أنه أصابه مرض فمنعه من الطعام والنوم. فبينما هو ذات ليلة ساهر إذ سمع وجبة في حجرته فإذا هو يسمع كلاما فوعاه فبرئ مكانه. والكلام: " اللهم أنا عبدك ولك أملى، فاجعل الشفاء في جسدي، واليقين في قلبى، والنور في بصرى، وذكرك في الليل والنهار ما بقيت في لساني، وارزقنى منك رزقا غير ممنوع ولا محظور ".

الباب الرابع من استعطف غضب السلطان بصادق لفظ، واستوفف مكروها بموقظ بيان أو وعظ قرئ على أبى بكر الصولى بالبصرة وأنا

أسمع في كتابه: " كتاب الوزراء ". وجدت بخط ابراهيم بن جاهين، حدثنى على بن محمد النوفلي: أن المأمون ذكر عمرو بن مسعدة واستبطأه في أشياء، وكان ذلك بحضرة أحمد بن أبى خالد فأخبر به عمروا أحمد، فدخل عمرو إلى المأمون فرمى بنفسه وقال: أنا عائذ بالله من سخطك يا أمير المؤمنين، أنا أقل من أن يشكوني أمير المؤمنين إلى أحد، ويسر على ضغنا يظهر منه لمكانة ما ظهر. فقال له المأمون وما ذاك ؟ فأخبره بما بلغه. فقال لم يكن كذلك، وإنما جرى معنى أوجب ذكر ما ذكرت فقدمته قبل أن أخبرك به وكان ذلك عزمى، ومالك عندي إلا ما تحب فليفرج روعك، وليحسن ظنك وسكن ما به حتى شكره وجعل ماء الحياة يدور في وجهه. فلما دخل أحمد بن أبى خالد قال له: اشكو إليك من بحضرتي من أهلى وخدمي فما للمجلس حرمة حتى تؤدى ما يجرى فيه إلى عمرو بن مسعدة فقد أبلغ لى شيئا قلته فيه فاتهمت به بعض بنى هاشم ممن كان حاضرا، وذلك أن عمرا دخل على فأعاد ما كان واعتذر، فجعلت أعتذر إليه بعذر لم يبن الحق نسجه، ولم يتسق القول فيه، وان لسان الباطل ينبئ عن الظاهر بالباطن. فقال له أحمد: لا يتهم أمير المؤمنين أحدا أنا أخبرت عمرا. قال: ما دعاك إلى ذلك ؟ قال الشكر لله والله لاصطناعك. والنصح بك والمحبة لاتمام نعمتك على أوليائك وخدمك، وقد علمت أن أمير المؤمنين يحب إصلاح الاعداء والبعداء، فكيف بالاولياء والقرباء، لاسيما مثل عمرو في موضعه من الدولة، وموقفه من الخدمة، ومكانه من أمير المؤمنين فأخبرته بما أنكره عليه ليقوم أود يقينه، ويتلافى ما فرط منه. وإنما العيب لو أزعت سرا فيه قدح على السلطان أو نقض تدبير له. فقال له

المأمون: أحسنت والله يا أحمد إذ أخبرتني بخاصة الظن، وصدقتني عن نفسك * أخبرني أبو الفرج الاصفهانى، عن الحسين بن على السلومى، عن أحمد بن سعيد بالاسناد: أنه لما قتل ابراهيم بن عبد الله بباخمرى حشرنا من المدينة فلم يترك فيها محتلم حيت قدمنا الكوفة فمكثنا فيها شهرا نتوقع القتل، ثم خرج الينا الربيع الحاجب فقال يا هذه الامة العلوية: أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوى الحجى. قال: فدخلت أنا والحسين بن زيد فلما صرت بين يديه قال لى: أنت الذى تعلم الغيب ؟ قلت لا يعلم الغيب إلا الله جل ثناؤه. قال: أنت الذى يجبى اليك هذا الخراج ؟ قلت: اليك يجيئ يا أمير المؤمنين الخراج. قال: أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت: لا، قال: أردت أن أهدم رباعكم، وأغور قليبكم، وأعقر نخلكم، وانزلكم بالسراة لا يجيئكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق، فانهم لكم مفسدة. قلت يا أمير المؤمنين: ان سليمان أعطى فشكر، وأن أيوب ابتلى فصبر، وان يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك القبيل. قال فتبسم وقال: أعد فأعدت. قال: مثلك فليكن زعيم القوم قد عفوت عنكم، ووهبت لكم خراج أهل البصرة * قلت حدثنى أبى، عن آبائه، عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: " الارحام معلقة بالعرش تقول: صل من وصلنى، واقطع من قطعني ". قال: زد من هذا. قلت: حدثنى أبى، عن على رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يقول: أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت له إسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته " * حدثنا على بن الحسن بالاسناد قال: حج أبو جعفر المنصور في سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به تعبا قتلني الله إن لم أقتله، فأمسكت عنه رجاء أن ينساه، فأغلظ في الثانية فقلت: جعفر بن محمد بالباب. فقال: ائذن له فدخل. فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد في سلطاني. وتبغى الغوائل في ملكى. قتلني الله إن لم أقتلك. قال جعفر يا أمير المؤمنين: ان سليمان أعطى فشكر، وان أيوب ابتلى فصبر، وإن

يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك النسخ. فسكت طويلا ثم رفع رأسه وقال: أنت عندي يا أبا عبد الله البرى الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذى رحم أفضل ما يجزى به ذوو الارحام عن أرحامهم، ثم تناول يده فأجلسه على مفرشه ثم قال: يا غلام على بالمنفخ. والمنفح مدهن كبير فيه غالية فأتى به فغلغه بيده حتى خلت لحيته قاطرة ثم قال: في حفظ الله وكلاءته. يا ربيع: الحق أعط أبا عبد الله جائزته وكسوته وانصرف. فلحقته فقلت: إنى قد رأيت ما لم ير، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك فما الذى قلت ؟ فقال: نعم. إنك رجل منا أهل البيت، ولك محبة وود، قلت: " اللهم احرسني بعينك التى لا تنام، واكنفنى بكنفك الذى لا يرام، وارحمني بقدرتك على، لا أهلك وأنت رجائي يا رب، كم من نعمة أنعمت بها على، قل لك عندها شكرى فلم تحرمنى، فيامن قل عند بليته صبرى فلم يخذلني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحنى، يا ذا المعروف الذى لا ينقضى أبدا، ويا ذا النعم التى لا تحصى عددا، أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد، بك ادرأ في نحره، وأعوذ بك من شره، اللهم أعنى على دينى بدنياى، وعلى آخرتي بالتقوى، واحفظنى فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته، يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة اغفر لى مالا يضرك، وأعطني ما لا ينفعك، إنك أنت الوهاب، أسألك فرجا قريبا، وصبرا جميلا، ورزقا واسعا، والعافية من جميع البلايا وشكر العافية ". وذكر محمد بن عبدوس في " كتاب الوزراء " أن موسى الهادى سخط على بعض كتابه ولم يسمه فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده ويتوعده فقال له الرجل يا أمير المؤمنين: ان اعتذاري فيما تقر عني به رد عليك، وإقرارى بما بلغك يوجب ذنبا على لم أجنه لكننى أقول شعرا: إذا كنت ترجو في العقاب تشفيا * فلا تزهدن عند التجاوز في الاجر فصفح عنه وأمر بترك التعرض له وأحسن إليه حدثنى على بن هشام ابن عبيدالله الكاتب، عن أبى عبد الله بن يحيى الكاتب قال: لما نكب

أبو الحسن ابن الفرات أبا على بن مقلة في وزارته الثالثة لم أدخل إليه في حبسه، ولا كاتبته متوجعا له، ولا راسلته خوفا من أن يلقى ذلك إلى ابن الفرات. وكانت بينى وبين ابن مقلة مودة لطيفة فلما طالت نكبته كتب إلى رقعة طويلة فيها: ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم * أبن لى أم القرطاس أصبح غاليا فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا * وقد دهمتنا نكبة هي ماهيا صديقك من راعاك عند شديدة * وكل تراه في الرخاء مراعيا فهبك عدوى لا صديقى فربما * تكاد الاعادي يرحمون الاعاديا ثم اتبع ذلك بكلام يعاتبني فيه ويقول: إنه قد أنفذ إلى في طى رقعته رقعة إلى الوزير يسألنى إعراضها عليه وقت خلوة لا يكون فيها ابنه أبو أحمد المحسن ففتحت رقعته إلى الوزير فإذا هي " بسم الله الرحمن الرحيم: أقصرت أطال الله بقاء الوزير فعلى وصنعي على الاستعطاف والشكوى، حتى تناهت بى المحنة والبلوى، في النفس والمال والجسم والحال إلى ما فيه شفاء للمنتقم، وتقويم للمجترم حتى أفضت إلى الحيرة والتبلد، وعيالي إلى الهتكة والتلدد وما أقول ان حالا أتاها الوزير أيده الله في أمرى الا بحق واجب، وظن صدق غير كاذب الا أن القدرة تذهب الحفيظة، والاعتراف يزيل الاقتراف، والمعروف يؤثره أهل الفضل والدين، والاحسان إلى المسئ من أفعال المتقين، وعلى كل حال فلى ذمام وحرمة، وتأميل وخدمة، فان كانت الاساءة تضيعها فرعاية الوزير أيده الله تحفظها، فان رأى الوزير أطال الله بقاءه أن يلحظ عبده

بعين رأفته، وينعم عليه بإحياء مهجته، ويخلصها من العذاب الشديد، والجهد الجهيد، ويجعل له من معروفه نصيبا، ومن البلوى فرجا قريبا، فعل ان شاء الله ". قال ابن يحيى: فأقامت الرقعة في كمى أياما لا أتمكن من عرضها إلى أن رسم الوزير بن الفرات بكتابة نسخة إلى جعفر ابن أبى القاسم وهو عامله حينئذ في فارس في مهم، وان احررها بين يديه، وأعرضها عليه وخلا بى لهذا السبب فعملت النسخة، وأوقفته عليها، فأمرني بتحريرها فاغتنمت خلوته من كل أحد وقلت: قد عرف الوزير أيده الله

ما بينى وبين ابن مقلة من الالفة والعشرة التى جمعتنا عليها خدمتك، والله ما كاتبته ولا راسلته ولا قضيت لها حقا بمعونة ولا غيرها مذ سخط الوزير عليه، وهذه رقعته إلى تدل على ذلك ويسأل إعراض رقعة له على الوزير أيده الله وهى معى، فان أذن عرضتها ؟ فقال: ادفع رقعته إلى. فقلت: اسأل الوزير أيده الله أن يكتم ذلك عن سيدى أبى أحمد يعنى المحسن ابنه فانى أخافه. قال: أفعل. ثم قرأ رقعة ابن مقلة فقال والله يا أبا عبد الله: لقد تناهى هذا الرجل في السعاية على دمى ومالى وأهلي، ولقد صح عندي أنه قال لما اسلم إلى حامد، والله لو قد علمت أن ابن الفرات يبقى بعد صرفه يوما وحدا ما سعيت به، ووالله لقد كنت أدعو في حبسي بأن لا يمكننى الله عزوجل منه ولا من الباقطائى، أما هو فلا حسانى العظيم عليه، وأما الباقطائى فلقبح إساءته إلى. وإنه شيخ من شيوخ الكتاب وخفت العار بما كنت أعامله به لو حصل في يدى فأجيبت دعوتي في الباقطائى، ولم تجب فيه، والآن فوحق محمد وآله عليهم السلام لا جرى على ابن مقلة مكروه أبدا بعد هذا، وأنا أتقدم بأخذه من يد المحسن فأنفذه مع سليمان ابن الحسن إلى فارس وأخبره في الامر بحراسة نفسه وباقى حاله، وأزيدك يا أبا عبد الله ما أحسبك فهمته. قلت: فما هو ؟ فانى لم أزل أستفيد الفوائد أيدك الله تعلما وانعاما. قال: فقد بقيت له بقية وافرة من حاله ولولاها ما قال قولا شديدا، ولا فرغ قلبه لنظم شعر، ولا بلاغة في سر فلما كان من الغد أنفذ من انتزعه من يد المحسن فأخرجه مع سليمان إلى فارس مسلما. أخبرني أبو الفرج الاصفهانى قال: أخبرني حبيب بن نصر المهلبى بالاسناد: أن طريح بن اسماعيل الثقفى دخل على أبى جعفر " فقال له لا حياك الله ولا بياك أما اتقيت الله عزوجل حيث تقول للوليد: لو قلت لليل دع طريقك والى * موج عليه كالهضب يعتلج لساح وارتد أو لكان له * إلى طريق سواك منعرج فقال له طريح: قد علم الله أننى قلت ذلك ويدى ممدوة إليه عزوجل

إياه عتبت تبارك وتعالى اسمه وثناؤه. فقال أبو جعفر يا ربيع: أما ترى هذ التخلص. أخبرني أبو الفرج الاصفهانى عن محمد بن أبى الازهر قال: كنت بين يدى المأمون واقفا فادخل عليه ابن البواب الحاجب رقعة فيها أبيات شعر وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى في إنشادها. فظنها له فقال: هات فأنشده: أجرني فانى قد ظلمات إلى الوعد * متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد أعيذك من خلف الملوك وقد ترى * تقطع أنفاسي عليك من الوجد رأى الله عبد الله خير عباده * فملكه والله أعلم بالعبد ألا إنما المأمون للناس بهجة * مميزة بين الضلاله والرشد فقال المأمون: أحسنت يا عبد الله. فقال يا أمير المؤمنين: بل أحسن قائلها. قال: ومن هو ؟ قال: عبدك الحسين بن الضحاك. فغضب ثم قال لا خير ولا حيا الله من ذكرت ولا بياه، ولا قربه ولا أنعم به عينا. أليس هو القائل شعرا: أعيني جودا وابكيا لى

محمدا * ولا تدخرا دمعا عليه وأسعدا فلا تمت الاشياء بعد محمد * ولا زال شمل الملك فيه مبددا ولا فرح المأمون بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريدا مشردا هذا بذاك ولا شئ له عندنا. فقال له ابن البواب: فأين فضل أمير المؤمنين وسعة حلمه وعادته في العفو. فأمر بإحضاره، فلما حضر سلم عليه فرد عليه ردا خافتا، ثم أقبل عليه فقال أخبرني: هل عرفت يوم قتل أخى محمد رحمه الله هاشمية قتلت أو هتكت ؟ قال: لا. قال: فما معنى قولك: ومما شجى قلبى وكفكف عبرتي * محارم من آل النبي استحلت ومهتوكة بالجلد عنها سجوفها * كعاب كقرن الشمس حين تبدت إذا حفزتها روعة من منازع * لها المرط عادت بالخضوع وذلت وسرب ظباء من ذؤابة هاشم * هتفن بدعوى خير حى وميت أرد يدا منى إذا ما ذكرته * على كبد حرا وقلب مفتت فلا بات ليل الشامتين بغبطة * ولا بلغت آمالها ما تمنت

فقال يا أمير المؤمنين: لوعة غلبتني وروعة فجأتني، ونعم فقدتها بعد أن أغرقتني، وإحسان شكرته فأنطقني، فدمعت عين المأمون وقال: قد عفوت عنك وأمرت بإرداد أرزاقك عليك واعطائك ما فاتك منها، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك. أخبرني محمد بن يحيى الصولى عن عون بن محمد قال: حدثنى الحسين بن الضحاك قال غضب على المعتصم في شئ جرى على فقال: والله لا أدنيته وحجبني أياما فكتبت إليه: غضب الامام أشد من ادبه * وقد استجرت وعذت من غضبه أصبحت معتصما بمعتصم * أثنى الآله عليه في كتبه لا والذى لم يبق لى سببا * أرجو النجاة به سوى سببه مالى شفيع غير رحمته * ولكل من أشفى على عطبه قال فلما قرئت عليه التفت إلى الواثق وقال: مثل هذا الكلام يستعطف الكرام. ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما بنفسى عليه. فقال له الواثق: هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه، فرضى عنى وأمر بإحضارى، وإنما كتب هذا الشعر إلى المعتصم لانه بلغه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة فطلبه فاستتر فحيث ظهر هجى العباس بن المأمون فقال شعرا: خل اللعين وما اكتسب * لا زال منقطع النسب يا عرة الثقلين لا * دينا رعيت ولا حسب حسد الامام مكانه * جهلا هداك على العطب وأبوك قدمه لنا * لما تخير وانتخب ما تستطيع سوى التنف س والتجرع للكرب لا زلت عند أبي * ك منتقص المروة والادب وجدت في بعض الكتب عن يزدجر أنه قال: غضب كسرى ابرويز على بعض أصحابه من جرم عظيم فحبسه زمانا ثم ذكره فقال للسبحان: هل يتعاهده أحد ؟ فقال: لا إلا القلهند المغنى فانه يوجه إليه في كل يوم بسلة فيها طعام. فقال الكسرى

للقلهند: غضب الملك على فلان وحبسه فقطعه الناس غيرك فإنك تعاهده بالبر في كل يوم. فقال أيها الملك: إن البقية التى بقيت له عندك فبقت روحه في بدنه أبقت له عندي بقدر ما أرسله إليه من العظام. قال: أحسنت قد وهبت لك ذنبه. وأطلقه * وجدت في بعض كتبي أن رجلين أتى بهم إلى إلى بعض الولاة وقد ثبت على أحدهما الزندقة وآخر شرب الخمر فسلم الوالى الرجلين إلى بعض أصحابه وقال: اضرب عنق هذا وأوما إلى الزنديق. واجلد هذا الحد وأوما إلى الشارب. وتسلمهما وذهب ليخرج فقال له الشارب أيها الامير: سلمني إلى غيره ليجلدني فانى لا آمن أن يغلط فيضرب عنقي ويجلد صاحبي، والغلط في هذا لا يتلافى. فضحك الامير وأمر بتخليته

وضرب عنق الزنديق. وجدت في كتاب أبى الفرج المخزومى عن أبى محمد الحسن بن طالب كاتب عيسى بن فرحا نشاه قال: لما وليت ديار مصر لم تزل وجوهها يصفون لى محمد بن يزيد الاموى الحصينى بالفضل وينشدوني قصيدته التى أجاب بها عبد الله بن طاهر لما فخر بأبيه، ويذكرون قصته معه لما دخل عبد الله الشام وأشرف الحصينى على الهلاك خوفا منه، وكيف كفى أمره بلا سبب فكنت أفتقد أمره في ضيعته وأحسن إليه في معاملتي وكانت كتبه ترد على بالشكر بأحسن عبارة إلى أن علمت على طوف كور عملي، وتصفح أمر الرعية والعمال، فخرجت لذلك حتى وردت الكورة التى حصن محمد بن يزيد في ناحية منها، فخرج مستقبلا لي وراغبا إلى في النزولى عليه، فلما التقينا قال: لم أخف مع فضلك أن تتجاوزنى، ولم آمن أن يعارضك ظن يصور لك أن عدو لك عنى إبقاء على وإشفاقا من نسب السلطان لك يدعو إلى اثثار لذتك في عدم لقائي فتطوينى، فحملت نفسي على خلاف ما كنت أحب أن يشيع لك من ابتدائى بالقصد قبل غيبتى فيه اليك. فالحمد لله الذى جعل لك السبق إلى الكرم. ومررنا على حصنه فأقبل يقفنى على المواضع المذكوة في الخبر والشعر، إلى أن دخلنا حصنه فلم يأخذ أهبة النزول به أدبا ومروءة وسبق

بما حضر من القرى، ولم يقض من يخدمنا عن إحضار ما أعد في سفرتنا ووجدت خدمته كلها تدور على جارية سوداء نذرة خفيفة الحركة، يدل على نشاطها اعتيادها على الطراق إلى أن رفع الطعام وحضر الشرب وحضرت السوداء في غير الزى الاول فجلست تغنى، فأنكرتها حتى سألته عنها فوصف لى قديم حرمتها وقال: هي كانت طلعتي حين قصدني عبد الله بن طاهر فاستفتحني مسألته عن الخبر فسألته. فقال: لما بلغني خبر اجماع عبد الله على الخروج لطلب نصر بن شبث بنفسه أيقنت بالهلاك، وخفت أن يقرب فتنالني بادرته، ولم أشك في ذهاب النعمة إن سلمت النفس لما كان بلغه من إجابتى أياه عن قصيدته التي فخر بها وأنشدنيها: مدمن الاغضاء موصول * ومديم العتب مملول وأخو الوجهين حيث رمى * بهواه فهو مدخول وقليل من يبرره * في يد التهذيب تحصيل فاتئد تلق النجاح به * فاعتساف الامر تضليل واعم عن عيب أخيك يدو * م لك حبل فيه موصول من يرد حوض الردا صردا * لا يسعه الرى تعليل من بنات الروم لى سكن * وجهه للشمس اكليل عتبت والعتب من سكن * فيه تكثير وتقليل اقصرى عما لهجت به * ففراغى عنك مشغول أنا من قد تعرفى نسبه * سلفى الغر البهاليل مصعب جدى نقيب بنى * هاشم والامر مجهول وحسين رأس دعوتهم * ودعاء الحق مقبول سل بهم تنبيك نجدتهم * مشرفيات مصاقيل كل غضب مسرف عللا * وحرار الحر مغلول وأبى من لا كفاء له * من يساوى مجده قولوا سل به والخيل ساهمة * حوله جرداء نأبيل

وربات الخدور وقد * جعلت تبدوا الخلاخيل من ثنى عنه الخيول باكنا * فها الخطية الشول انظر لمخلوع كلكله * وحواليه المقاويل فثوى والتراب مضجعه * غال عنه ملكه غول قاد جيشا نحو نائلة * ضاق عنه العرض والطول من خراسان مصمصهم * كليوث ضمها عنيل هبو الله أنفسهم * لا معاذيل ولا ميل ملك تجتاح سطوته * ونداه الدهر مبذول قطعت عنه تمائمه * وهو مرهوب ومأمول قال: وكنت لما بلغني هذه القصيدة، امتعضت للعرب، وأنفت أن يفخر عليها رجل من العجم، لانه قتل ملكا من ملوكهم بسيف أخيه لا بسيفه، فيفخر

عليها هذا الفخر ويضع منها هذا الوضع، فرددت عليه قصيدته، ولم أعلم أن الايام تجمعنا، لا أن الزمان يضطرني إلى الخوف منه فقلت شعرا: لا يرعك القال والقيل * كلما بلغت تضليل ما هوى لى حيث أعرفه * بهوى غيرك موصول أين لى عنك إلى بدل * ابديل عنك مقبول أو وعدت العذل فيك إذا * أنا فيك الدهر معذول حملينى كل لائمة * كلما حملت محمول فاحكمي ما شئت واحتكمى * فحرامى لك تحليل والذى أرجو النجاة به * ما لقلبي عنك تحويل ما لداري منك مقفرة * وضميري منك مأهول أيخون العهد ذو ثقة * لا يخون العهد مسؤل وأخو حبيبك في تعب * مطلق مرا ومغلول ما فراغي عنك مشتغل * بل فراغي بك مشغول

وبدت يوم الوداع لنا * غادة بيضاء عطبول حاسرا وذات منعة * ذات تاج فيه إكليل آى عطفيها به انصرفت * أرج بالمسك معلول تتعاطى شد معجزها * ونطاق الخصر منحول باكاليل لها قبل * حبذا تلك الاكاليل فبنفسي دمج مشطتها * ومثانيها المراسيل سبقت بالدمع مقلتها * فلما بالدمع تفضيل ورمت بالسحر من كتب * فدفين الداء مقتول لاحظت بالسحر عابثة * فشجاح اصبر مغلول شملنا إذ ذاك مجتمع * وجناح البين مشكول لا يخاف الدهر طائره * فاذاه عنه معقول أيها الباري بنطقته * لا غاليط وتحصيل قد تأولنا على جهة * ولتأويلك تأويل قاتل المخلوع مقتول * ودم القاتل مطلول سارا وحل فمتبع * بالتى يكبو لها القيل لا تنجيه مذاهبه * نهر سيحون ولا النيل ومدين القتل مرتهن * بدماء القوم مقتول بيد المخلوع طلت يدا * لم يكن في باعها طول وبنعماه التى سلفت * فعلت تلك الافاعيل وبراع غيرى ذى شفق * حالت الخيل الانابيل يا ابن بنت النار موقدها * ما لحاديها سراويل أي مجد لك تعرفه * أو نسيب لك بهلول من حسين وأبوك ومن * مصعب غالتهم غول وزريق إذ تخلفه * نسب لعمرك مجهول تلك دعوى لا تنافسها * وأبواب مراذيل أسرة غير مباركة * غيرها الشم البهاليل

ما جرى في عود سلافكم * ماء مجد فهو مدخول قدحت فيه أسافله * فأعاليه مهازيل إن خير القول أصدقه * حين تصطلك الاقاويل كن على منهاج معرفة * لا تغرنك الاباطيل إن للاصعاد منحدرا * فيه للهادي أهاويل ولريب الدهر عن عرض * بالردى عل وتنهيل يعسف الصعبة رائضها * ولها بالعسف تذليل ويخون الرمح عامله * وسنان الرمح مصقول وينال الوتر طالبه * بعد ما يسلو المثاكيل مضمرا حقدا ومنصلة * معمد في الجفن مسلول قال: فلما قرب عبد الله بن ظاهر استوحشت من المقام خوفا على نفسي، ورأيت بعدى وتسليم حرمى عارا باقيا ولم يكن لى إلى هربي بجرمى سبيل، فأقمت على أتم خوف مستسلما للاتفاق حتى إذا كان اليوم الذى قيل أنه ينزل بهذه النواحى أغلقت حصنى، وأقمت هذه السوداء رئيبة لى على شرف الحصن وأقمتها وأمرتها أن تعرفني الموضع الذى ينزل فيه العسكر قبل أن يفجأنى ولبست ثياب الموت أكفانا، وتطيبت وتحنطت، فلما رأت الجارية أن العسكر يقصد الحصن نزلت فعرفتنى فلم يرعنى إلا دق باب الحصن فخرجت فإذا عبد الله بن طاهر واقف وحده منفردا عن أصحابه فسلمت عليه سلام خائف، فرد على غير رد مستوحش وأومأت إلى تقبيل رجله في الركاب، فمنع الطف منع وأحسن رد، وجلس على دكان على باب الحصن، ثم قال: ليسكن روعك فقد أسأت الظن بنا. ولو علمنا أننا بزيارتنا لك نروعك ما قصدناك. ثم أطال الانتظار في المسألة حتى رأى الثقة منى قد

ظهرت، فسألني عن سبب مقامي في البر وإيثارى إياه على الحاضرة ورفاهة العيش، وعن حال ضيعتي ومعاملتي، فأجبته بما حضرني حتى لم يبق من التأنيس شيئا أفضى الامر إلى مسائلتي عن حديث نصر بن شبث وكيف الطريق،

---

[٨١]

إلى الظفر به فأخبرته بما عندي في ذلك. ثم أقبل على وقد انبسطت في محادثته انبساطا شديدا فقال أحب أن تنشدني القصيدة التى فيها: يا ابن بنت النار موقدها * ما لحاديها سراويل فقلت أصلح الله الامير: قد أربت نعمتك على قدر همتي فلا تذكرها بما ينغصها. فقال: إنما أريد الزيادة في طمأنينتك وتأنسك بأن لا تراني متحفظا مما خفت وعزم على إنشاد القصيدة عزم مجد، فقلت يريد أن تطرأ على سمعه فيزيد ما في نفسه فيوقع بى ولم أجد من إنشاده بدا فأنشدته القصيدة فلما فرغت منها عاتبني عتابا شديدا، وكان منه أن قال: يا هذا ما حملك على تكلف إجابتى ؟ فقلت: الامير أصلحه الله حملني على ذلك فقال بماذا ؟ فقلت بقوله: وابى من لا كفاء له * من يسامى مجده قولوا فقلت كما تقول العرب وتفتخر السوقة على الملوك، وكان لما بلغت إلى قولى: يا ابن بنت النار موقدها * ما لحاديها سراويل قال لى والله يا ابن مسلمة: لقد أحصينا في خزائن ذى اليمينين بعد موته ألفا وثلثمائة من السراويل ما أصلح في احداهن تكة سوى ما استعمل في اللبس، على أن الناس لا يفكرون في إدخال السراويل في كساهم، فاعتذرت إليه بما حضرني من القول في هذا وجميع ما تضمنته القصيدة فقبل القول وبسط العذر وأظهر الصفح وقال: قد دللتنا على ما أحتجنا إليه من أمر نصر ابن شبث فنستحسن القعود معنا في حربه والا يكون لك في الظفر به أثر يشاكل إرشادك لوجوه مطالبه فاعتذرت إليه بلزوم منزلي وضيعتي وعجزي عن السفر للقصور عن النفقة فقال: نكفيك ذلك وتقبله منا بإذنك ودعا بصاحب دوابه فأمر بإحضار خمس مراكب من الخيل الهماليج بلجمها وسروجها المحلاة، وبثلاث دواب من دواب الشاكرية، وبخمسة أبغل من بغال النقل، واستقرأ ذلك وأمر صاحب كسوته بإحضار ثلاث تخوت من

---

[٨٢]

أصناف الثياب الفاخرة، وأمر خازنه بإحضار خمس بدر دراهم فأحضر الجميع فوضع على الدكان الذى كان جالسا عليه بباب الحصن ثم قال: كم مدة تأخرك عنا إلى أن تحلق بنا فنزلت فقام ليركب فبادرت إلى يده لاقبلها فمنعني وركب وسار وتبعه العسكر فما نزل منهم واحد، وخرجت السوداء فنقلت تلك الثياب والبدر، وأخذ الغلمان الكراع وما لقيت عبد الله بعدها. قال عيسى بن فرحا نشاه: أقمت عند محمد بن يزيد يومى وليلتي فأضافني أحسن ضيافة وكانت مذاكرته لى بذلك أحب إلى من كل شئ فأسقطت عنه جميع خراجه في تلك السنة وانصرفت. حدثنى عبد الله بن أحمد بن ذاسة المصرى قال: سمعت أن بعض الجند اغتصب امرأة على نفسها من الطريق فعرض الجيران ليمنعوه فضربهم هو وغلمانه حتى تفرقوا وأدخل المرأة داره وقال: أغلقوا الباب. فأغلقوا الباب وراودها عن نفسها فامتنعت فاكرهها ولحقها منه شدة حتى جلس منها مجلس الرجل من المرأة فقالت له يا هذا: اصبر حتى يغلق باب قد بقى عليك. قال أي باب ؟ قالت الباب الذى بينك وبين الله. فقام وقال: قد فرج الله عنك انصرفي لا أتعرض لك أبدا * وجدت في بعض الكتب أن الجاحظ أنفذ إلى أحمد بن أبى دؤاد بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات مقيدا في قميص رث فأوقف بين يديه ليأمر فيه بأمره فقال له ابن

أبى دؤاد: والله يا عمرو ما علمتك إلا سببا للنعمة، جاحدا للصنيعة، معددا للمثالب، مخفيا للمناقب وان الايام لا تصلح مثلك. لفساد طويتك، وسوء اختيارك. فقال الجاحظ: خفض عليك فو الله لان تكون المنة لك على خير من أن تكون لى عليك، ولان أسئ وتحسن أحسن في الاحدوثة عنك، ولان تعفو في حال قدرتك أجمل بك من أن تنتقم. فقال لى ابن أبى دؤاد ما علمتك الا كثير رونق اللسان، قد جعلت ثيابك أمام قلبك، ثم اصطفيت فيه النفاق. اعزب قبحك الله. فانهض في قيوده ثم قال يا غلام: الحقه وخذ قيوده وصر به إلى الحمام واحمل إليه خلعة يلبسها، واحمله إلى منزل يأوى به بفرش وفراش وآلة وقماش، ويزاح فيه علله وادفع إليه عشرة آلاف درهم لنفقته إلى أن يصح من علته.

ففعل ذلك فلما كان من الغد رؤى الجاحظ متصدرا في مجلس ابن أبى دؤاد وعليه خلعة من ثيابه، وطويلة من قلانسه وهو مقبل عليه بوجهه يقول هات يا أبا عثمان. أخبرني أبو الفرج الاصفهانى بإسناده عن اسحاق الموصلي قال: لم أر قط مثل جعفر بن يحيي كانت له فتوة، وظرف وأدب، وحسن غناء، وضرب بالطبل، وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن فحضرت باب الرشيد يوما فقيل لى: إنه نائم فانصرفت. فلقينى جعفر بن يحيى قال لى ما الخبر ؟ فقلت أمير المؤمنين نائم. فقال لى قف مكانك ومضى إلى دار أمير المؤمنين فاعلم أنه نائم. فرجع فقال سر بنا إلى المنزل حتى نخلو بقية يومنا وأغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا. فقلت نعم فصرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا. ودعا بالطعام فطعمنا، وأمر بإخراج الجوارى وقال ابرزن فليس عندنا من نحتشمه. فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه، ودعا بخلوق فتخلق، ودعا لى بمثل ذلك وجعل يغنينى وأغنيه، وكان قد تقدم إلى الحاجب ان لا يأذن لاحد من الناس كلهم وان جاء رسول أمير المؤمنين اعلمه أنه مشغول واحتاط في ذلك وتقدم إلى جميع الحجاب والخدم ثم قال ان جاء عبد الملك فأذنوا له. يعنى رجلا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته، ثم أخذنا في شأننا فو الله انى لعلى حالة سارة إذ رفع الستر وإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي، وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذى يأنس به جعفر وكان عبد الملك الهاشمي من جلالة القدر والتقشف والامتناع عن منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل، وكان أمير المؤمنين قد اجتهد أن يشرب قدحا فلم يفعل ترفعا لنفسه، فلما رأيناه مقبلا أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه وكاد جعفر ينشق غيظا وفهم الرجل حالنا، وأقبل نحونا حتى إذا صار إلى الرواق الذى نحن فيه نزع جبته فرمى بها مع طيلسانه جانبا ثم قال: اطعمونا شيئا. فدعى له جعفر بالطعام وهو منتقح غيظا ثم دعا برطل فشربه ثم أقبل إلى المجلس الذى نحن فيه ثم أخذ بعضادتى الباب وقال: اشركونا فيما أنتم فيه. فقال له جعفر ادخل فدخل بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أقداح

ثم اندفع يغنينا فكان والله أحسن غناء. فلما طابت نفس جعفر بن يحيى وسرى عنه ما كان فيه التفت إليه وقال له: ارفع حوائجك ؟ فقال له: ليس هذا موضع حوائج. قال لتفعلن، ولم يزل يلح عليه حتى قال أمير المؤمنين على واجد كما علمت فأحب أن يرضى عنى. قال أمير المؤمنين قد رضى عنك. فهات حوائجك: قال: هذه حاجتى، قال ارفع حوائجك كما أقول لك ؟ قال: على دين فادح. قال كم مبلغه ؟ قال أربعة آلاف ألف درهم. قال هذه أربعة آلاف ألف

درهم. فإن أحببت أن تقبضها مني فاقبضها في منزلي الساعة فانه لم يمنعنى من إعطائك إياها إلا أن قدرك يجلك عندي من أن يصلك مثلى ولكني ضامن لها حتى تحمل اليك من مال أمير المؤمنين غدا. فسل أيضا: فقال ابني تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه. قال: قد ولاه أمير المؤمنين مصرا وزوجه الغالية ابنته ومهرها عنه الفى الف درهم من ماله. قال إسحاق: فقلت في نفسي قد سكر الرجل اعني جعفرا فلما أصبحت حضرت دار الرشيد فإذا جعفر بن يحيى البرمكى ووجدت في دار الرشيد جلبة فإذا أبو يوسف القاضى رحمه الله تعالى ونظراؤه وقد دعى بهم، ثم دعى بعبد الملك بن صالح وابنه فدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك: إن أمير المؤمنين قد كان واجدا عليك وقد رضى عنك، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة، ثم دعا بابنه فقال اشهدوا أنى قد زوجته الغالية بنت أمير المؤمنين ومهرتها عنه من مالى الفى درهم ووليته مصرا، فلما خرج جعفر سألته عن الخبر فقال: بكرت إلى أمير المؤمنين فحكيت له جميع ما كنا فيه وما كان منا حرفا بحرف ووصفت له دخول عبد الملك وما كان منه فعجب ثم سر به ثم قال لى وقد ضمنت له على أمير المؤمنين ضمانا فأوف بضمانك، فأمر بإحضاره فكان ما رأيت. أخبرني أبو الفرج الاصفهانى قال: جرى بين محمد الامين وبين إبراهيم ابن المهدى كلام وهما على مسرة فنفر الامين لذلك ووجد على إبراهيم وبانت لابراهيم الوحشة منه فانصرف إلى منزله فأمر بحجابه عنه، وبلغ ذلك

إبراهيم فبعث إلى الامين بالطاف ورقعة يسأل فيها صرف غضبه فرد الامين الهدية ولم يجب على الرقعة. فوجه إبراهيم إليه وصيفة مليحة مغنية كان قد رباها وعلمها وبعث معها عودا معمولا من العود الهندي، مكللا بالجوهر وألبسها حلة منسوجة بالقصب وقال أبياتا وغنى فيها والقاها عليها، حتى أخذت الصوت، وأحكمت الصنعة فيه فوقفت الجارية بين يدى أمير المؤمنين وقالت له: عمك يا أمير المؤمنين يقول لك واندفعت تغنى شعرا: هتكت الضمير برد اللطف * وكشفت هجرك لى فانكشف فان كنت تحقد شيئا جرى * فهب للعمومة ما قد سلف وجد لى بصفحك عن زلتى * فبالفضل يأخذ أهل الشرف فقال لها الامين: أحسنت يا صبية فما اسمك ؟ قالت: هدية قال: أفأنت كاسمك أم أنت عارية ؟ قالت: أنا كاسمى وبه سمانى لما أهداني إلى أمير المؤمنين، فسر بها الامين وبعث إلى إبراهيم بن المهدى فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسين الف دينار وقف أحمد بن عروة بين يدى أمير المؤمنين المأمون لما عزله عن الاهواز فقال له: خربت البلاد، وقتلت العباد، والله لافعلن بك ولافعلن. فقال يا أمير المؤمنين ما تحب أن يفعل الله بك إذا وقفت بين يديه وقد قرعك بذنوبك. قال: العفو والصفح. قال: فافعل بعبدك ما تحب أن يفعل بك مولاك. قال قد فعلت ارجع إلى عملك، فوال مستعطف خير من وال مستأنف، وروى أنه جنى غلام للحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين جناية توجب العقاب فأمر به أن يضرب فقال يا مولاى (والكاظمين الغيظ) قال خلوا عنه. فال يا مولاى: (والعافين عن الناس) قال: قد عفوت عنك. قال يا مولاى (والله يحب المحسنين) قال أنت حر لوجه الله تعالى ذلك ضعف ما كنت أعطيك * قال الاصمعي أتى عبد الملك بن مروان برجل قامت عليه البينة بسرقة فأمر بقطع يده فقال الرجل يدى يا أمير المؤمنين أعيذها * بعفوك من عار على يشينها

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها * إذا شمال فارقتها يمينها قال هذا حد من حدود الله تعالى ولابد من إقامته عليك، فقامت أمه وكانت عجوزا كبيرة السن فقالت يا أمير المؤمنين: كادى وكاسبى وابنى وواحدى فهبه لى. فقال لها بئس الكاد والابن والواحد هو لابد من إقامة حد الله فقالت يا أمير المؤمنين: فاجعله بعض ذنوبك التى تستغفر الله تعالى منها. قال خلوه وأطلقه * أخبرني الفضل بن الربيع قال: رأيت مروان بن أبى حفصة وقد دخل على المهدى بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الحاسر وغيره فانشده مديحا فقال له: من أنت ؟ فقال له: شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبى حفصة فقال له المهدى ألست القائل: أقمنا بالمدينة بعد معن * مقاما لا نريد به زوالا وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوال قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ ! جروا برجله فجروا رجله حتى أخرج، فلما كان في العام المقبل تلطف حتى أدخل مع الشعراء وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة فمثل بين يديه وأنشده بعد رابع أو خامس شعرا: طرقتك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها نادت فؤادك فاستقاد ومثلها * قاد القلوب إلى الضنا فأمالها قال فأنصت له حتى بلغ إلى قوله: هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها أو تجحدون مقالة عن ربه * جبريل بلغها النبي فقالها شهدت من الانفال آخر آية * بتراثيم فأردتم أبطالها قال: فرأت المهدى قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجابا بما سمع ثم قال: كم هي ؟ قال: مائة بيت فأمر له بمائة آلف درهم فكانت أول مائة ألف أعطيها شاعر في أيام بنى العباس. أخبرني أبو الفرج الاصفهانى عن الحسن بن على قال حدثنى محمد بن القاسم

ابن مهرويه، عن عبد الله بن سعيد قال: غضب الرشيد على العباس وحجبه فدخل سرا مع المتظلمين بغير إذن فمثل بين يدى الرشيد فقال له يا أمير المؤمنين: قد أدبتني الناس لك ولنفسي فيك وردنى ابتلاؤهم إلى شكرك وما مع ذكرك قناعة بأحد غيرك، ولنعم الصائر لنفسي كنت لو أعانني عليك الصبر ولذلك أقول شعرا: أخضنى المقام الغمر ان كان غرني * نسا حلب أو زلت القدمان أتتركني جدب المعيشة مقفرا * وكفاك من ماء الندا يكفان وتجعلنى سهم المطامع بعدما * بللت يدى من ماء الندا ولساني قال فخرج وعليه الخلع وقد أمر له بجائزة فما رأيت العباس قد أنشط منه يومئذ. قال أبو الفرج في البيتين الاولين غناء لمخارق ثانى ثقيل بالوسطى حدثنى عون بن محمد قال: حدثنا سعيد بن هريم قال: قال المأمون للفضل بن الربيع: يا فضل ما كان من حقى عليك وحق آبائى ونعمهم عند أبيك وعندك أن تثلبنى وتشتمني وتحرض على دمى أتحب أفعل بك مع القدرة عليك ما أردته بى ؟ فقال الفضل: يا أمير المؤمنين إن عذرى لا يقوم عندك وإن كان واضحا جميلا فكيف إذا عفته العيوب وقبحته الذنوب فلا يضيق عنى من عفوك ما وسع غيرى منه فأنت والله كما قال الشاعر فيك: صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما وليس يبالى أن يكون به الاذى * إذا ما الاذى لم يغش بالكره مسلما قال الصولى: والشعر للحسن بن رجاء * وقرئ على أبى بكر الصولى في كتابه " كتاب الوزراء " بالاسناد عن الحسن بن عيسى الانباري الكاتب قال: أمر المأمون محمد بن بزوان والوزير أحمد بن أبى خالد أن يناظرا عمرو بن مسعدة في مال الاهواز فناظراه فتحصل عليه ستة عشر ألف ألف درهم فأعلم محمد المأمون بذلك. فقال له المأمون: أقبل كل حجة له وكل ادعاء وكل تعلق. قال قد فعلت. قال عد لذلك فعاد فتعلق عمرو بأشياء لا أصل لها فسقطت من المال عشرة آلاف الف وبقى ستة آلاف ألف درهم لا حجة له فيها أخذ خطه بها

فأخذ المأمون الرقعة ثم أحضر عمرا بعد خروج محمد فقال: هذه رقعتك ؟ فقال نعم. فقال: وهذا المال واجب عليك ؟ قال: نعم قال: فخذ رقعتك فقد وهبناه لك قال إذا تفضلت به يا أمير المؤمنين فانه واجب لو أجزت به على أحمد بن عروة عامل الاهواز وهو مقر به، وأشهدك أنى قد وهبته له. فاغتاظ المأمون وخرج عمرو وقد عرف غيظ المأمون وخطأه فيما عمله فلجأ إلى أحمد بن أبى خالد فأخبره بالخبر وكان يخصه. فقال لا عليك فدخل إلى المأمون فلما رآه قال: ألا تعجب يا أحمد من عمرو وهبنا له ستة آلاف ألف درهم بعد أن تجافينا له عن أضعافها فوهبها بى يدى من أحمد بن عروة كأنه أراد أن يباريني ويصغر معروفى ؟ قال أو فعل هذا يا أمير المؤمنين ؟ ! قال نعم. قال لو لم يفعل هذا لوجب أن يسقط حاله. قال وكيف ؟ قال لانه لو استأثر به على أحمد بن عروة وآخذ أحمد بالمال وأداه إليه كان قد أخرجه من معروفك صفرا، ولما كانت نعمتك على عمرو نعمة على أحمد وهما خادمان، وكان الاجمل أن يتضاعف معروفك عندهما فقصد عمرو ذلك فصار المال تفضلا منك على عمرو وعلى أحمد بن عروة. ومع ذلك فأنت سيد عمرو ولا يعرف سيدا غيرك، وعمرو سيد أحمد فاقتدى في أمر أحمد بما فعلته في أمره، وأراد أيضا أن يسير في ملوك الامم أن خادما من خدمك اتسع قلبه لهبة هذا المال من فضل احسانك إليه فيزيد في جلالة المملكة وجلالة قيمتها فيكسر ذلك الاعداء الذين يكاثرونك. فسرى عن المأمون وزال ما بقلبه على عمرو * وغضب الرشيد على محمد بن الاشعث غضبا شديدا من كلام جرى بينهما فخاف جعفر أن يستفزه الغضب فقال يا أمير المؤمنين: انما تغضب لله فلا تغضب له بما لم يغضب به لنفسه، فانعطف له الرشيد * أحضر هشام بن عبد الملك ابراهيم بن أبى عيلة الذى تقلد ديوان الحكم لمروان بن محمد فقال له: إنا قد عرفناك صغيرا وخبرناك كبيرا وأريد أن أخلطك بحاشيتي وقد وليتك الخراج بمصر فاخرج إليها، فأبى ابراهيم وقال ليس الخراج من عملي ولا لى بصر به. فغضب هشام عليه غضبا شديدا حتى خاف ابراهيم بادرته فقال يا أمير المؤمنين: تأذن لى في الكلام ؟ قال: قل، قال: يقول الله عزوجل: (انا

عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال (١)). الآية فو الله ما كرهها ولا سخط عليها ولقد ذم الانسان لما قبلها. فقال هشام: أبيت الا رفقا، فأعفاه ورضى عنه * استسلف موسى بن عبد الملك من بيت المال الخاصة مالا إلى أجل قريب، وضمن للمتوكل رده فحل الاجل والمال متأخر فاغتاظ المتوكل من مدافعته به، وقال لعبد الله بن يحيى بن خلعان: وقع إليه عنى برد المال اليوم وضيق عليه في المطالبة، وأنفذ التوقيع مع عتاب بن عباب ومره بأن يطالبه فان أخر المال فاضربه بالمقارع في ديوان الخراج بحضرة الناس ولا ترفع المقارع عنه الا بحضور المال. فأدى بعض الخدم إلى موسى بالخبر فجلس ينظر في وجوه يرد منها المال ويجد وصار إليه عتاب بالتوقيع مختوما وكان ذلك اليوم شديد الحر وقد انتصف النهار وموسى في خيش له في حجرة من ديوانه يتناوب عليه فراشان يروحانه بها، فدخل عتاب، وفى يد موسى كتاب طويل يقرأه، وقد أكب موسى عليه يتشاغل به عن خطاب عتاب، وأصاب عتابا برد الخيش والمروحة فنام جالسا وقد ثقل، وكان عتاب قد أخرج الكتاب الذى معه حين جلس فوضعه على دواة موسى فغمز موسى بعض غلمانه فأخذ الكتاب بعينه وما زال عتاب ينام وينتبه، وموسى يعمل إلى أن انقضت الهاجرة وقد توجه بعض المال. وأنفذ بعض أصحابه

لقبضه فقال له عتاب أنظر فيما جئنا به. قال أصلحك الله: فيم جئت به ؟ قال فيما تضمن الكتاب، قال: أي كتاب ؟ قال الكتاب الذى أوصلته اليك من أمير المؤمنين. قال متى ؟ قال: الساعة وضعته على دواتك. قال أحسبك رأيت في النوم شيئا. فطلب عتاب الكتاب فلم يجده فقال: سرق الكتاب والله يا أصحاب الاخبار اكتبوا. فقال موسى: يا أصحاب الاخبار اكتبوا كذب فيما ادعاه ما أوصل إلى كتابا وأنتم حضور فهل رأيتموه أوصل إلى شيئا ؟ لعلك يا أبا محمد ضيعت الكتاب في طريقك فانصرف عتاب إلى عبد الله فأخبره فدخل عبد الله إلى المتوكل فحدثه فضحك وقال: احضروا موسى الساعة. فحضر. فقال له المتوكل: يا موسى سرقت الكتاب من عتاب ؟ قال:

---

(١) الاحزاب ٧٢

أي والله يا سيدى خمنت أنه كتب بمكروه، ونام عتاب قبل أن يوصل الكتاب، فأمرت من سرق منه الكتاب، وقد أعددت نصف المال والساعة أحمله إلى بيت المال الخاصة، وأحمل النصف الباقي بعد خمسة أيام وأقبل ينضرع فأنفذ المتوكل معه من يقبض المال وانصرف وقد رضى عنه * ذكر المدايني في كتابه قال أرسل زياد إلى رجل من بنى تميم من قعدة الخوارج فاستدعاه، فجاءه خائفا فقال له زياد: ما يمنعك من إتيانى ؟ قال قدمت علينا وقلت لا أعدكم خيرا ولا شرا إلا وفيت به وأنجزته وقلت من كف لسانه ويده لم أتعرض له فكففت لساني ويدى، وجلست في بيتى فأمر له بصلة وخرج والناس لا يشكون أنه قتيل فقالوا له: ما قال لك الامير ؟ فقال ما كلكم أستطيع أن أخبره بما كان عندنا ولكني وصلت إلى رجل لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فرزق الله تعالى فيه خيرا * أخبرني أبو الفرج الاصفهانى بإسناده أن المأمون أقام بعد قدومه إلى بغداد عشرين شهرا، لم يسمع حرفا من الاغانى، ثم كان أول من تغنى بحضرته أخوه أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظبه على السماع مستترا متشبها بالرشيد في أول أمره فأقام المأمون كذلك أربع حجج ثم ظهر للندماء والمغنين وكان حين أحب السماع سأل عنى فخرجت بحضرته فقال الطاعن على ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلفاء ما أبقى هذا من التيه شيئا إلا استعمله، فأمسك عن ذكرى وجفاني من كان يصلني، لسوء رأيه الذى ظن في، فأضر ذلك بى حتى جاءني علوية يوما فقال: أتأذن لى في ذكرك فانا قد دعينا اليوم. فقلت: لا ولكن غنه بهذا الشعر فإنه سيبعثه على أن يسألك لمن هو ذا ؟ فإذا سألك لمن هو انفتح لك ما تريده فكان الجواب أسهل عيك من الابتداء قال: هات فألقيت عليه لحنى في شعرى: يا سرحة الماء قد سدت موارده * أما إليك طريق غير مسدود لحائم حام حتى لا حيام له * مخلاءة عن طريق الماء مطرود قال أبو الفرج: والغناء فيه لا سحق الموصلي رمل بالوسطى * رجع

الحديث. فغنى علوية لما استقر المجلس غناء بالشعر الذى أمره به فقال: ويلك يا علوية لمن هذا الشعر ؟ فقلت: سيدى لعبد من عبيدك جفوته وطردته من غير جرم فقال: إسحاق المغنى قلت نعم، قال: يحضر الساعة فجاءني رسوله فصرت إليه فلما دخلت عليه قال: ادن منى فدنوت إليه فرفع يديه فانكببت فاحتضنني بيديه وأظهر من برى وإكرامى ما لو أظهره صديق لصديقه لسره.

الباب الخامس من خرج من حبس أو أسر أو اعتقال، إلى سراح وسلامة وصلاح حال حدثنا أبو العباس أحمد المعروف بالاشرم المقرئ الخياط البغدادي بالبصرة بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أنه لما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركته هوازن بالجعرانة قد أسلموا، فقالوا يا رسول الله: إنا أهل عشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك، وقام خطيهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله: إن ما في الحظائر من النساء خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتى تكفلنك ولو إنا صابحنا ابن أبى شمر الغساني أو النعمان بن المنذر * ثم أصابنا منهم الذى أصابنا منك، رجونا عائدهما أو عطفهما، وأنت خير المكفولين ثم أنشده شعرا: امنن علينا رسول الله في كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر امنن على بيضة قد عاقها قور * مفرق شملها في دارها غير أبقت لنا الحرب أقواها على حذر * على قلوبهم الغماء والغمر إن لم تداركهم نعماء تبشرهم * يا أرجح الناس حلما حين تختبر امنن على نسوة قد كنت ترضعها * إذ فوك تملاه من محضها درر لا تجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر يا خير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج إذا ما استوقد الشرر فالبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك إن العفو مشتهر إنا نؤمل عفوا منك نلبسه * هادى البرية إذ تعفو وتنتصر عفوا عفا الله عما أنت وأهبه * يوم القيامة إذ يهدى لك الظهر فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال: " ما كان لى ولبنى

عبد المطلب فهو لكم ". فقالت قريش: ما كان لنا فهو لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم * أخبرني أبو بكر الصولى قال. كان القاسم بن عبد الله الوزير قد تقدم عند وفاة المعتضد بالله إلى صاحب الشرطة يونس الخازن أن يوجه إلى عبد الله ابن المعتز، وقصى بن المؤيد، و عبد العزيز بن المعتمد فيحبسهم في دار ففعل ذلك وكانوا في الحبس خائفين إلى أن قدم المكتفى بالله بغداد فعرف خبرهم وأمر بإطلاقهم ووصل كل واحد منهم بألف دينار * حدثنا عبد الله بن المعتز قال: سهرت ليلة قدم في صبيحتها المكتفى إلى بغداد فلم أنم خوفا على نفسي وقلقا بوروده، فمرت بى في السحر طير فصاحت فتمنيت أن أكون مثلها لما يجرى على من النكبات ثم فكرت في نعم الله عزوجل وما رخاه لى من الاسلام والقربة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أؤمله من البقاء الدائم في الآخرة فقلت في الحال: يا نفس صبرا لعل الخير عقباك * حاشاك بعد طول الا من دنياك مرت بنا سحرا طير فقلت لها * طوباك يا ليتنى إياك طوباك لكن هو الدهر فألقيه على حذر * فرب مثلك ينزو تحت اشراك فلما أصبحت أفرج عنى ووصلني بأشياء لم تكن في حسابى * حدثنى على بن هشام الكاتب عن أبى القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال: لما بعد أبى إلى مصر لازمت أبا عبادة البحترى وأبا معشر المنجم وكنت أسر بهما في وحدتي وملازمتي البيت وكانا في أكثر الاوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثاني يوما أنهما ضاقا إضاقة شديدة وكانا مصطحبين فعن لهما أن يلقيا المعتز بالله وهو محبوس فيتوددا إليه ويؤصلا عنده أصلا فتوصلا حتى لقياه في حبسه. قال البحترى: فأنشدته أبياتي التى قلتها في محمد بن يوسف الثغرى لما حبس وخاطبت بها المعتز كانى عملتها إليه في الحال: جعلت فداك الدهر ليس بمنفك * من الحادثات

المشكو والنازل المشكى وما هذه الايام إلا منازل * فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

---

[٩٤]

وقد هذبتك الحادثات وإنما * صفى الذهب الابريز قبلك بالسبك أما في رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك أقام جميل الصبر في الحبس برهة * فنال به الصبر الجميل إلى الملك على أنه قد ضيم في حبسك العلى * وأصبح عز الدين في قبضة الشرك فأخذ الرقعة التى فيها الابيات فرفعها إلى خادم كان واقفا على رأسه وقال احفظها وغيبها فان فرج الله عزوجل عنى فذكرني بها لاقضى حق هذا الرجل الحر: وقال لى أبو معشر وقد كنت أنا أخذت مولده وقت عقد له العقد ووقت عقدت البيعة للمستعين بالخلافة فنظرت في ذلك وصححت الحكم للمعتز بالخلافة بعد فتنة تجرى وحروب وحكمت على المستعين بالقتل فسلمت ذلك إلى المعنز وانصرفنا وضرب الدهر ضربه وصح الحكم فأمره قال لى أبو معشر: فدخلت أنا والبحتري إلى المعتز بالله وهو خليفة بعد المستعين وتغريقه فقال لى المعتز: لم أنسك وقد صح حكمك وقد أجريت لك في كل شهر مائة دينار رزقا وثلاثين دينارا نزلا وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وأمرت لك عاجلا باطلاق ألف دينار صلة فقبضت ذلك كله من يومي وقال لى البحترى فتقدمت وأنشدت المعتز قصيدة مدحته بها وهنأته بالخلافة وهجوت فيها المستعين أولها: يجانبنا في الحب من لا نجانبه * ويبعد عنا في الهوى من نقاربه حتى أنتهيت إلى قولى: وكيف رأيت الحق قر قراره * وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه ولم يكن المعتز قد سرى * ليعجز والمغتر بالله طالبه رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر * وعرى من برد النبي مناكبه وقد سرنى إن قيل وجد عاريا * من الشرق تحدو سقبه وركائبه إلى واسط حيث الدجاج ولم يكن * لينشب إلا في الدجاج مخالبه قال فاستعاد منى هذه الابيات مرارا فأعدتها ودعا بالخادم الذى كان معه في الحبس وطلب الرقعة التى كنت أنشدته الشعر الذى فيها في حبسه

---

[٩٥]

فأحضره إياها بعينها فقال: قد أمرت لك بكل بيت منها بألف دينار، وكانت ستة أبيات فأعطيت ستة آلاف دينار، ثم قال لى: كأنى بك قد بادرت فاشتريت منها غلاما وفرسا وجارية والتفت وقال: لا نفعل فإن لك فيما نستأنف معنا في أيامنا ومع وزرائنا وأسبابنا إذا عرفوا موضعك عندنا غناء عن ذلك، ولكن أفعل بهذا المال كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذى وصل إليه من عبد الله بن جعفر اشتر به ضيعة جليلة تنتفع بغلتها ويبقى عليك وعلى ولدك أصلها. فقلت: السمع والطاعة وخرجت فاشتريت بالمال ضيعة جليلة * أخبرني أبو بكر الصولى إجازة ونقلته من خطله قال: حدثنى ابراهيم القنوى، قال: طولب أبو سعيد الثغرى بعد عزواته المشهورة وسلم إلى أبى الخير النصراني الجهبذ ليستخرج المال منه فجعل يعذبه فشق ذلك على المسلمين وقالوا آخذه بثار النصرانية فقال البحترى: أيا ضيعة الدنيا وضيعة أهلها * والمسلمين وضيعة الاسلام طلبت دخول الشرك في دار الهدى * بين المداد وألسن الاقلام هذا ابن يوسف في يدى أعدائه * يجزى على الايام بالايام نامت بنو العباس عنه ولم تكن * عنه أمية لو دعت بنيام فقرئ هذا الشعر على المتوكل، فأمر بإطلاق أبى سعيد وأمر بإحضار البحترى واتصل به وكان أول شعر أنشده: * جعلت فداك الدهر ليس بمنفك * وجدت في كتاب صاحب أبى الفرج المخزومى الخطى، عن أبى طالب الجعفري، أنه

سمع رجلا يحدث، عن محمد بن الفضل الجرجاني في وزارته للمعتصم قال: كنت أتولى ضياع عجيف بكسكر فرفع على أنى خنته وأخربت الضياع فانفذ إلى من يقيدني فادخلت عليه في داره بسر من رأى على تلك الحالة، فإذا هو يطوف على ضياع فيها، لما نظرني شتمنى فقال: أخربت الضياع ونهبت الاموال، والله لاقتلنك هاتوا السياط. فأحضرت وسحبت للضرب، فلما رأيت ذلك ذهب على أمرى وبلت على ساقى، ونظر كاتبه إلى فقال

لعجيف أعز الله الامير: أنت مشغول القلب بهذا البناء وضرب هذا وقتله في أيدينا ليس يفوت، فمر بحبسه وانظر في أمره فان كانت الوقيعة صحيحة فليس يفوتك عقوبته، وإن كانت باطلة لم تتعجل الاثم وتنقطع عما أنت بسببه من الهم. فأمر بى إلى الحبس فمكثت به أياما وغزا أمير المؤمنين المعتصم فاتصل بكاتبه الخبر فأمر بإطلاقى وأطلقنى، وخرجت وما اهتدى إلى حبة فضة فما فوقها فقصدت صاحب الديوان بسر من رأى فتوجع من سوء حالى وعرض على ماله فقلت بل تتفضل بتصريفي في شئ أستتر بجائزته، فقلدني عملا بنواحي ديار ربيعة واقترضت من التجار لما سمعوا خبر ولايتى ما تجملت به إلى العمل، وخرجت وكان من ضياع العمل ضيعة تعرف بكراثا فرأيتها في بعض طريقي ونزلت دارا منها، فلما كان السحر وجدت المستحم ضيقا غير نظيف. وخرجت من الدار فإذا بتل فجلست أبول عليه وخرج صاحب الدار فقال: أتدرى على أي شئ بلت ؟ قلت على تل تراب. فضحك وقال: هذا قبر رجل يعرف بعجيف من قواد السلطان، كان سخط عليه وحمل مقيدا فلما صار إلى ههنا قتل وطرح في هذا المكان تحت حائط. فما انصرف العسكر طرحنا الحائط عليه لنواريه من الكلاب. قال فتعجبت من بولي خوفا منه وبولي على قبره * وروى ابن دريد عن أبى حاتم، عن أبى معمر عن رجل من أهل الكوفة قال: كنا مع مسلمة بن عبد الملك ببلاد الروم فسبا سبيا كثيرا وأقام ببعض المنازل فعرض السبى على السيف فقتل خلقا حتى عرض عليه شيخ ضعيف فأمر بقتله. فقال: ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلى ؟ إن تركتني جئتك باسيرين من المسلمين شابين. قال: ومن لى بذلك ؟ قال: إنى إذا وعدت وفيت. قال: لست أثق اليك. قال: فدعني أطوف في عسكرك لعلى أعرف من يكفلنى إلى أن امضى وأجئ بالاسيرين فوكل به من أمره بالطواف معه في عسكره والاحتفاظ به فما زال الشيخ يطوف ويتصفح الوجوه حتى مر بفتى من بنى كلاب قائما يحسن فرسه. فقال يا فتى: اضمني من الامير وقص عليه قصته. قال: أفعل. وجاء الفتى معه إلى مسلمة فضمنه فأطلقه مسلمة فلما مضى. قال: أتعرفه ؟ قال: لا والله.

قال ولم ضمنته ؟ قال رأيته يتصفح الوجوه فاختارني من بينهم وكرهت أن أخلفه ظنه. فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعه أسيران من المسلمين شابان فدفعهما إلى مسلمة وقال: يأذن الامير في هذا الفتى أن يصير معى إلى حصنى لاكافئه على فعله معى ؟. قال مسلمة للكلبى: إن شئت فامض معه. فلما مضى وصار معه إلى حصنه. قال له يا فتى: تعلم والله أنك ابني. قال: وكيف أكون ابنك وأنا رجل من العرب مسلم وأنت من الروم نصراني ؟ قال أخبرني عن أمك ما هي ؟ قال رومية. قال فانى أصفها لك فبالله إن صدقت الا صدقتني. قال: افعل. فأقبل الرومي يصف أم الصبى ما خرج منها شيئا. فقال: هي كذلك. فكيف عرفت انى ابنها قال بالشبه، وتعارف

الارواح، وصدق الفراسة. ثم أخرج إليه امرأة فلما رآها الفتى لم يشك في أنها أمه لشدة شبهها بها، وخرجت معها عجوز كأنها هي فأقبلن يقبلن رأس الفتى. فقال له الشيخ: هذه جدتك وهذه خالتك. ثم طلع من حصنه فدعا بشباب في الصحراء فأقبلوا فكلمهم بالرومية فجعلوا يقبلون رأس الفتى ويديه ورجليه ويترشفونه. فقال: هؤلاء أخوالك وبنو خالاتك وبنو عم والدتك، ثم أخرج إليه حليا كثيرا وثيابا فاخرة فقال: هذا لوالدتك عندنا منذ سبيت فخذه معك فادفعه إليها فانها ستعرفه، ثم أعطاه لنفسه مالا كثيرا وثيابا جليلة وحمله على عدة دواب وبغال وألحقه بعسكر مسلمة وانصرف. فأقبل الفتى قافلا حتى دخل منزله فأقبل يخرج الشئ بعد الشئ مما عرفه الشيخ أنه لامه فتراه فتبكى. فيقول لها: قد وهبته لك فلما أكثر هذا عليها قالت يا بنى: أسألك بالله من أي بلد صارت اليك هذه الثياب، وهل قتلتم أهل هذا لحصن الذى كان هذا فيه ؟ فقال لها الفتى: صفة الحصن كذا وكذا، وصفة البلد كذا وكذا. ورأيت فيه قوما من حالهم كذا فوصف لها أمها وأختها وأولادهما وهى تبكى وتقلق. فقال لها: ما يبكيك ؟ فقالت: الشيخ والله أبى، والعجوز أمي وتلك أختى فقص عليها الخبر وأخرج بقية ما كان معه مما أنفذه أبوها إليها فدفعه لها.

---

[٩٨]

وجدت في كتاب أبى الفرج المخزومى الحنطى، عن أبى أمية الهشامى بإسناده، عن منارة صاحب الخلفاء قال: رفع إلى هرون الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم الجاه، واسع الدنيا كثير المال والاملاك، مطاعا في البلد له جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم، وأنه سمح جواد كثير البذل والضيافة، وأنه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد. قال منارة: وكان وقوف الرشيد على هذه الحال وهو في الكوفة في بعض خرجاته إلى الحج في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم وبايع أمير المؤمنين الامين والمأمون والمؤمن أولاده فدعاني وهو خال فقال: إنى دعوتك لامر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف تعمل وتكون، ثم قص على خبر الاموى وقال: اخرج الساعة فقد أعددت لك الجهازات، وأزحت عنك في الزاد والنفقة والآلات، فضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي إلي أمير دمشق ليركب في جيشه، فاقبضوا عليه وجئنى به. وقد أجلتك لذهابك ستة، ولعودك ستة، ويوما لقعودك وهذا محمل تجعله في شقة إذا قيدته وتجلس أنت في الشق الآخر، ولا تكل حفظه إلى غيرك، حتى تأتيني به اليوم الرابع عشر من خروجك، فإذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وولده وأهله وحاشيته وغلمانه وما يقولون، وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا حرفا من جميع ألفاظه مند وقوع طرفك عليه إلى أن تأتيني به، وإياك أن يشذ عليك شئ من أمره انطلق. قال منارة: فودعته وخرجت فركبت الابل وسرت أطوى المنازل وأسير الليل والنهار، ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلا إلى أن وصلت إلى دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت طرقها ونمت بظاهرها إلى أن فتح بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى أتيت باب الرجل وعليه طفف كثيرة وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير إذن، فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معى عنى فقالوا: هذا منارة صاحب أمير المؤمنين أرسله أمير المؤمنين إلى صاحبكم

---

[٩٩]

فأمسكواء فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا إلى ورحبوا بى وأكرمونى

فقلت أفيكم فلان ؟. قالوا: لا نحن أولاده وهو في الحمام. قلت: فاستعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أفتقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت بأهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن أطال فاستربت واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى إلى أن رأيت شيخا قد أقبل بزى الحمام يمشى في الصحن، وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان هم أولاده، وغلمان كثيره فعلمت أنه الرجل فجاء وسلم علي سلاما خفيفا وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته، فأخبرته بما وجب، وما قضى كلامه حتى جاءوه بأطباق الفاكهة فقال لى: تقدم يا منارة كل معنا. فقلت ما بى إلى ذلك حاجة فلم يعاودني فأقبل يأكل هو والحاضرون معه ثم غسل يده، ودعا بالطعام فجاوه بمائدة حسنة عظيمة لم أر مثلها إلا للخليفة. فقال لى: تقدم يا منارة فساعدني على الاكل. لا يزيدنى على أن يدعوني باسمى كما يدعوني الخليفة. فامتنعت عليه فما عاودني وأكل هو وأولاده وكانوا تسعة وجماعة كثيرة من أصحابه. وتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جأشه رابضا وذلك الاضطراب الذى في داره قد سكن ووجدته لا يرفع من بين يديه شئ قد جعل على المائدة إلا ويوهب، وقد كان غلمانه لما نزلت الدار أخذوا جمالي وجميع غلماني فعدلوا بهم إلى دار له فما أطاقوا مما نعتهم، وبقيت وحدي ليس بين يدى إلا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسي. فقلت في نفسي: هذا جبار عنيد وإن امتنع على من الشخوص لم أطق أشخاصه بنفسى ولا بمن معى ولا حفظه إلى أن يلحقني أمير البلد، وجزعت جزعا شديدا ورابنى منه استخفافه بى وتهاونه بأمرى ويدعوني باسمى ولا يفكر في امتناعي من الاكل ويسألني عما جئت له ويأكل مطمئنا وأنا أفكر في ذلك إذ فرغ من طعامه وغسل يده واستدعى بالبخور فتبخر وأقام الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال ورأيت صلاته حنسة فلما انفتل من صلاته أقبل على فقال: ما أقدمك يا منارة ؟ فقلت امر لك من

أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته إليه ففضه وقرأه، ولما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق فلم أشك أنه يريد أن يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانا غليطة فيها الطلاق، والعتاق، والحج، والصدقة، والوقف، والحبس، ان لا يجتمع منهم اثنان في موضع، وأن ينصرفوا ويدخلوا غلمانه وحاشيته منازلهم فلا يظهر منهم أحد إلى أن ينكشف له أمر يعمل عليه. وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرنى بالمسير إلى بابه، ولست أقيم بعد نظرى فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيرا، وما بى حاجة أن يصحبني غلام. هات إقيادك يا منارة فدعوت بها وانت في سفط، واحضر حدادا ومد ساقيه فقيدته وأمرت غلماني بحمله حتى حصل في المحمل، وركبت الشق الآخر وسرت من وقتى ولم ألق أمير البلد ولا غيره وسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة فقال لى: ترى هذا ؟. قلت: نعم قال: إنه لى ولى فيه غرائب من الاشجار كيت وكيت، ثم انتهى إلى بستان آخر. فقال لى فيه مثل ذلك، ثم انتهينا إلى مزارع حسان وقرى سرية فأقبل يقول هذا لى ويصف كل شئ فيه من ذلك فاشد غيظي منه فقلت له: علمت أنى شديد التعجب منك ! قال: فلم ؟ قلت. ألست تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى انفذ اليك من انتزعك من بين أهلك وولدك ومالك وأخرجك من جميع حالك وحيدا فريدا مقيدا لا تدرى ما تصير إليه، ولا كيف تكون وأنت فارغ القلب من هذا، تصف بساتينك وضياعك هذه، وأنت ساكن القلب قليل الفكر ؟ فقال لى مجيبا: إنا لله وإنا إليه راجعون أخطأت فراستي فيك قدرتك رجلا كامل العقل، وإنك ما حللت من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك فإذا

عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقولهم والله المستعان، أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إياى إلى بابه على صورتي هذه فإنى على ثقة بالله عزوجل الذى بيده ملكوت السموات والارض شاهد كل نجوى، وكاشف كل بلوى، وحاضر كل سريرة، وبيده ناصية أمير المؤمنين لا يملك معه لنفسه نفعا ولا ضرا إلا بإذن الله ومشيئته، ولا ذنب

لى عند أمير المؤمنين أخافه. وبعد: فإذا عرف أمرى وعلم سلامتي وصلاح حالى وإن الحسدة والاعداء رمونى عنده بما لست في طريقه، وتقولوا على الاقاويل الكاذبة، لم يستحل دمى ويخرج من ذمتي وإزعاجى وردى مكرما أو إقامتى ببابه معظما، وإن كان قد سبق في علم الله تعال أنه يبدو منه إلى بادرة سوء وقد حضر أجلى، وحان سفك دمى على يده فلو اجتهدت الملائكة والانبياء وأهل السماء والارض على صرف ذلك عنى ما استطاعوا، فلم أتعجل الغم وأتسلف الفكر فيما قد فرغ منه، وأين حسن الظن بالله عزوجل الذى خلق ورزق، وأحيا وأمات، وفطر وجبل، وأحسن وأجمل، وأين الصبر والرضا والتفويض والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة، وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا ؟. فإذا قد عرفت مبلغ فهمك لا أكلمك أبدا بكلمة واحدة، حتى تعرف حضرة أمير المؤمنين بيننا إن شاء الله تعالى. ثم أعرض عنى فما سمعت له لفظة بغير القرآن والتسبيح إلا بطلب ماء أو حاجة تجرى مجراه حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر، فإذا النجب قد استقبلتني على فارسخ من الكوفة يتجسسون خبرى فحين رأوني رجعوا متقدمين لى بالخبر إلى أمير المؤمنين فانتهيت إلى الباب في آخر النهار فحططت، ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال: هات ما عندك وإياك أن تغفل منه عن لفظة واحدة. فسقت الحديث إلى آخره حتى انتهيت إلى الفاكهة، والطعام، والغسل، والبخور، والصلاة. وما حدثت به نفسي من امتاعه والغضب يظهر في وجهه يتزايد حتى انتهيت إلى فراغ الاموى من الصلاة وإقباله إلى ومسألته عن سبب قدومى ودفعي الكتاب إليه ومبادرته إلى إحضار ولده وأنسابه وأهله وأصحابه. وحلفه لهم أن لا يتبعه أحد منهم وصرفه إياهم ومد رجله حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت إلى ما خاطبني به عند توبيخي إياه لما ركب المحمل قال: صدق والله، ما هذا إلا رجل محسود على النعمة، مكذوب عليه ولعمري قد أزعجناه وروعناه وأرعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتنى به. فخرجت ونزعت قيوده وأدخلته إلى الرشيد فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحباة يجول في وجهه

فدنا الاموى وسلم بالخلافة ووقف. فرد عليه الرشيد ردا جميلا وأمره بالجلوس فجلس فأقبل عليه الرشيد يسائله عن حاله، ثم قال له: إنه بلغنا عنك فضل هيئة، وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن إليك فاذكر حاجاتك. فأجاب الاموى جوابا جميلا وشكر ودعا وقال: أما حاجاتي فما لى إلا حاجة واحدة. قال: مقضية. فما هي ؟ قال يا أمير المؤمنين تردني إلى بلدي وأهلي وولدى. قال نحن نفعل ذلك، ولكن سل ما تحتاج إليه من مصالح جاهك ومعاشك، فإن مثلك لا يخلوا أن يحتاج إلى شئ من هذا ؟. فقال: عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدلهم عن مسألته من ماله، وأمورى منتظمة وأحوالي مستقيمة وكذلك أمور أهل البلد بالعدل الشامل في ظل دولة أمير المؤمنين. فقال الرشيد: انصرف محفوظا إلى

بلدك. واكتب لنا بأمر إن عرض لك. فودعه الاموى فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة: احمله من وقتك وسر راجعا كما سيرته حتى إذا أوصلته إلى المجلس الذى أخذته منه فدعه وانصرف ففعلت ذلك. حدثنى على بن هشام قال: سمعت أبا الحسن على بن عيسى يتحدث قال: سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول: حدثنى أبى قال: كنت أنا والعباس ابن الخصيب مع خلق من العمال والكتاب معتقلين في يدى محمد بن عبد الملك في آخر وزرائه للواثق نطالب ببقيا مصادرات، ونحن في إياس من الفرج إذ اشتدت علة الواثق وحجب ستة أيام عن الناس فدخل إليه أبو عبد الله أحمد بن أبى دؤاد القاضى فقال له الواثق يا أبا عبد الله: وكان يكنيه ذهبت منى الدنيا والآخرة. قال: كلا يا أمير المؤمنين. قال: بلى والله قد ذهبت منى الدنيا بما ترى من حضور الموت، وذهبت الآخرة بما أسلفت من العمل القبيح فهل عندك شئ من دواء ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قد عزل محمد بن عبد الملك كثيرا من الكتاب والعمال وملا بهم الحبوس ولم يتحصل من جهتهم على شئ كثير وهم عدد كثير ووراءهم ألف يد ترفع إلى الله عزوجل بالدعاء عليك فتأمر بإطلاقهم لترتفع تلك الايادي بالدعاء لك فلعل الله يهبك العافية، وعلى كل حال أنت محتاج إلى أن تقل خصومك. فقال:

نعم ما أشرت به، وقع إليه عنى باطلاقهم. فقلت ان رأى خطى عاند ولج ولكن يغتنم أمير المؤمنين الثواب ويتساند ويحمل على نفسه ويوقع بخطه فوقع الواثق بخط مضطرب إلى ابن الزيات بإطلاقهم وإطلاق كل من في الحبس من غير استئمار ولا مراجعة وتقدم إلى إيناخ أن يمضى بالتوقيع، ولا يدعه يعمل شيئا أو يطلقهم وأن يحول بينه وبين الوصول إليه أو كتب رقعة أو اشتغال بشئ ألبتة إلا بعد إطلاقهم، وأنه إن لقيه في الطريق أن ينزله عن دابته ويجلسه في الطريق حتى يفرغ من ذلك. فتوجه ايناخ فلقى ابن الزيات راكبا يريد الخليفة فقال له: تنزل عن دابتك وتجلس على غاشيتك فارتاع وظن الحال به قد وقعت فنزل وجلس على غاشيته فأوصل إليه التوقيع فامتنع وقال إذا أطلقت هؤلاء فمن أين أنفق الاموال وأقيم الاتراك ؟ فقال: لابد من ذلك، فقال اركب واستأذنه. فقال لا سبيل إلى ذلك قال: فدعني أكاتبه قال ولا هذا فما برح من موضعه حتى وقع بإطلاق الناس فصار ايناخ الينا ونحن في الجس إياس من الفرج وقد بلغنا التلف وبلغنا اشتداد علة الواثق وأرجف لابنه بالخلافة وكان صبيا فخفنا أن يتم ذلك فيجعل ابن الزيات الصبى شيخا، ويتولى التدبير فيتلفنا وقد امتنعنا لفرط الغم من الاكل. فلما دخل ايناخ الحبس لم نشك إنه قد حضر لبلية فأطلقنا وعرفنا الصورة فدعونا الله عزوجل لابن أبى دؤاد وللخليفة وانصرفنا إلى منازلنا لحظة ثم خرجنا فوقفنا لابي عبد الله بن أبى دؤاد على الطريق ننتظر عوده من دار الخلافة إلى داره فحين رأيناه ترجلنا له ودعونا له وشكرناه، فأكبر ذلك عليه ومنعنا من الترجل فلم نمتنع فوقف حتى ركبنا وسايرنا إلى منازلنا، وأخذ يخبرنا بالخبر ونحن نشكره وهو يقتصر ما فعل ويقول: هذا أقل حقوقكم وكان الذى لقيه أنا، وأحمد بن الخصيب وقال: ستعلمان ما أعمله مستأنفا ورجع ابن أبى دؤاد إلى دار الخلافة عشيا فقال له الواثق قد تبركت برأيك يا أبا عبد الله ووجدت خفا من العلة ونشطت للاكل فأكلت وزن خمسة دراهم من الخبز بصدر دجاج. فقال له أبو عبد الله، يا أمير المؤمنين: تلك الايدى التى كانت تدعو عليك غدوة صارت تدعو لك عشية، ويدعو لك بسببهم

خلق كثير من رعيتك إلا أنهم قد صاروا إلى دور خراب وأحوال قبيحة بلا فرش ولا كسوة ولا دواب ولا ضياع موتى جوعا وهزالا قال: فما ترى ؟ قال يا أمير المؤمنين: في الخزائن والاصطبلات بقايا ما أخذ منهم فلو أمرت أن ينظر في ذلك فكل من وجد له شئ باق من هذا رد عليه وأطلقت عن ضياعهم لعاشوا وخف الاثم وتضاعف الدعاء وقويت العافية. قال: فوقع بذلك عنى. فوقع عنه ابن أبى داؤد فما شعرنا من الغد إلا وقد رجعت نعمنا علينا ومات الواثق بعد ثلاثة أيام وفرج الله عزوجل عنا بابن أبى دؤاد وبقيت له المكرمة العظيمة في أعناقنا. حدثنى أبو الحسن على بن هشام، قال: سمعت أبا الحسن على بن عيسى وأبا الحسن الايادي الكاتب يقولان: كان عبيد الله بن سليمان يقول كنت بحضرة أبى في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه إذ دخل عليه أحمد بن خالد الصرفينى الكاتب فقام إليه أبى قائما من مجلسه وأقعده في صدره وتشاغل به ولم ينظر في عمل حتى نهض ثم قام معه وأمر غلمانه بالخروج بين يديه فاستعظمت أنا وكل من في المجلس هذا، لان رسم أصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لاحد ممن خلق الله تعالى ممن يدخل إليهم فتبين أبى ذلك في وجهى فقال لى يا بنى: إذا خلونا فاسألني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل. قال: وكان أبى يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عشيا فلما جلسنا نأكل لم أذكره إلى أن رأيت الطعام كاد ينقضى فقال لى هو: يا بنى شغلك الطعام عما قلت لك أن تذكرني به فقلت: لا ولكن أردت أن يكون ذلك على خلوة. فقال يا بنى: هذه خلوة ألست أنكرت أنت والحاضرون قيامى لاحمد بن خالد عند دخوله وخروجه وما عاملته به ؟ قلت: نعم. فقال: كان هذا يتقلد مصر فصرف عنها، وقد كانت مدته فيها طالت فوطئت آثار رجل لم أر أجمل آثارا منه، ولا أعف عن أموال السلطان والرعية ولا رأيت رعية لعامل أشكر من رعيته له، وكان الحسين المعروف بعرق الموت الخادم صاحب البريد بمصر أصدق الناس لنفع هذا، وهو من أبغض اناس إلى وأشدهم اضطراب أخلاق فلم أتعلق عليه بحجة

ووجدته قد أخر رفع الحساب لسنة متقدمة لسنته التى هو فيها ولم ينفذه إلى الديوان فسألته أن يحط من الدخل ويزيد في النفقات والارزاق ويكثر من البقايا في كل سنة مائة ألف دينار لآخذها لنفسي فامتنع من ذلك فأغلظت له وتوعدته، ونزلت معه إلى مائة ألف واحدة في السنتين وحلفت بإيمان مؤكدة أنى لا أقنع منه بأقل من هذا. فأقام على امتناعه وقال أنا لا أخون لنفسي فكيف أخون لغيري، وأزيل ما قام به جاهى من العفاف فحبسته وقيدته فلم يجب، وأقام مقيدا في الحبس شهورا وكتب عرق الموت يضرب على عند المتوكل ويحلف أن أموال مصر لا تفى بنفقتي ومؤنتي، ويصف أحمد ابن خالد ويذكر ميل الرعية إليه وعفته فأنا ذات يوم على المائدة آكل إذ وردت إلى رقعة أحمد بن خالد يسألنى استدعاءه لمهم يلقيه إلى فلم أشك أنه قد ضاق بالحبس والقيد، وقدم عزم على الاستجابة لمرادي فلما غسلت يدى دعوته فاستخلانى فأخليته فقال: أما آن لك يا سيدى أن ترق لى مما أنا فيه من غير ذنب اليك، ولا جرم ولا قديم دخل، ولا عداوة ؟ فقلت: أنت اخترت لنفسك هذا، وقد سمعت يمينى وليس منها مخرج. فاستجب لما أمرت به واخرج فأخذ يستعطفنى ويخدمني ويخدعنى فقال لى يا سيدى: فليس الآن عندك غير هذا ؟ فقلت: لا. فقال إذا كان ليس غير هذا فاقرأ يا سيدى وأخرج إلى كتابا لطيفا مختوما في ربع قرطاس ففضضته فإذا هو بخط المتوكل الذى أعرفه وهو إلى يأمرنى فيه بالانصراف وتسليم ما أتولاه إلى أحمد بن خالد والخروج إليه مما يلزمنى، ورفع الحساب فورد على أقبح مورد لقرب عهد الرجل بشتمي له وإساءتي إليه فأمسكت مبهوتا. ولم ألبث أن دخل أمير

البلد في أصحابه وغلمانه فوكل بدارى وبجميع ما أملكه وبأصحابى وغلماني وجهابذى وكتابي وجعلت أزحف من صدر المحل حتى صرت بين يدى أحمد بن خالد، ودعا أمير البلد بحداد فحل قيدة فوثب قائما وقال لى: يا أبا أيوب أنت قريب عهد بعمالة هذا البلد، ولا منزل لك فيه ولا صديق ومعك حرم وحاشية كثيرة وليست تسعك إلا هذه الدار وكانت دار العمالة، وأنا أجد عدة مواضع غيرها وليس لى

---

[١٠٦]

كثير حاشية ومن نكبة خرجت فأقم بمكانك وخرج وصرف المتوكل بالدار وأخذ كاتبى وأسبابي إليه فلما انصرف قلت لغلماني: هذا الذى نراه في النوم انظروا من وكل بنا ؟ فقالوا: ما وكل بنا أحد فعجبت من ذلك عجبا عظيما وما صليت العصر حتى عاد إلى من كان حمله معه من المتصرفين والكتاب والجهابذة مطلقين وقالو: أخذ خطوطنا برفع الحساب وأمرنا بالملازمة وأطلقنا. قال: فازداد عجبى فلما كان من غد باكرنى مسلما ورحت إليه في عشية ذلك اليوم وأقمت ثلاثين يوما ان سبقني إلى المجئ والا رحت إليه وإن راح إلى والا باكرته، وفى كل يوم تجيئني هداياه وألطافه من الثلج والفاكهة والحيوان والحلوى فلما كان بعد الثلاثين يوما جاءني وقال: قد عشقت مصر يا أبا أيوب، والله ما هي طيبة الهواء، ولا عذبة الماء، وإنما تطيب بالولاية والاكساب. ولو قد دخلت إلى سر من رأى لما أقمت بها إلا شهرا واحدا حتى تتقلد أحد الاعمال. فقلت: والله ما أنا إلا متوقع لامرك في الخروج فقال: أعطني خط كاتبك بأن عليه القيام بالحساب واخرج في حفظ الله فأحضرت كاتبى وأخذت خطه كما أراد وسلمته إليه وقال لى أخرج أي يوم شئت فخرجت من غد فخرج هو وأمير البلد وقاضيه وأهله فشيعوني إلى ظاهر البلد وقالوا لى تقيم في أول منزل على خمسة فراسخ إلى أن أزيح علة قائد ويصحبك برجاله إلى الرملة فان الطريق فاسد، فاستوحشت لذلك وقلت هذا إنما غرني حتى أخرج كل ما أملكه فيتمكن منه في ظاهر البلد فيغتصبه ثم يردنى إلى الحبس والتوكيل والمطالبة ويحتج على بكتاب ثان يذكر أنه ورد من المتوكل، فخرجت فأقمت بالمرحلة التى أمر بها مستسلما متوقعا للشر إلى أن رأيت أوائل عسكر مقبل من مصر فقلت لعله القائد الذى يريد أن يصحبني إياه أو لعله الذى يريد أن يقبض على به فأمرت غلماني بمعرفة الخبر ؟ فقالوا: العامل أحمد بن خالد قد جاء فلم أشك في أنه قد ورد البلاء بوروده فخرجت من مضربى فلقيته وسلمت عليه، فلما جلس وسلم قال أخلونا فلم أشك أنه للقبض على وطار عقلي فقام من كان عندي فلما لم يبق أحد قال: أنا أعلم أن

---

[١٠٧]

أيامك لم تطل في مصر ولا حظيت بكثير فائدة، وذلك الباب الذى سألتنيه في ولايتك فلم أجب إليه إنما أخرت الاذن لك في الانصراف منذ أول الامر إلى الآن لانى تشاغلت بالفراغ لك منه، وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات كل سنة خمسة عشر ألف دينار تكون في السنتين ثلاثين ألف دينار وهو يقرب ولا يظهر ويكون أيسر مما أردته منى في ذلك الوقت وقد تشاغلت به حتى جمعته لك، وهذا المال على البغال فقدم إلى من يستلمه فتقدمت لقبضه وقبلت يده وقلت: قد والله يا سيدى فعلت ما لم تفعل البرامكة فأنكر ذلك منى وتقبض منه وقبل يدى ورجلي وقال: ها هنا شئ آخر أريد أن تقبلة منى فقلت: ما هو ؟ قال خمسة آلاف دينار قد استحقيتها من رزقتى فامتنعت وقلت فيما قد تفضلت به كفاية فحلف أنى أقبلها منه فقبلتها. فقال: وهذه الطاف من هدايا مصر أحببت أن أصحبك

إياها فانك ستصير إلى كتاب الدواوين ورؤساء الحضرة ويقولون لك وليت مصر فأين نصيبنا من هداياها ولم تطل أيامك فتعد ذلك لهم وقد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا الثبت واخرج درجا فيه ثبت جامع لكل شئ في الدنيا حسن ظريف جليل القدر من ثياب ديبقى وقصب وخدم، وبغال ودواب وحمير، وفرش وطيب كثير وما يكون فيه الجميع مال كثير فأمرت بتسلمه وزدت في شكره فقال لى يا سيدى أنا مغرى بحب الفرش وقد عملت لى بيت أرمنى بأرمينية وهو عشر مصليات بمخادها ومساندها ومطارحها وبساطها وهو مذهب بطرز مذهبة قد قام على بخمسة آلاف دينار على شدة احتياطي فان أهديته إلى الوزير عبدك، وان أهديته إلى الخليفة ملكته به، وإن أبقيته لنفسك وتجملت به كان أحب إلى وحمله إلى فما رأيت مثله قط ولم تسمح نفسي باهدائه إلى أحد ولا استعماله فما ابتذلت منه شيئا إلا يوم اعذارك. فهل تلومني يا بنى بعد ذلك على أن أقوم لهذا الرجل ؟ قال: فقلت: لا والله يا أبى ولا على ما هو أكثر من القيام لو كان مستطاعا. قال: فكان أبى بعد ذلك إذا صرف رجلا عامله بكل جميل يقدر عليه ويقول: علمنا أحمد أحمد بن خالد حسن التصرف.

---

[١٠٨]

حدثنا أبو على الحسين بن محمد بن موسى الانباري الكاتب الذى كان زوج ابن المهلبى بن محمد رحمه الله بإسناده: أن القاسم بن عبد الله لما تفرد بالوزارة بعد موت أبيه كان يحب الشرب واللعب ويخاف أن يتصل بالمعتضد خبره فيستنقصه وينسبه إلى الصبوة والتهتك والتشاغل واللذات عن الاعمال، وكان لا يشرب إلا في حالين على إخفاء وأستر ما يكون، وأنه خلا يوما مع جوار مغنيات ولبس من ثيابهن المصبغات وأحضر فواكه كثيرة وشرب ولعب من نصف نهار يوم إلى نصف الليلة الاخرى ونام بقية الليلة وبكر إلى المعتضد للخدمة على رسمه فما أنكر شيئا، وبكر في اليوم الثاني فحين وقعت عين المعتضد عليه قال له: يا قاسم ما كان عليك لو دعوتنا إلى خلوتك وألبستنا معك من ثيابك المصبغات ؟ قال فقبل الارض وروى عن الصدق وأظهر الشكر على هذا البسط وخرج وقد كاد يتلف غما لوقوف المعتضد على هذا القدر من أمره وكيف لا تخفى عليه مواقفه فجاء إلى داره كئيبا وكان له في داره صاحب خبر يقال له خالد يرفع إليه أمورها فأحضره وعرفه بما جرى بينه وبين المعتضد وقال له: إن بحثت لى عمن أخرج هذا الخبر إليه زدت في رزقك وأجزتك كذا، وإن لم تعرفه نفيتك إلى عمان وحلف له على الامرين فخرج صاحب خبره من حضرته متحيرا كئيبا لا يدرى ما يعمل يومه ويفكر ويحتال ويجتهد فما وقع له رأى يعمل عليه. قال صاحب الخبر: فلما كان من الغد بكرت إلى دار القاسم زيادة تبكير على ما جرى به رسمى لفرط سهري وقلقي تلك الليلة ومحبتى للبحث فجئت ولم يفتح باب دار القاسم بعد فجلست فإذا برجل يزحف في ثياب المكدين ومعه مخلاة كما يكون مع المكدين فلما جاء إلى الباب جلس حتى فتح فسابقني إلى الدخول فأولع به البوابون وقالوا أي شئ خبرك يا فلان وصفعوه فمزحهم وطايبهم وشتمهم وشتموه وجلس في الدهليز فقال: الوزير يركب اليوم. قالوا: نعم الساعة يركب قال: وأى وقت نام البارحة ؟ قالوا وقت كذا وكذا. فلما رأيته يسأل عن هذا خمنت أنه صاحب خبر فأصغيت إليه ولم أرهم يحفلون بأمره وهو لم يدع بوابا ممن وصل إلى الوزير وممن لم يصل إلا سأله عنه وحدثه به. ويبدؤه

---

[١٠٩]

بأحاديث أخر على سبيل الفضول، ثم زحف فدخل إلى جنب أصحاب أصحاب الستور فأخذ معهم في مثل ذلك وأخذوا معه في مثله، ثم زحف فدخل إلى دار العامة فقلت لاصحاب: الستور من هذا ؟ فقالوا: رجل زمن فقير أبله طيب النفس يدخل الدار ويتطايب ويتصدق فيهب له الغلمان والمتصرفون فتبعته، إلى أن دخل المطبخ فسأل عما أكل الوزير ومن كان معه على المائدة وفى أي شئ أفاضوا والطباخ وغلمانه وغلمان صاحب المائدة كل واحد يخبره بشئ، ثم خرج يزحف حتى دخل حجرة الشراب فلم يزل يبحث عن كل شئ ويحدث، ثم خرج إلى خزانة الكسوة فكانت حالته وصورته هذه. ثم جاء إلى مجلس الكتاب في الديوان فقصد وأقبل يسمع ما يجرى ويسأل الصبى بعد الصبى، والحدث بعد الحدث عن الشئ بعد الشئ، ويستخبر الخبر في كل موضع من تلك المواضيع ويتتبعه، ويخلط الجد بالمزاح والتطايب بكلامه، والاخبار تنجر إليه وتتساقط عليه، والقطع تجيئه وهو يملا تلك المخلات فلما فرغ من هذا أقبل راجعا يريد الباب فلما بلغه قبضت عليه فأدخلته بيتا وأغلقت عليه وجلست على بابه، فلما خلا الوزير أعلمته. فقال: أحضر لى الرجل. وفى رواية أخرى أنه لما بلغ الباب تبعته فرجع حتى جاء إلى موضع من الخلد فدخل إليه ووقفت انتظره فإذا هو بعد ساعة قد خجر بثياب حسان ماشيا بغير قلبة فتبعته حتى جاء إلى دار قرب دار الخادم الموكل بحفظ دار ابن طاهر فدخلها. فسألت عنها فقالوا: هذه دار فلان الهاشمي رجل متجمل فرصدته إلى وقت المغرب، فجاء خادم من دار ابن طاهر فدق الباب فكلمه من خوخة له فصاح إليه ورمى إليه برقعة لطيفة فأخذها الخادم وانصرف. فجئت فطلبت من الوزير غلمانا فسلم إلى ما طلبت فبكرت من سحر إلى الدار التى في الخلد فإذا أنا بالرجل قد جاء بزيه الذى دخل به داره بقرب دار ابن طاهر فكبسته في الموضع، فإذا هو قد نزع تلك الثياب ولبس ثياب المكدين التى رأيتها عليه أولا فحملته وغطيت وجهه

وكتمت أمره حتى أدخلته دار القاسم ودخلت إليه وقصصت عليه الخبر. قال: فقوض القاسم شغله وخلا واستدعاه. فقال: لتصدقني عن أمرك أولا ترى ضوء الدنيا، ولا تخرج من هذه الحجرة والله أبدا. قال تؤمنني ؟ قال: أنت آمن. فنهض لا قلبة به فتحير القاسم وقال الرجل أنا أخبرك أنا فلان بن فلان الهاشمي رجل متجمل، وأنا أتخبر عليك للمعتضد منذ كذا وكذا فأنزل بدرب يعقوب بقرب دار ابن طاهر يجرى على المعتضد خمسين دينارا في الشهر، وأخرج كل يوم بالزى الذى لا ينكره جيراني فأدخل دارا في الخلد بيدى منها بيت بأجرة فيظن أهلها أن منهم ولا ينكروني للزى، فأخرج من هناك بهذه الثياب وأتزامن من الموضع وألبس لحية فوق لحيتى مخالفة للونى حتى إن لقيني في الطريق بالاتفاق بعض من يعرفني أنكرني، وأمشى زحفا من الخلد إلى دارك فأعمل جميع ما عرفت وأقتفى أخبارك من غلمانك وهم لا يعرفون غرضي. ويخرجون إلى بالاسترسال ما لو بذل لهم فيه من الاموال لم يظهروه، ثم أخرج فأجئ إلى موضع من الخلد فأغير ثيابي وأعطى ذلك الذى قد اجتمع معى في المخلات للمكدين وألبس ثيابي التى يعرفونى بها جيراني وأعود إلى منزلي وآكل وأشرب وألعب بقيت يومى، فإذا جاء المغرب جاءني خادم من خدم دار ابن طاهر مندوب لهذا فأرمى إليه من روزنة لى برقعة فيها خبر ذلك اليوم ولا افتح له بابا، فإذا كان بعد تسعة وعشرين يوما جاءني الخادم فأنزل إليه فأعطيه رقعة ذلك اليوم ويعطيني جائزة ذلك الشهر، ولولا أنى لم أر صاحب خبرك ولا فطنت له لما تم على هذا. ولو كنت لحظته لحظة واحدة لما خفى على أنه صاحب خبر ولكنت رجعت من الموضع الذى أراه فيه فلا يعرف خبرى وبعد ذلك فانما تم على هذا لان أجلى قد حضر فالله الله في دمى. قال فاصدقني عما رفعته عنى إلى المعتضد ؟ قال فحدثه

بأشياء رفعها منها خبر الثياب المصبغات. قال: فحبسه القاسم أياما وأخفى أمره وأنفذني إلى منزله وقال راع أمرهم وانظر ما يجرى فمضيت إلى داره التى وصفها بدرب يعقوب فجلست إلى المغرب فجاء الخادم فاصح به فقالت له الجارية ما رجع اليوم ولم يكن له بهذا عادة قط،

---

[١١١]

وقد قامت قيامتنا والله. فانصرف الخادم وانصرفت وعدت من غد وقت المغرب وجاء الخادم فقالت الجارية: ما جاء اليوم أبدا وقد والله اشتد همنا وأشفقنا أن يكون قد حدثت عليه حادثة لا نعرفها. فانصرف الخادم وانصرفت وعدت من غد وعاد الغلام فقالوا له: يا هذا قد والله يئسنا منه ولا شك في أنه هلك والماتم قد أقيمت عليه في منزل أمه وعمومته فانصرف الخادم وجئت إلى القاسم بالخبر. فلما كان من الغد ركب القاسم إلى المعتضد فحين رآه استدعاه وساره وقال: ابراهيم الهاشمي المتزامن بحياتي أطلقه وأحسن إليه وأنت آمن بعدها من أن أنصب عليك صاحب خبر، ووالله لئن أحدثت به حادثة لا عرفت في دمه أحدا غيرك. فقبل الارض وانصرف فعاد إلى داره وحمد الله تعالى إذ لم يعجل بقتله وأخبرنا الخبر وأحضر الهاشمي وخلع عليه ووصله بمال له قدر وصرفه وانقطعت أخباره عن المعتضد * حدثنا أبو الحسن أحمد ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن البهلول التنوخى بالاسناد عن أبى القاسم عبيد الله بن سليمان وهو وزير في يوم من أيام جلوسه للمظالم إذ وقعت في يده رقعة فقرأها وتوقف ساعة كالمفكر ثم قال: أين عمر بن محمد بن عبد الملك ؟ فأدخل عليه. فقال: أنت عمر ؟ قال: نعم أعز الله الوزير أنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات. قال فتوقف أيضا ساعة ثم قام إلى خلوة له ولم يطل وعاد إلى موضعه فوقع لعمر بن محمد بجائزة ولم يزل كالمفكر إلى أن تفرق الناس وخلا المجلس ممن يحتشم فقال لنا: وقفتم على خبر هذا الرجل ؟ قلنا قد وقفنا على ما كان من الوزير أعزه الله في أمره ولم نقف على السبب. فقال: أحدثكم بحديثه فإنه طريف، حدثنى أبى أبو أيوب رحمه الله تعالى قال: كنت في يدى محمد ابن عبد الملك الزيات يطالبني وأنا منكوب. وكان: يحضرني كل يوم بغير سبب ولا مطالبة وأنا في قيودي وعلى جبة صوف، وكان أخى الحسن يكتب بين يديه ولم يكن يتهيأ له في أمرى شئ إلا أنه كان إذا رأني استقبلني، فإذا رجعت إلى موضعي شيعني إذ أقبل في يوم خادم لمحمد ومعه ولد صغير فوثب كل من في المجلس إلى الصبى يقبلونه ويدعون له سواى فكنت مشغولا

---

[١١٢]

بنفسى فلم أتحرك فأخذه محمد وضمه إليه وقال يا سليمان: لم لا تفعل بهذا الصبى كما فعله أهل المجلس ؟ قلت: اشتغلنى عن ذلك ما أنا فيه. قال: لا ولكنك لم تطق ذلك عداوة لابيه وله وكأني بك وقد ذكرت عبيد الله فأملت فيه الآمال والله لا رأيت فيه شيئا تؤمله، وأشرف بعد ذلك في الاستماع فعلمت أنه قد بغى ووثقت من الله عزوجل بجميل عادته وأنه سيبلغني ما آمله فيه عنادا لبغيه. قال: ولم يمض إلا مدة يسيرة حتى سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك وقلدنى مناظرته وإحصاء متاعه فوافيت داره فرأيت ذلك الخادم بعينه ومعه الصبى يبكى. فقلت ما خبر هذا الصبى ؟ فقال: قد منع من كل ماله وأدخل في الاحصاء فقلت: لا بأس عليه، فدخلت فسلمت إليه كل ما كان له ثم قال لى: فينبغي يا بنى إن تهيأت لك حال ورأيت الصبى وهو عمر بن محمد أن تحسن إليه وتقابل نعمة الله تعالى فيه بما يجب لها، فلما رأيته في هذا الوقت تذكرت ما قاله

أبو أيوب رحمه الله تعالى فامتثلت فيه ما أشار به وأنا أتقدم بعد الذى فعلته به إلى أبى الحسين بتصريفه، وكانت لعمر خرجة قويت بها حاله عند أبى الحسين إلى أن استخلفه في دار أبى النجم مدبرا بين يديه، وقد ذكر محمد بن عبدوس في كتابه " كتاب الوزراء " أنه وجد بخط ميمون ابن هارون عن أبى محمد داود بن الجراح وقد وقع إلى من وجه آخر على خلاف ذلك بإسناده عن جماعة قالوا كلهم: حضرنا مجلس عبيدالله بن سليمان في أول وزارته للمعتضد وقد حضر رجل رث الهيئة بثياب غلاظ فعرض عليه رقعة، وكان جالسا للمظالم فقرأها قراءة متثاقل لها متفكر فتعجب ثم قال: نعم وكرامة ثلاث مرات أفعل ما قال أبى لا ما قال أبوك، وكرره ذا القول أيضا ثلاث مرات ثم قال له: عد إلى وقت العصر لانظر في أمرك. ثم قال لنا: إذا خلوت فذكروني بحديث هذا لاخبركم منه بعجب عجيب وعمل بقية المجلس ثم قام واستراح ودعا بالطعام فلما أكلنا أكثر الاكل قال لنا: ما أراكم ذكرتموني بحديث صاحب الرقعة ؟ فقلنا أنسينا. فقال: حدثنى أبى قال: كنت في زمن محمد بن عبد الملك في أيام الواثق لما صادرني عن كتابة ايناخ

على أربعمائة ألف دينار، وقد أديت منها مائتي ألف ونيفا وأربعين ألف دينار فاستحضرني يوما وطالبني بالباقي وحدنى فيه وأرهبني ولم يرض منى إلا إن أجبت أن أؤدى خمسين ألف دينار قاطعة للمصادرة على أن يطلق ضياعي. قال: ونحن في ذلك ولم يأخذ خطى به بعد إذ خرج إليه خادم من دار حرمه برقعة فقرأها ونهض فكان بحضرته أخى أبو على الحسين بن وهب وهو غالب عليه إلا أنه يخافه أن يتكلم في أمرى وهو يرى ما يجرى ولا يقدر أن يكلمني ولا يكلمه، فلما قام الوزير رمى إلى أخى برقعة لطيفة فوقعت في حجري فإذا فيها: جاءني الخبر الساعة من دارك ان قد رزقت ابنا خلقا سويا وهو جسم بغير اسم فما تحب أن يسمى ويكنى ؟ فقلت له: عبيدالله أبو القاسم. فكتب بذلك في الحال إلى منزلي قال: وتداخلني سرور بذلك وقوة نفس وحدثت نفسي بأنك تعيش وتبلغ وانتفع بك قال: وعاد محمد إلى مجلسه فأعاد خطابي فلم أستجب له وأخذت أدافع. فقال لى يا أبا أيوب: ما ورد عليك بعدى، أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ما خلفتك منذ ساعة. فقلت ما ورد على شئ. فقال: والله لئن لم تصدقني لافعلن وأصنعن. فقلت ما عندي ما أصدق عنه. فأقبل على أخى فقال لتخبرنى بشأنه فخافه أخى فصدقه عن الصورة فسكن وقال له: أتعرف لاى شئ قمت أنا ؟ فقال: لا. قال كوتبت بأن ولدا ذكرا سويا قد ولد لى فدخلت فرأيته وأسميته باسم أبى وكنيته بأبى مروان. قال سليمان: فقمت إليه وقبلت يديه ورجليه وهنأته وقلت: أيها الوزير هذا يوم مبارك وقد رزقت ابنا فارحمني، وارع سالف خدمتي لك، واجعل ابني موسوما بخدمة ابنك، يسلم معه في المكتب، ويتعلمان وينشوان في دولتك، فيكون كاتبا له فحملته اللدادة والقسوة التى فيه إلى أن قال يا أبا أيوب: أعلى تجوزنى وتستفز وتخاتل قد حدثتك نفسك بأن ابنك هذا يبلغ المبالغ، وتؤمل له الوزارة ؟ ورجوت في نوائب الزمان وقلت: أرجو أن يحتاج ابنه إلى ابني حتى يطلب منه الاحسان والفضل. فإذا استحلفك بالله وأحرج عليك ان بلغ ابنك هذا المبلغ الا

وصيته أن جاءه ابني لشئ من هذا أن لا يحسن إليه. قال فأعظمت الخطاب وتنصلت واعتذرت ووقع في قلبى في الحال أن هذا غاية البغى، فان الله عزوجل سيخرج ابنه إلى ابني فيحقق فيهما ما قاله

وظننته وما مضت إلا مدة مديدة حتى فرج الله عنى، ثم قال لى أبى يا بنى: بالله إن رفعك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج اليك الا أحسنت إليه قال: وضرب الدهر مضربه فما عرفت لابي مروان خبرا حتى رأيته اليوم فكان ما شاهدتم، ثم أمر بطلب أبى مروان فأحضر فوهب له مالا وخلع عليه وجمله، وقلده ديوان البريد والخرائط، قال أبو الحسين: فما زال يتقلده منذ ذلك الوقت إلى آخر وزارة ابن الفرات الثالثة فانه مات فيها وقد تقلده ثلاثين سنة أو أكثر. وكان: كتب إلى عبيدالله أول ما كاتبه بعد تقلده هذا الديوان: عبد الوزير وخادمه عبد الملك بن محمد، فأراد عبيدالله أن يتكرم عليه. فقال له أنت على كل حال ابن وزير وما أحب أن تتعبد لى، فاكتب اسمك فقط على الكتب فقال: لا تسمح نفسي بهذا ولكني أكتب عبد الملك بن محمد عبد الوزير وخادمه فقال: اكتب. فكتب بذلك فصارت عادة فكتب بها إلى جميع الوزراء إلى أن مات في وزارة ابن الفرات الثالثة فصار كالمترتب عليهم بما عامله من ذلك عبيدالله وغلب عليه أن عرف بأبى مروان الخرايطى ونسى نسبه إلى ابن الزيات إلا من كانى يعرفه من الكتاب وغيرهم أخبرني بذلك جماعة من الشيوخ. ووجدت في بعض الكتب بغير إسناد أن عبيدالله بن زياد لما بنى داره البيضاء بالبصرة بعد قتل الحسين رضى الله عنه صور في بابها رؤسا مقطعة، وصور في دهليزها أسدا وكلبا وكبشا، وقال: أسد كالح، وكبش ناطح، وكلب نائم، فمر بالباب أعرابي فقال: أما ان صاحبها لا يسكنها إلا ليلة لا يتم. فرفع الخبر إلى ابن زياد فأمر بالاعرابي فضرب وحبس، فما أمسى حتى قدم رسول ابن الزبير إلى قيس بن السكن ووجوه أهل البصرة في أخذ البيعة له ودعا الناس إلى طاعته فأجابوه وأرسل بعضهم بعضا

بالوثوب عليه من ليلتهم، وأنذره قوم منهم كانت له عندهم صنائع فهرب من داره في ليلته تلك فأجاروه ووقعت الحروب المشهورة بينهم وبين تميم بسببه حتى أخرجوه فألحقوه بالشام وكسر الحبس فخرج الاعرابي ولم يعد ابن زياد إلى داره وقتل في وقعة الجازر * حدثنى القاضى محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال: سمعت ابن عمرو الغنوى يقول: لما أسرني أبو سعيد الجنابي القرمطى وكسر العسكر الذى كان أنفذه معى المعتضد بالله لقتاله وحصلت في يده أسيرا آيست من الحياة فأنا يوم على تلك الصورة إذ جاءني رسوله فأخذ قيودي، وغير ثيابي وأدخلني إليه فسلمت وجلست فقال لى: أتدرى لم أستدعيك ؟ قلت: لا. قال: أنت رجل عربي ومن المحال أن أستودعك أمانة أن تحقرها ولا سيما منى عليك بنفسك. فقلت: هو كذلك. قال: إنى فكرت فإذا لا طائل في قتلك، وإذا في نفسي رسالة إلى المعتضد لا يجوز أن يؤديها غيرك فرأيت إطلاقك وتحميلك إياها فان حلفت لى أن تؤديها سيرتك إليه ؟ فحلفت فقال: تقول للمعتضد يا هذا: لم تخرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك وتتعبها في طلبى وإنفاذ الجيش إلى وانا رجل مقيم في فلاة لا زرع عندي ولا ضرع، ولا غلة ولا بلد، وإنما أنا قد رضيت لنفسي بخشونة العيش والامن على المهجة والعز بأطراف هذه الرماح، وما اغتصبتك بلدا كان في يدك، ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فو الله لو أنفذت إلى جيشا من الجيوش مع الثلج والريح والندى فيجيئون من المسافة البعيدة والطريق الشاق وقد قتلهم السفر وقبل قتالنا فانما غرضهم أن يبدوا عذرا في مواقفتنا ساعة ثم يهربون، فان ثبتوا مع ما لحقهم من وعثاء السفر، وشدة الجهد التى هي أكثر اعواني عليهم فما هو إلا أن أخفق عليهم حتى انهزموا وكثر ما تقدر عليه أن يجيئوا فيستريحوا ويقيموا، ويكونوا عدة لا قبل لى بهم فيهزموني إذا قاتلوني لا يقدر جيشك على أكثر من ذلك. فما هو إلا أن انهزم حتى قد بعدت عن هذا الموضع عشرين فرسخا أو ثلاثين، وحولت من

الصحراء شهرا أو اثنين ثم أكبسهم على غرة فقتلت جميعهم، ولو لم يستولى هذا وكانوا متحرزين

---

[١١٦]

فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري فلا ينبغى طلبى في الصحارى، ثم لا يحملهم البلد في المقام ولا الزاد إن كانوا كثيرين فان انصرف الجمهور وبقى الاقل فهم قتلى سيوفى أول يوم ينصرف الجيش ويبقى من يتخلف، هذا إن سلموا من وباء هذا البلد ورداءة مائة وهوائه للذين نشؤا في ضده، وربوا في غيره، ولا عادة لاجسامهم بالصبر عليه، ففكر في هذا وانظر: هل يفى تعبك وتغريرك بجيشك وعسكرك، وانفاقك الاموال وتجهيزك الرجال، وتكلفك هذه الاخطار، وتحملك هذه المشاق لطلبي، وأنا مع ذلك خالي الدرع منها، سليم النفس والاصحاب من جميعها، وهيبتك تنقص في الاطراف وعند ملوكها كلما جرى عليك شئ من هذا، ثم لا تظفر من بلدي بطائل، ولا تصل منه إلى مال أو حال، فإن اخترت بعد هذا محاربتي فاستخر الله تعالى وانفذ من شئت، وإن أمسكت فذاك اليك. قال: فأنفذني ثم جهزني وأنفذ معى عشرة من أصحابه إلى الكوفة فسرت منها إلى الحضرة، فدخلت على المعتضد فتعجب من سلامتي وسألني عنها فقلت: سبب أذكره سرا لامير المؤمنين فتشوق إليه وخلا بى وسألني فقصصت عليه القصة فرأيته يتمعط في جلده غيظا، حتى ظننت أنه سيسير بنفسه إليه وخرجت من بين يديه فما رأيته بعد ذلك ذكره بحرف. حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي الموصلي رحمه الله تعالى قال: حدثنى جماعة من ثقاة أهل الموصل: ان فاطمة بنت أحمد بن على الكردى زوجة ناصر الدولة أم أبى تغلب اتهمت عاملا كان لها يقال له ابن أبى قبيصة من أهل الموصل بخيانة في مالها، فقبضت عليه وحبسته في قلعتها، ثم رأت أن تقتله فكتبت إلى المتوكل بالقلعة بقتله، فورد عليه الكتاب وكان لا يحسن أن يقرأ ولا يكتب وليس عنده من يقرأ ويكتب الا ابن أبى قبيصة فدفع الموكل بالقلعة الكتاب إليه وقال له: اقرأ فلما رأى فيه الامر بقتله قرأ الكتاب بأسره إلا حديث القتل ورد الكتاب عليه وقال ابن

---

[١١٧]

أبى قبيصة: ففكرت وقلت أنا مقتول ولا آمن أن يرد كتاب آخر في هذا المعنى ويتفق حضور من يقرأه غيرى فينفذ الامر في سبيلى أن أحتال عليه بحيلة فإن تمت سلمت، وان لم تتم فليس يلحقني أكثر من القتل الذى أنا حاصل فيه، فتأملت القلعة فإذا فيها موضع يمكن أن أطرح نفسي منه إلى أسفل إلا أن بينه وبين الارض أكثر من ثلاثة آلاف ذراع، وفيه صخر لا يجوز أن يسلم معه من يقع عليه قال: فلم أجسر ثم ولد لى الفكر أنى تأملت الثلج قد سقط عدة ليال قطعا فغطى تلك الصخور فصار فوقها أمر عظيم يجوز ان سقطت عليه وفى أجلى تأخير أن ينكسر بعض بدنى وأسلم قال: وكنت مقيدا فقمت لما نام الناس فطرحت نفسي من الموضع قائما على رجلى فحينما حصلت في الهواء ندمت وأقبلت أستغر الله، وأتشهد وغمضت عينى حتى لا أرى كيف أموت وجمعت رجلى بعض الجمع، لانى كنت سمعت قديما أن من اتفق عليه أن يسقط قائما من مكان عال إذا جمع رجليه، ثم أرسلها إذا بقى بينه وبين الارض قدر ذراع أو أكثر قليلا أن يسلم وينكسر حد السقطة ويصير كأنه بمنزلة من سقط من ذراعين. قال: ففعلت ذلك فلما سقطت إلى الارض ذهب عنى أمرى وزال عقلي ثم آب إلى فلم أجد ما كان ينبغى أن يلحقني من ألم السقوط من ذلك الموضع فأقبلت أجس أعضائي شيئا فشيئا فأجدها

سالمة وقمت وقعدت وحركت يدى ورجلي فوجدت ذلك كله سالما، فحمدت الله تعالى على تلك الحال، وأخذت صخرة وكان الحديد الذى قد صار في رجلى كالزجاج لشدة البرد. قال: فضربته ضربا شديدا فانكسر فطن حتى ظننت أنه سيسمعه من في القلعة لعظمه فينتبهون إلى فسلم الله عزوجل من هذا أيضا، وقطعت تكتى وشددت ببعضها القيد على ساقى وقمت أمشى في الثلج فمشيت طويلا ثم خفت أن يروا آثارى من غد في الثلج على المحجة فيتبعوني فلا أفوتهم فعدلت عن المحجة إلى نهر يقال له الخابور، فلما وصلت إليه وصرت على شاطئه نزلت في الماء إلى ركبتي وأقبلت أمشى كذلك فرسخا حتى انقطع أثرى، ثم خرجت لما كادت أطرافي

تسقط من البرد فمضيت على شاطئه ثم عدلت أمشى فيه وربما حصلت في موضع لا أقدر على المشى فيه لانه يكون جرفا فأسبح، واستمريت على ذلك أربعة فراسخ حتى حصلت في خيم فيها أقوام فأنكروني وهموا بى فإذا هم أكراد. فقصصت عليهم قصتي واستجرت بهم فرحموني، وأوقدوا بين يدى وأطعموني وستروني وانتهى الطلب من غد إليهم فما أعطوا خبرى أحدا، فلما انقطع الطلب سيرني حتى دخلت الموصل مستترا، وكان ناصر الدولة ببغداد إذ ذاك فانحدرت إليه وأخبرته بخبرى كله فعصمني من زوجته وأحسن إلى وصرفنى. حدثنى أبو على بن عبيدالله الحسين بن عبد الله الجصاص الجوهرى، قال: سمعت أبي يحدث قال: لما نكبنى المقتدر وأخذ منى تلك الاموال العظيمة أصبحت يوما في الحبس آيسا من الفرج فجاءني خادم، فقال: البشرى. فقلت: ما الخبر ؟ قال: قم قد أطلقت. فقمت معه فاجتاز بى في بعض طرق دور الخليفة يريد إخراجى إلى دار السيدة لتكون هي التى تطلقني لانها هي التى شفعت في، فوقعت عينى في اجتيازى على أعدال خيش لى أعرفها كان مبلغها مائة عدل. فقلت للخادم: أليس هذا من الخيش الذى حمل من دارى ؟ فقال: بلى. فتأملته فإذا هو بشده وعلاماته وكانت هذه أعدالا قد حملت إلى من مصر كل عدل منها فيه ألف دينار من مال كان لى هناك كتبت بحمله فخافوا عليه من الطريق فجعلوه في أعدال الخيش لانها مما لا تكاد أن ينهبه اللصوص وإن وقعوا به لا يفطنون لما فيه فوصلت سالمة، ولا ستغنائى عنها وعن المال لم أخرجه من الاعدال وتركته بحاله في بيت في دارى وأقفلت عليه وتوخيت بذلك أيضا سر حديثه فتركته شهورا على حاله لانقله كما أريد في أي وقت أرى، ولما حبست أخذ الخيش في جملة ما أخذ من دارى، ولخسته عندهم تهاونوا به ولم يعرف أحد ما فيه فطرح في تلك الدار، فلما أريته عندهم بشده طمعت في خلاصه والحيلة في إرجاعه فسكت.

فلما كان بعد أيام من خروجي راسلت السيدة وشكوت حالى إليها وسألتها أن تدفع إلى ذلك الخيش لانه لا قدر له عندهم وأنا أنتفع بثمنه. قال: فاستحمقتنى وقالت: وأى قدر لهذا الخيش ردوه عليه. فسلم إلى بأسره ففتحته وأخذت منه المائة ألف دينار وما ضاع منها دينار واحد، وأخذت من الخيش ما احتجت إليه وبعت باقيه بجملة وافرة وقلت في نفسي إنه قد بقيت لى بقية اقبال جيدة. حدثنى على بن هشام، قال: سمعت حامد بن العباس يقول: ربما انتفع الانسان في نكبته بالرجل الصغير أكثر من منفعته بالكبير، فمن ذلك: ان إسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه

قديما (قال): وكان رجلا حرا فأحسنت إليه وبررته فكنت أعتمد على عناية أبى العباس ابن الفرات وكان ذلك البواب لقدم خدمته لاسماعيل يدخل إلى مجالسه الخاصة ويقف بين يديه لا ينكر ذلك عليه لسالف الصحبة، فصار إلى في بعض الليالى وقال: قد حرد الوزير على ابن الفرات بسببك وقال له: ما يكسر المال على حامد غيرك، ولابد من الجد في مطالبته بباقى مصادرته، وسيدعو بك الوزير في غد إلى حضرته ويتهددك، فشغل ذلك قلبى. فقلت له: فهل عندك من رأى ؟ فقال: تكتب رقعة إلى رجل من معامليك تعرف شحه وضيق نفسه فتلتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إياها وتسأله أن يجيبك على رقعتك، فان الشحة توجبه أن يردك بعذر وتحتفظ على الرقعة فإذا طالبك الوزير تخرجها على غير مواطأة وتقول: قد أفضت حالى إلى هذا فلعل ذلك ينفعك. ففعلت ما قال وجاءني الجواب بالرد كما خمنا وشددت الرقعة معى فلما كان من الغد أخرجنى الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة إليه وأقرأته إياها ورققته وكلمته فلان واستحى، وكان ذلك سبب خفة أمرى وزوال محنتي. فلما تقلدت في أيام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب وجذبته إلى خدمتي فكنت أجرى عليه خمسين دينارا في كل سنة وهو باق إلى الآن * أخبرني

أبو الفرج على بن الحسين المعروف بالاصفهاني، بالاسناد عن محمد بن أبى العتاهية، قال: حدثنى أبى قال لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدى بحبسي في السجن سجن الجرائم فأخرجت من بين يديه إلى الحبس فلما دخلته استوحشت ودهشت وذهل عقلي ورأيت منظرا هائلا ورميت بطرفي أطلب موضعا آوى فيه أو رجلا آنس بمجالسته فإذا أنا بكهل حسن السمت نظيف الثياب يبين عليه سيما الخير فقصدته وجلست إليه من غير أن أسلم عليه وأسأله عن شئ من أمره لما أنا فيه من الجزع والحيرة فمكثت كذلك مليا وأنا مطرق مفكر في حالى فأنشد الرجل: تعودت مس الضر حتى لقيته * وأسلمنى حسن العزاء إلى الصبر وصيرني يأسى من الناس واثقا * بحسن صنيع الله من حيث لا أدرى قال فاستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب إلى عقلي فأقبلت على الرجل وقلت له: تفضل أعزك الله بإعادة هذين البيتين. فقال لى: ويحك يا إسماعيل ولم لم تكنى ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومرؤتك، دخلت ولم تسلم تسليم المسلم على المسلم، ولا توجعت لى توجع المبتلى للمبتلى، ولا سألتنى سؤال الوارد على المقيم حتى إذا سمعت بيتين من الشعر لم يجعل الله عزوجل فيك خيرا، ولا أدبا ولا جعل لك معاشا غيره لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه، ولا اعتذرت مما قدمت وأفرطت فيه من الحق حتى استنشدتني مبتدئا كأن بيننا انسا قديما أو صحبة تبسط المنقبض فقلت له: فاعذرني متفضلا فان دون ما أنا فيه يدهش. قال: وفى أي شئ أنت ؟ إنما تركت قول الشعر الذى كان جاهك عندهم وسبيلك إليهم فحبسوك حتى تقوله وأنت لابد أن تقوله فتطلق، وأنا يدعى بى الساعة فأطالب باحضار عيسى بن زيد بن رسول الله صلى لله عليه وسلم فإن دللت عليه فقتل لقيت الله عزوجل بدمه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمى فيه وإلا قتلت. فأنا أولى بالحيرة منك. وأنت ترى احتسابي وصبرى. فقلت: يكفيك الله عزوجل. وأطرقت وجهى خجلا منه فقال لى: لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين واحفظهما

فأعادهما على مرارا حتى حفظتهما ثم دعى به وبى فلما وقف بين يدى المهدى قال له: أين عيسى بن زيد ؟ قال: ما يدرينى أين عيسى بن زيد طلبته وأخفته فهرب منك في البلاد، فأخذتني وحبستني فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس ؟ قال له: فأين كان متواريا ومتى آخر عهدك به وعند من لقيته ؟ فقال ما لقيته منذ توارى ولا أعرف له خبرا. قال: والله لتدلني عليه أو لاضربن عنقك الساعة ؟ قال: اصنع ما بدالك أنا أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتله فألقى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم يطالباني بدمه ؟ ! والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه. فقال اضربوا عنقه. ثم دعاني فقال: أتقول الشعر أو ألحقك به ؟ قلت: بل أقوله. قال: فاطلقوه. قال محمد بن القاسم بن مهرويه والبيتان اللذان سمعهما لا يحضرني الآن من هما من شعره. قال القاضي أبو على: وأنشدني بعض أصحابنا معهما بيتا آخر زيادة. إذا أنا لم أقنع من الدهر بالذى * تكرهت منه طالب عتبى على الدهر وجدت في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم صاحب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير أبو محمد المهلبى على ديوان السواد وذكر لى: أنه نسخه من كتاب أعطاه إياه أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصينى وكان فيه إصلاحات بخط أبى الحسين بن مابيداد، قال أبو الحسين على بن الحسين بن عبد الاسكافي: كان داود كاتب أم جعفر قد حبس وكيلا لها وجب عليه في حسابه مائة ألف درهم فكتب الوكيل إلى عيسى بن فلان، وسهل بن الصباح وكانا صديقين له بخبره فسارا ليتكلما له فلقيهما الفيض بن صالح فسألهما عن خبرهما فأخبراه، فقال: أتحبان أن أكون معكما ؟ قالا: نعم. فصاروا إلى داود فكلموه في إطلاق الرجل. فقال: أكتب إلى أم جعفر فكتب إليها يعلمها خبر القوم وحضورهم ومسألتهم في الوكيل فوقعت في الرقعة أن يعرفهم ما وجب لها عليه من المال، ويعلمهم أن لا سبيل إلى اطلاقه

دون أداء المال فاقرأهم داود التوقيع واعتذر إليهم: فقال عيسى، وسهل بن الصباح: قد قضينا حق الرجل فقد أبت أم جعفر أن تطلقه إلا بالمال فقوموا ننصرف فقال لهما الفيض بن صالح: كأنا إنما جئنا لنؤكد حبس الرجل ؟ قالا له: فماذا تصنع ؟ قال: نؤدى عنه المال. قال: ثم أخذ الدواة فكتب إلى وكيله في حمل ما على الرجل كتابا دفعه إلى داود كاتب أم جعفر وقال: قد أجزنا في المال فادفع إلينا صاحبنا. قال: لا سبيل إلى ذلك حتى أعرفها الخبر. قال فكتب إليها بالخبر فوقعت في رقعته أنا أولى بالمكرمة من الفيض ابن صالح فاردد عليه كتابه بالمال، وادفع إليه الرجل وقل له: لا يعاود مثل ما كان منه " قال ": ولم يكن الفيض يعرف الرجل وإنما ساعد عيسى وسهلا على الكلام في أمره. أخبرني أبو الفرج على بن الحسين المعروف بالاصفهاني بالاسناد أنه لما كان أعشى همدان أبو المصبح ممن أغزاه الحجاج بلد الديلم ونواحى دستى فأسر فلم يزل أسيرا في أيدى الديلم، ثم أن بنت العلج الذى كان أسره هوته وصارت إليه ليلا ومكنته من نفسها فأصبح وقد واقعها ثمانى مرات. فقالت له الديلمية: يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم ؟ فقال لها هكذا نفعل كلنا. فقالت له بهذا العمل نصرتم. أرأيت إن خلصتك تصطفيني لنفسك، قال لها: نعم، وعاهدها فلما كان من الليل حلت قيوده وأخذت به طريقا تعرفها حتى خلصته فقال شاعر من أسراء المسلمين: فمن كان يفديه من الاسر ماله * فهمدان يفديها الغداة أيورها وقال الاعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم: لمن الظعائن سيرهن ترجف * عزن السفين إذا تقاعس يجدف وذكر أبو الفرج القصيدة وهى طويلة اخترت منها ما يتعلق بالفرج بعد الشدة وهى قوله: أصبحت رهنا للعداة مكبلا * أمسى وأصبح في الاداهم أرسف

[١٢٣]

ولقد أرانى قبل ذلك ناعما * جذلان آبى ان أضام وآنف واستنكرت ساقى الوثاق وساعدي * وأنا أمرؤ بادى الاشاجع أعجف وأضامني قوم وكنت أضيمهم * فالآن أصبر للزمان وأعرف وإذا تصبك من الحوادث نكبة * فاصبر لها فلعلها تتكشف وذكر أبو عبد الله بن عبدوس في " كتاب الوزراء ": أن نجاح بن سلمة حبس ابراهيم بن المدبر مكايدة لاخيه وذلك في أيام المتوكل، فلما طال حبس ابراهيم ولم يجد حيلة في الخلاص عمل أبياتا أنفذها إلى المشدود الطنبورى وسأله أن يعمل فيها لحنا ويغنى بها المتوكل فإذا سأل عن قائلها عرفه أنها له. ففعل المشدود ذلك وسأله المتوكل فقال لعبدك ابراهيم بن المدبر فذكره فأمر بإطلاقه والابيات هي: بأبى من بات عندي * طارقا من غير وعدى بات يشكو شدة الشو * ق واشكو فرط وجدى وتجنى فبكى فانهل * در فوق وردى قيد تحت يد طو * را وخد فوق خدى وذكر أيضا أن اسحاق بن سعيد، قال: حدثنى أبو عبد الله محمد بن عيسى المروروذى صاحب يحيى بن خاقان عنه، قال: كان المأمون الزمني خمسة آلاف ألف درهم فأعلمته أنى لا أملك إلا سبعمائة ألف درهم وحلفت على ذلك أيمانا مغلظة اجتهدت فيها فلم يقبل منى وحبسني عند أحمد بن هشام وكان بينى وبينه شر قد شهر وعرف وكان يتقلد الحرس فقال أحمد للموكلين بى: احفظوا واحذروا أن يسم نفسه. ففطن المأمون لمراده. فقال له يا أحمد: لا يأكل يحيى بن خاقان إلا ما يؤتى به من منزله، قال: فأقمت على ذلك ووجه إلى فرج الرجحى بألف ألف درهم، ووجه إلى الحسن بن سهل بألف ألف درم فأضفت ذلك إلى ما كان عندي حتى جمعت خمسة آلاف ألف درهم. فلما اجتمعت كتبت إلى المأمون بحضور المال الذي ألزمنيه فأمر

[١٢٤]

بإحضارى فدخلت عليه وبين يديه، أحمد بن خالد، وعمرو بن مسعدة، وعلى ابن هشام فلما رأني قال لى: أو لم تخبرني وتحلف لى أنك لا تملك إلا سبعمائة ألف درهم فمن أين لك هذا المال ؟ فصدقته عن أمره وقصصت عليه قصته. فأطرق طويلا ثم قال: قد وهبته لك. فقال الحضور أتهب له خمسة آلاف ألف درهم وليس في بيت المال درهم وأنت محتاج إلى ما دون ذلك بكثير فلو أخذته منه قرضا وإذا جاءك مال رددته إليه ؟ فقال لهم: أنا على المال أقدر من يحيى وقد وهبته له فرددت على القوم ما كانوا حملوه إلى وتخلصت. وقال محمد بن عبدوس في كتابه " كتاب الوزراء ": أن محمد بن يزداد سعى إلى المأمون بعمرو بن بهنونى فقال المأمون: يا فضل خذ عمرا إليك وقيده وضيق عليه ليصدق عما صار إليه من مالى فقد احتاز مالا جليلا وطالبه به فقلت: نعم، وأمرت باحضار عمرو فاحضر فأخليت له حجرة في دارى وأقمت له ما يصلحه، وتشاغلت عنه بأمور السلطان في يومى وغده فلما كان اليوم الثالث أرسل إلى عمرو يسألنى الدخول إليه فدخلت وأخرج إلى رقعة قد أثبت فيها كل ما يملكه من الدور والضياع والعقار والاموال والكسوة والفرش والجوهر والكراع والقماش وما يجوز بيعه من الرقيق فكان قيمة ذلك عشرين ألف ألف درهم وسألني أن أوصل رقعته إلى المأمون وأعلمه أن عمرا قد جعله من دون ذلك في حل وسعة، فقلت له: فإن أمير المؤمنين أكبر قدرا من أن يسلبك نعمتك عن آخرها. فقال عمرو إنه كما وصفت في كرمه ولكن الساعي لا ينام عنى ولا عنك، وقد بلغني ما أمرت به في أمرى من الغلظة وقد عاملتني بضد ذلك وقد طبت نفسا بأن أشترى عدل أمير المؤمنين لك في أمرى ورضاه عنى بجميع مالى فلم أزل أنزله حتى وافقته على عشرة آلاف ألف درهم.

فقلت هذا شطر مالك وهو صالح للفريقين وأخذت خطه بالتزام ذلك صلحا عن جميع ما جرى على يديه وصرت إلى المأمون فوجدت محمد بن يزداد قد سبقني إليه وإذا هو يكلمه، فلما رأني قطع الكلام وخرج. فقال المأمون يا فضل: قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: ما هذا الجرأة منك وعلينا ؟ فقلت يا أمير المؤمنين أنا عبد طاعتك

---

[١٢٥]

وغرسك، فقال: أمرتك بالتضييق على النبطي عمرو بن نهونى فقابلت أمرى بالضد ووسعت عليه وأقمت له الانزال ؟ فقلت يا أمير المؤمنين: إن عمرا يطالب بأموال كثيرة عظيمة فلم آمن أن أجعل محبسه في بعض الدواوين فيبذل مالا يرغب في مثله فيتخلص فجعلت محبسه في دارى، وأشرفت على طعامه وشرابه لا حرس نفسه فان كثيرا من الناس اختانوا السلطان وتمتعوا بالاموال ثم طولبوا بها فاحتيل عليهم ليبطنوا ويفوز بالاموال غيرهم. قال الفضل: وإنما أردت بذلك تسكين غضب المأمون على، ولم أعرض الرقعة عليه بما جرى بينى وبين عمرو لانى لا آمن سورته من ذلك الوقت لاشتداد غضبه. فقال لى سلم عمرا إلى محمد بن يزداد. ففعلت فلم يزل يعذبه بأنواع العذاب حتى يبذل له شيئا فلم يفعل فلما رآى أصحابه وعماله ما قد ناله جمعوا له من بينهم ثلاثة آلاف الف درهم وسألوا عمرا أن يبذلها لمحمد بن يزداد فبذلها فصار محمد إلى المأمون متجها بها وواصل الخط بها إلى المأمون وأنا واقف. فقال المأمون يا فضل: ألم نعلمك أن غيرك أقوم بأمورنا منك وأطوع لما تأمر ؟ فقلت يا أمير المؤمنين: أرجو أن أكون في حالى استبطاء أمير المؤمنين أبلغ في طاعته من غيرى. فقال المأمون: هذه رقعة عمرو ابن بهنونى بثلاث آلاف ألف درهم. فقلت - وما اجترأت عيه قط اجترائي عليه ذلك اليوم - فانى أخرجت ضبارة كانت مع غلامي فأخذت الرقعة منها مسرعا وقلت والله لاعلمن أمير المؤمنين أنى مع رفقي أبلغ في حياطة أمواله من غيرى مع غلظته، وأريته رقعة عمرو التى كتبها لى وحدثته بحديثي عن آخره. فلما تبين المأمون الخطين وعلم أنهما من خط عمرو قال: ما أدرى أيكما أعجب ؟ عمرو حيث تنكر برك وطاب نفسا بالخروج من ملكه بهذا السبب، أم أنت ومحافظتك على أهل النعم وسترتك عليه ذلك في ذلك الوقت. والله لا كنتما يا نبطيان باكرم منى. ودفع الرقعة التى أخذها محمد بن يزداد من عمرو إلى وأمرني بتمزيقها وتمزيق الاولى وأمر من يسلم عمرا من مجلسه إلى وأمرني باطلاقه فخرجت من بين يديه وفعلت ذلك.

---

[١٢٦]

حدثني أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن الحسن بن عياش الخزرى البغدادي وكان خليفة أبى رحمه الله على الفتيا بسوق الاهواز بإسناده عن القاضى أبى عمرو رحمه الله قال: لما جرى من أمر عبد الله بن المعتز ما جرى حبست وما في لحيتى طاقة بيضاء، وحبس معى أبو المثنى القاضى، ومحمد بن داود بن الجراح في دار واحدة في ثلاثة أبيات متلاصقة، وكان بيتى في الوسط وكنا آيسين من الحياة وكنت إذا جن الليل حدثت أبا المثنى تارة، ومحمد بن داود تارة وحدثانى من وراء الابواب ويوصى كل واحد منا إلى صاحبه ونتوقع القتل ساعة بساعة. فلما كان ذات ليلة قد أغلقت الابواب ونام الموكلون ونحن نتحدث عن بيوتنا إذ حسسنا بصوت الاقفال تفتح فارتعنا ورجع كل منا إلى صدر بيته. فما شعرت الا وفتح الابواب على محمد ابن داود فأخرج واضجع على المذبح، فقال يا قوم ذبحا كما

تذبح الشاة ؟ أين المصادرات أين أنتم عن أموالي أفتدى بها نفسي على كذا وكذا. قال فما التفتوا إلى كلامه وذبحوه وأنا أراه من شق الباب وقد أضاء السجن من كثرة الشموع وصار كأنه نهار، واحتزوا رأسه فأخرجوه معهم وجردوا جثته وطرحت في بئر الدار وغلقت الابواب (قال): فأيقنت بالقتل وأقبلت على الصلاة والدعاء والبكاء فما مضت إلا ساعة واحدة حتى أحسست بالاقفال تفتح فعاودني الجزع، فإذا هم جاؤا إلى بيت أبى المثنى ففتحوه وأخرجوه وقالوا له: يقول لك أمير المؤمنين يا عدو الله، يا فاسق بما استحللت نكث بيعتى وخلع طاعتي ؟ فقال: لانى علمت أنه لا يصلح للامامة. فقالوا له: إن أمير المؤمنين قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفر فان تبت رددناك إلى محبسك وإلا قتلناك ؟ فقال: أعوذ بالله من الكفر ما أتيت ما يوجب الكفر. قال هو يتهوس معهم بهذا الكلام وشبهه فلا يرجع عنه، فلما آيسوا منه مضى بعضهم وعاد فظننت أنه يستتيب في الاستئذان (قال): فأضجعوه ثم ذبحوه وأنا أراه وحملوا رأسه وطرحوا جثته في البئر (قال): فذهب على أمرى وأقبلت على الدعاء والبكاء والتضرع إلى الله عزوجل فلما كان في وجه السحر وقد سمعت

صوت الديادب فإذا بصورت الاقفال فقلت لم يبق غيرى وأنا مقتول فاستسلمت وفتحوا الباب عنى فأقاموني إلى الصحن وقالوا يقول لك أمير المؤمنين يا فاعل يا صانع ما حملك على خلع بيعتى ؟ فقلت: الخطأ وشقوة الجد وأنا نائب إلى الله عزوجل من هذا الذنب. قال فأقبلت أتكلم بهذا وشبهه فمضى بعضهم وعاد فقال: أجب ثم أسر إلى وقال: لا بأس عليك فقد تكلم فيك الوزير يعنون ابن الفرات وأنت مسلم إليه (قال): فسكت وجاؤا إلى بخفى وطيلسانى وعمامتي فلبست ذلك وأخرجت فجئ بى إلى الدار التى كانت برسم ابن الفرات في دار الخليفة فلما رآني أقبل يخاطبني بعظم جنايتى وخطئي وأنا أقر بذلك وأستقيل وأتنصل، ثم قال قد وهب لى أمير المؤمنين دمك، وابتعب منه حرمك بمائة الف دينار الزمتك إياها فقلت أيها الوزير: والله ما رأيت بعضها قط مجتمعا فغمزني بأن اسكت وجذبني قوم من وجوه الكتاب كانوا بحضرته ورائي فسكتوني فعملت أن ابن الفرات قد أراد تخليص دمى فقلت كلما يأمر الوزير أعزه الله. فقال: احملوه إلى دارى، قال فأخذت وحملت إلى داره فقرر أمرى على مائة ألف دينار يؤدى منها النصف عاجلا ويصير النصف في حكم الباطل على رسم المصادرات، فلما صرت في دار ابن الفرات وسع على في الطعام والمشرب والمجلس وأدخلت الحمام، ورفهت وأكرمت فرأيت لما خرجت من الحمام وجهى في المرآة فإذا طاقات شعرى قد ابيضت في مقدم لحيتى، فإذا أنا قد شبت في تلك الليلة الواحدة " قال ": وأديت من المال نيفا وثلاثين ألف دينار ثم نظر إلى ابن الفرات بالباقي وصرفنى إلى منزلي وتخلص من دمى فمكثت في بيتى سنتين وبابى مسدود على لا أرى أحدا ولا يرانى إلا في الشاذ وتوفرت على دروس الفقه والنظر في العلم إلى أن أذن الله عزوجل بالفرج وكشفت عنى، وأخرجت من بيتى إلى ولاية الاعمال * وشبه هذا الحديث ويقاربه وإن لم يكن بالحقيقة من " باب من خرج من حبس " إلا أنه من أخبار الفرج بعد الشدة من جملة ما حدثنى به أبو الحسين بن محمد بن على بن موسى الانباري الكاتب قال: سمعت كلوى كاتب الحرم يتحدث قال: كان في دار المقتدر عريف على الفراشين يخدمني وكان يضيفنا إذا أقمنا في دار الخليفة ففقدته مرة في الدار فظننت أنه

عليل فلما كان بعد شهور رأيته في بعض الطرق بزى التجار وقد شاب فقلت: فلان ؟ قال: نعم عبدك يا سيدي. فقلت ما هذا الشيب في هذه الشهور اليسيرة، وما هذا الذي أراه، وأين كنت فتلجلج فقلت لغلماني احملوه إلى دارى وقلت: حدثنى حديثك ؟ قال: على إن لى الامان والكتمان. فقلت: نعم. فقال: كان الرسم على كل عريف من الفراشين في دار الخليفة أن يدخل يوما من الايام هو ومن في عرافته إلى دور الخدمة والحرم لرش الخيوش التي فيها فبلغت النوبة إلى يوما كنت فيه مخمورا فدخلت ومعى رجالى إلى دار فلانة وذكر حظية جليلة من حظايا المقتدر فلعظم ما كنت فيه من الخمر ما رشيت قربتى، ولم أخرج بخروج الرجال وقلت لهم انصرفوا فهاتوا قربكم لاتمام الرش فإذا رششتم فنبهوني فانى نائم هنا، ودخلت خلف الخيش إلى باب باذا هنج يخرج منه ريح طيبة ونمت وغلب على النوم إلى أن جاء الفراشون ففرغوا من رش الخيش فعلمت أنى مقتول ان أحس بى القوم فتحيرت فلم أدر ما أعمل فدخلت الباذاهنج وكان ضيقا فجعلت رجلى على حائط الباذاهنج وتعلقت فيه ووقفت متعلقا أترقب أن يفطن بى، فإذا بنسوة فراشات يكنسن الخيش فلما فرغوا من ذلك فرشنه وهيئ فيه مجلس للشرب ولم يكن بأسرع من أن جاء المقتدر وعدة جوار فجلس وأخذت الجوارى في الغناء، وأنا أسمع ذلك كله وروحي تكاد تخرج فإذا أعييت نزلت فجلست في أرض الباذاهنج فإذا استرحت وخفت أن يفطن بى القوم وعدت وتعالقت إلى أن مضت قطعة من الليل ثم عن للمقتدر جذب حظيته إليه التى هي صاحبة تلك الدار فانصرف باقى الجوارى وخلى الموضع فواقع المقتدر الجارية وأنا أسمع حركتهما وكلامهما ثم ناما في مكانهما وأنا لا سبيل لى للنوم لحظة واحدة. لما نابنى من الخوف، ففكرت في أن أخرج وأصعد إلى بعض السطوح ثم علمت أنى ان فعلت ذلك تعجلت القتل ولم تزل تلك حالى إلى أن انتبه المقتدر في السحر وخرج من الموضع فلما كان في غد نصف النهار جاء عريف آخر من الفراشين ومعه فراشيه فخرجت فاختلطت بهم. فقالوا أي شئ تعمل

هنا ؟ فأومأت إليهم بالسكوت، وقلت الله الله في دمى فان حديثى يطول فتذمموا على أن لا يفضحونى، وقال بعضهم: ما بال لحيتك قد ابيضت ؟ فقلت: لا أعلم وأخذت من قربة بعضهم فطريت قربتى وخرجت فلما صرت في موضع من دار الخليفة وقعت مغشيا على وركبتني حمى عظيمة وذهب عقلي فمر بى الفراشون وحملوني إلى منزلي وأما لا أعقل، فأقمت مبرسما مدة طويلة وقد كنت عاهدت الله وأنا في الباذاهنج إن هو خلصني منه لا أخدم أحدا أبدا، ولا أشرب النبيذ، وأقلع عن أشياء تبت منها. فلما تفضل الله عزوجل على بالعافية وفيت بالنذر وبعث أشياء كانت لى وضممتها إلى دراهم كانت عندي ولزمت دكانا لعمتي أتعلم فيه التجارة وأتجر وتركت الدار، فما عدت إليها إلى الآن ولا أعود أبدا إلى خدمة الناس ولا انقض ما تبت منه ورأيت لحيته قد كثر فيها الشيب. حدثنا على بن هشام، قال: كان أبو الحسن بن الفرات لما ولى الوزارة الاولى وجد سلمان بن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخلافة من قبل على بن عيسى والديوان إذ ذاك كله إلى على بن عيسى، فقلد أبا الحسن بن الفرات سلمان الديوان بأسره وأقام يتقلده نحو سنتين فأقام ليلة في دار ابن الفرات يصلى المغرب فسقط من كمه رقعة رآها بعض من حضر فأخذها ولم يفطن لها سلمان فقرأها فوجدها سعاية في حق ابن الفرات واشيا به إلى المقتدر، وسعيا لابن عبد الحميد كاتب السيدة في الوزارة، فتقرب بها إلى ابن الفرات فقبض على سلمان للوقت وأنفذه في زورق مطبق إلى واسط فحبسه بها وصادره وعذبه وكان في العذاب دهرا وآيس من الخلاص. فبلغ ابن الفرات أن أم سلمان بن الحسن ماتت ببغداد وأنها

كانت تتمنى رؤيته قبل موتها، فاغتم لذلك وتذكر المودة بينه وبين أبيه الحسن بن مخلد فكتب إليه بخطه كتابا أقرأنيه سلمان بعد سنين كثيرة من ذلك الحال وحفظته ونسخته وهو: " بسم الله الرحمن الرحيم: ميزت أكرمك الله بين حقك وجرمك، فوجدت الحق يوفى عن الجرم، وتذكرت من سالف خدمتك في المنازل

التى فيها ربيت وبين أهلها غديت، فأثنانى عليك وعطفنى اليك، وأعادني لك إلى أفضل ما عهدت، وأجمل ما ألفت، فثق أكرمك الله بذلك، واسكن إليه، وعول في صلاح ما اختل من أمرك عليه، واعلم أننى أرى فيك حقوق أبيك التى تقوم بتوكيد النسب مقام اللحمة والنسب، وتسهل ما عظم من جنايتك، وتقلل ما كثر من إساءتك، ولم أدع مراعاتها والمحافظة عليها بمشيئة الله، وقد قلدتك أعمال دستميسان سنة ثمان وتسعين ومائتين وبقايا ما قبلها، وكتبت إلى أحمد بن محمد بن جيش بحمل عشرة آلاف درهم اليك، فتقلد هذه الاعمال وأثر فيها أثرا جميلا يبين عن كفاءتك ويؤدى إلى ما أحبه من زيادتك إن شاء الله ". قال أبو الحسين: وابن جيش هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط. حدثنى البهلول بن محمد بن أحمد بن اسحاق بن البهلول التنوخى رحمه الله، قال: حدثنى أبو على الوكيل على أبواب القضاة ببغداد، ويعرف: بالناقد، قال: كنت أقيم خبر المحبوسين في المطبق بمدينة السلام في أيام المقتدر بالله فرأيت في المطبق رجلا مغلولا على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلا. فسألته عن قصته ؟ فقال: أنا والله مظلوم. فقلت: وكيف كان أمرك ؟ فقال: كنت ليلة من الليالى في دعوة صديق لى بسوق يحيى فخرجت من عنده مغلسا وفى الوقت فضل وأنا لا أعلم، فلما صرت في قطعة من الشارع رأيت مشاعل الطائف فرهبته ولم أدر ما أعمل فرأيت شريحة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورتها كما كانت وقمت في الدكان ليجوز الطائف وأخرج، وبلغ الطائف الموضع فرأى الشريحة مشوشة فقال فتشوا هذا الدكان فدخلت الرجالة بمشعل فرأيت في ضوئه رجلا في الدكان مذبوحا وعلى صدره سكين فجزعت ورأى الرجال ذلك ورأوني قائما فلم يفتكروا في إلا أنا قاتله، وأخذني صاحب الشرطة ثم عرضت فضربت ضربا شديدا وعوقبت أصناف العقوبات وأنا أنكر، وعندهم أنى أتجلد وهم يزيدوني فاجتمعت أهلى وكان لهم شغب بأسباب السلطان فتكلموا في واستشهدوا خلقا كثيرا على سيرى فبعد

شدائد ألوان أعفيت من القتل ونقلت إلى المطبق، وفى هذا الحديد من منذ ست عشرة سنة. قال: فاستعظمت محنته وبهت من حديثه. فقال مالك والله ما آيس مع ذلك من فضل الله عزوجل فان من ساعة إلى ساعه فرجا. قال: فو الله ما خلص كلامه من فيه حتى ارتفعت ضجة عظيمة وكسر الحبس ووصلت العامة إلى المطبق ومكائده فأخرجوا كل من كان في الحبس وخرج الرجل من جملتهم فانصرفت وأنا أريد بيتى فإذا نازوك قد أقبل والفتنة قد ثارت، وفرج الله عزوجل عن الرجل * بلغني عن رجل من أهل كوثى قال: كان يتقلد بلدنا عامل من قبل أبى الحسين بن الفرات في بعض وزارته فافتح الخراج واشتد في المطالبة وكان في أطراف البلد قوم من العرب قد زرعوا من الارض مالا يتجاسر الاكرة على زراعته، وكان العمال يسامحونهم ببعض ما يجب عليهم من الخراج فطالبهم هذا العامل بالخراج على التمام أسوة الاكرة وأحضر أحدهم فحقق عليه المطالبة وهو يمتنع فأمر بصفعه حتى أدى الخراج وانصرف فشكى إلى بنى

عمه فتوافقوا على كبس العامل ليلا وقتله وراسلوا غيرهم من العرب وتواعدوا على ليلة معلومة فلما كان اليوم الذى يليه تلك الليلة ورد إلى الناحية عامل آخر صارفا للاول فقبض عليه وصرفه وضربه بالمقارع وأخذ خطه بمال وقيده وأمر أن يحمل إلى قرية أخرى على فراسخ من البلد فيحبس فيها، ووكل به عشرة من الرجال فسيروه مرة ماشيا ومرة على حمار فكاد مما لحقه أن يتلف وحصل تلك القرية وكان له غلام قد رباه وهو خصيص به عارف بجميع أموره فهرب عند ورود الصارف، فلما كان من الغد لم يشعر المصروف المحبوس إلا وغلامه الذى رباه قد دخل عليه فكانت محنته إليه أشد عليه من جميع ما لحقه اشفاقا على الغلام وعلى نفسه مما يعرفه الغلام أن يكون قد دل عليه، فقال الغلام: هات رجلك حتى أكسر قيودك وتقوم تدخل بغداد. فقال له: وأين الرجالة الموكلون بى ؟ فقال يا مولاى قد فرج الله تعالى وهرب الرجالة. فقال: ما سبب هذا ؟ قال إن الاعراب الذين كنت صفعت منهم واحدا وطالبته بالخراج كبسوا البارحة دار العمالة وعندهم أنك أنت العامل وقد عملوا على

قتلك ولم يكن عندهم خبر صرفك ولا خبر ورود هذا العامل فقتلوه على أنه أنت وهرب أصحابه وأهل البلد يخافونك فقم حتى تمشى إلى بغداد لئلا يبلغهم كونك هنا فيقصدونك ويقتلونك وكسر القيد، وقام هو وغلامه يمشيان على غير جادة إلى أن بعدا ودخلا قرية واستأجرا منها ما ركباه إلى بغداد ولقى المصروف الوزير ودب على المقتول وأنه أفسد الناحية وأثار فتنة مع العرب فأمره الوزير على الناحية وضم إليه جيشا إلي كوثى وتحصن بالجيش وأرهب العرب وأرضاهم إلى أن صالحهم أثبتهم وسكن إليهم وسكنوا إليه وزال خوفه واستقام له أمر عمله. أخبرني أبو الفرج الاموى المعروف بالاصفهاني بإسناده عن ابراهيم بن المهدى، قال: غضب على محمد الامين في بعض هناته فسلمني إلى كوثر فحبسني في سرداب وأغلقه على فمكثت فيه ليلتى فلما أصبحت فإذا أنا بشيخ قد خرج على من زاوية السرداب ودفع إلى وسطا وقال: كل. فأكلت ثم أخرج قنينة من شراب فشربت ثم قال: غن لى. فقلت: لى مدة لابد أبلغها * معلومة فإذا انقضت مت لو ساورتني الاسد ضارية * لغلبتها إن لم يجى الوقت فغنيته فسمعني كوثر فصار إلى محمد وقال له: قد جن عمك ! هو جالس يغني بكيت وكيت. فأمر بإحضارى فأحضرت وأخبرته بالقصة فرضى عني وأمر لى بسبعمائة ألف درهم * حبس عبد الله بن طاهر محمد بن أسلم الطوسى فكتب إليه بعض إخوانه يعزيه على مكانه فأجابه ابن أسلم: كتبت لى تعزيني وإنما كان يحب أن تهنيني أريت العجائب وعرضت لى المصائب إنى رأيت الله عزوجل يتحبب إلى من يؤذيه فكيف إلى من يؤذى فيه، إنى نزلت بيتا سقطت عنى فيه فروض وحقوق منها: الجمعة، والامر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وعيادة المريض، وقضاء حقوق الاخوان وما نزلت بيتا خيرا في دينى منه. فأخبر بذلك عبد الله بن طاهر فقال: نحن في حاجة إلى ابن أسلم أطلقوة * وكان المأمون قد غضب على فرج الزرحمى فكلمه

عبد الله بن طاهر ومسرور الخادم في إطلاقه قال فرج: فبت ليلتى وأنا مفكر إذ أتانى آت فقال لى: لما أتى فرج من ربه فرجا * جئنا إلى فرج نبغى به الفرجا فلما أصبحت لم أشعر إلا واللواء قد عقد لى على ولاية فارس والاهواز وأطلق لى معونة خمسمائة الف درهم، وإذا أبوالبغا الشاعر قائم على باب دارى وقد كتب هذا البيت في

رقعة فقلت له: متى قلت هذا ؟ فقال في الوقت الذى رضى عنك فيه. فأمرت له بعشرين ألف درهم * وقال عمار بن عقبة ابن عمارة من آل سلمى ابن المطهر حدثنى ملازم بن عدام الحنفي، وعن عمه ملازم بن حريث الحنفي قال: كنت في حبس الحجاج بسبب الحرورية فحبس معنا رجل فأقام حينا لا نسمعه يتكلم بكلمة حتى كان في اليوم الذى مات الحجاج في الليلة التى تليه فأقبل غراب في عشية ذلك اليوم فوقع على حائط السجن فنعق فقال الرجل: ومن يقدر على ما تقدر عليه يا غراب. ثم نعق الثانية: فقال مثلك من بشر بخير يا غراب. ثم نعق الثالثة: فقال من فيك إلى السماء يا غراب. فقلت له: ما سمعناك تكلمت مذ حبست إلى الساعة، فما دعاك إلى ما قلت ؟ قال: إنه نعق فقال: إنى وقعت على ستر الحجاج. فقلت: ومن يقدر على ما تقدر عليه ؟ ثم نعق الثانية فقال: إن الحجاج أصابه وجع. فقلت: مثلك من بشر بخير. ثم قال في الثالثة: الليلة يموت. فقلت: من فيك إلى السماء. ثم قال الرجل إن انسلخ الصبح قبل أن أخرج فليس على بأس، وإن دعيت الصبح فستضرب عنقي ثم تلبثون ثلاثة لا يدخل عليكم أحد، ثم يدعى بكم في اليوم الرابع فيهتف على رؤسكم بالكفالة فمن وجد له كفيلا خلى سبيله، ومن لم يجد له كفيلا فويل له طويلا. فلما دخل الليل سمعنا الصراخ على الحجاج، ثم أخرج الرجل قبل الصبح فضرب عنقه، ثم لم يدخل علينا أحد بعد ثلاثا، ثم دعى بنا وطلب منا الكفالة ثم صار الامر إلى فمكثت طويلا حتى خفت أن أرد إلى الحبس، ثم تقدم رجل فضمني فقلت له يا عبد الله: من أنت حتى أشكرك ؟ فقال لى: اذهب ولست بمسؤل عنك أبدا فانطلقت.

قال أبو الحسن على بن عبد الاعلى الاسكافي كنت أكتب لبغاء الكبير فصرفني ونكبني وأخذ ضياعي ومالى وحبسني بعد ذلك وتهددني ونالني منه كل مكروه، وإنى لفى حبسه إذ سمعت حركة فسألت عنها فقيل لى: قد وافى إسحاق بن إبراهيم الطاهري وكان صاحب الشرطة، فقلت: إنما هذا حضر لعقوبتي فطارت نفسي جزعا، فلم ألبث أن دعيت فحملت في قيودي وعلى ثياب في نهاية الوسخ فأدخلت وأنا كالميت لما بى ولعظم الخوف، فلما وقعت عين إسحاق على تبسم فسكنت نفسي. فقال لى بغاء إن أخى أبا العباس يعنى عبد الله بن طالب بن طاهر كتب إلى يشفع في أمرك وقد شفعته وأزلت عنك المطالبة ورضيت عنك، ورددت عليك ضياعك فانصرف إلى منزلك فبكيت بكاء شديدا لعظم ما قد ورد على قلبى من السرور، وفكت قيودي وغيرت حالى، وانصرفت فبت في بيتى وبكرت في المسير إلى إسحاق لاشكره واسأله عما أوجب ما جرى لانه شئ ما طمعت فيه، ولا كانت لى وسيلة إلى أبى العباس ولا إسحاق فلقيته وشكرته ودعوث له ولابي العباس وسألته فقال: ورد على كتاب الامير أبى العباس يقول فيه قد كانت كتب أبى موسى بغاء ترد على بمخاطبات توجب الانس والخلطة، وتلزم الشكر والمنة، ثم تغيرت فبحثت عن السبب فعلمت أن ذلك الكاتب صرف، وأنه منكوب وحق لمن أحسن عشرتنا ووكد المحبة بيننا وبين إخواننا حتى بان لنا موقعه وعرفنا موضعه لما صرف أن نرعى حقه. فسر أبقاك الله إلى أخى أبى موسى واسأله في أمر كاتبه المصروف عنى واستصفحه ما في نفسه منه واستطلقه واسأله رده إلى كتابته وإن كان ما يطالبه به مما لا ينزل عنه فأده من مالنا كائنا ما كان. فلقيته ففعل ما رأيت وأنا أعاود الخطاب في استكتابك وقد أمر لك الامير بكذا من المال فخذه. قال فأخذته وشكرت ودعوت للاميرين وانصرفت فأمضيت الايام حتى ردنى إسحاق إلى كتابة بغاء بشفاعة أبى العباس وتأثلت حالى معه ونعمتي. حدثنى على بن أبى الطيب بإسناده إلى سليمان بن أبى زياد قال: كان عمرو

[١٣٥]

ابن هبيرة واليا على العراق من ولاة يزيد بن عبد الملك فلما مات يزيد واستخلف هشام قال عمرو بن هبيرة سيولى هشام العراق أحد الرجلين سعيدا الخرشى، أو خالد بن عبد الله القسرى، فان ولى ابن النصرانية خالدا فهو البلاء. فولى هشام خالدا فدخل واسطا وقد أوذن عمرو بن هبيرة بالصلاة فهو يتهيأ والمرآة في يده يسوى عمته إذ قيل له هذا خالد قد دخل. فقال عمرو بن هبيرة: هكذا تقوم الساعة تأتى بغتة. فقدم خالد فأخذ عمرو ابن هبيرة فقيده وألبسه مدرعة صوف. فقال يا خالد: بئس ما سننت على أهل العراق ما تخاف أن يوجد فيك بمثل هذا ؟ ! فما طال حبسه جاءه موال له فاكتروا دارا إلى جانب الحبس ثم نقبوا سردابا إلى الحبس، واكتروا دارا أخرى إلى جانب حائط سور مدينة واسط فلما كانت الليلة التى أرادوا أن يخرجوه فيها من الحبس أفضى النقب إلى الحبس فخرج منه في السرداب، ثم خرج من الدار يمشى حتى بلغ الدار التى بجانب سور المدينة وقد نقب فيها فخرج في السرداب منها، وقد هيئت له خيل خلف حائط المدينة فركب وعلم به بعد ما أصبحوا وقد كان أظهر علة قبل ذلك لكى يتمسكوا عن تفقده في كل وقت. فأتبعه خالد سعيدا الخرشى فلحقه وبينه وبى الفرات شئ يسير فتعصب وتركه وقال الفرزدق شعرا: ولما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم تر إلا بطنها لك مخرجا دعوت الذى ناداه يونس بعد ما * ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا خرجت ولم يمنن عليك طلاقة * سوى زائد التقريب من آل أعوجا فأصبحت تحت الارض قد سرت ليلة * وما سار سار مثلها حين أدلجا قال سليمان بن أبى شيخ: فحدثني أبى خبرة عن أبى الجنحات قال: حدثنى حازم مولى عمرو بن هبيرة حين هرب من السجن فبلغنا دمشق بعد العتمة فأتى مسلمة بن عبد الملك خلف الصبح فاستأذن مسلمة على هشام ابن عبد الملك فدخل عليه. فلما رآه قال يا أبا سعيد: أظن ابن هبيرة قد طرقك في هذه الليلة ؟ قال أجل يا أمير المؤمنين: فقد أجرته فهبه لى. قال: قد وهبه لك.

[١٣٦]

أخبرني أبو الفرج القرشى المعروف بالاصفهاني قال: قد ذكر ابن الكلبى عن أبيه قال: خرج قيس بن قيسبة بن كلثوم السكوني وكان ملكا يريد الحج وكانت العرب تحج في الجاهلية ولا يتعرض بعضها لبعض فمر ببنى عامر ابن عقيل فوثبوا عليه وأسروه وأخذوا ماله وما كان معه وألقوه في الغل فمكث فيه ثلاث سنين وشاع في اليمن أن الجن استطارته. فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم وقد يئس من الفرج إذ قال لها: أتأذنين لى أن آتى الاكمة فاتشرق عليها فقد أضرني القر ؟. فقالت له: نعم. وكانت عليه جبة صوف لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الاكمة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمين وتغشاه عبرة فبكى ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: " اللهم فاطر السماء فرج لى مما أصبحت فيه ". فبينما هو كذلك إذ عرض عليه راكب يسير فأشار إليه أن أقبل فأقبل الراكب فلما وقف عليه قال له ما حاجتك يا هذا ؟ قال: أين تريد ؟ قال: أريد اليمن. قال: ومن أنت ؟ قال: أبوالطمحان العينى. فاستعبر ابن قيسبة فقال له أبوالطمحان: من أنت: ؟ فإنى أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك، ولست بدار فيها ملك. فقال: أنا ابن قيسبة بن كلثوم السكوني خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب على هذا الحى وصنعوا بى ما ترى وكشف عن أغلاله وقيوده. فاستعبر له أبوالطمحان. فقال له قيسبة: هل هل لك من مائة ناقة حمراء ؟ قال ما أحوجنى إلى ذلك. قال أنخ. فأناخ ثم قال له أمعك سكين ؟ قال:

نعم. قال: إرفع عن رجلك. فرفع له عن رجله حتى بدت خشبة مؤخرة فكتب عليها قيسبة بالمسند ولم يكتب به غير أهل اليمن. بلغن كندة الملوك جميعا * حيث سارت بالاكرمين الجمال إن ردوا الخيل بالخميس عجالا * وأصدروا عنه والروايا ثقال هربت جارتي وقالت عجيبا * إن رأتنى في جيدي الاغلال أن يرى عارى العظام أسيرا * قد برانى تضعضع واختبال فلقد أقدم الكتيبة بالسيف * على السلاح والسربال

وكتب محت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبى الطمحان مائة ناقة حمراء ثم قال: أقرئ هذا قومي فانهم سيعطونك مائة ناقة حمراء. فخرج تسير به راحلته حتى أتى حضرموت فتشاغل ما ورد له ونسى أمر ابن قيسبة حتى فرغ من حوائجه ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن أمر ابن قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى أخاه الجون بن مالك فقال له يا هذا: إنى أدلك على أخيك وقد جعل لى مائة ناقة حمراء. فقال له: فهى لك. فكشف عن رجله فلما قرأه الجون بن مالك أمر له بمائة ناقة. ثم أتى قيس بن معدى كرب الكندى أبا الاشعث بن قيس فقال له يا هذا: إن أخى في بنى عقيل أسير فسر معى بقومك نخلصه. قال: أتسير معى تحت لوائى، حتى أطلب ثارك وأنجدك ؟ والا فامض راشدا. فقال له الجون: مس السماء أهون من ذلك وأيسر على ما جئت به فصحب السكون ثم فاؤا فرجعوا فقال ما عليك من هذا هو ابن عمك ويطلب لك بثأرك فانعم له بذلك فسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه وكندة والسكون معه فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف وسار حتى أوقع ببنى عامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة واستنقذ ابن قيسبة وقال في ذلك سلامة ابن صبيح الكندى: لا تشتمونا إذ جلبنا لكم * ألفى كمية كلها سلهبة نحن أتلنا الخير في أرضكم * حتى ثأرنا منكم ابن قيسبه واعترضت من دونهم مذحج * فصادفوا من خيلنا مسغبه حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف الازرق الكاتب بن يعقوب بن اسحق البهلول التنوخى قال: كنت وأنا حدث أتعلم في ديوان الزمام بالسواد بين يدى كاتب فيه يقال له أبو الحسن على بن الفتح، ويعرف: بالمطوق عاش إلى بعد سنة عشرين وثلاثمائة. وأخرج الينا كتابا قد عمله في أخبار الوزراء منذ وفاة عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى آخر أيام القاهر بالله

وبعدها وسماه كتاب: " مناقب الوزراء، ومحاسن أخبارهم " فقرأنا عليه بعضه وأخبرنا بالباقي مناولة. قال مؤلف هذا الكتاب: فأعطاني أبو الحسن أحمد بن يوسف الكتاب مناولة فوجدت فيه أن القاسم بن عبيد الله اعتقل أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام في داره أياما لاشياء كانت في نفسه عليه وأراد أن يقع به، فلم يزل ابن بسطام يداريه ويتلطف إلى أن أطلقه وقلده آمد وما يتعلق بها وأخرجه إليها وفى نفسه ما فيها ثم ندم على ذلك، فوجه إليه في آخر أيام وزراته بقائد يقال له على بن جيش أخر قوصرة ووكله به، فكان يأمر وينهى في عمله، وهو موكل به في داره، خائف على نفسه لما قد ظهر من إقدام القاسم على القتل. قال ابن بسطام: فأنا أخوف ما كنت على نفسي وحالى وليس عندي خبر حتى ورد على كتاب عنوانه لابي العباس أطال الله بقاه من العباس بن الحسين، فلما رأيت العنوان ناقص الدعاء علمت أن القاسم بن عبيد الله قد مات، وأن العباس بن الحسين قد تقلد الوزارة فلم أملك نفسي فرحا وسرورا بالسلامة في نفسي وزال الخوف عنى. وقرأت الكتاب فإذا هو بصحة

الخبر وأمرني بالخروج إلى مصر وقلدنى الامانة على الحسين بن أحمد المادرائى قال فخرج ابن بسطام إلى مصر ولم يزل يتقلد الامانة على الحسين بن أحمد إلى أن تقلد على بن محمد بن الفرات الوزارة فقلده مصر وأعمالها فلم يزل فيها أن توفى * حدثنا أبو محمد عبد الرحيم الوراق المعروف بالصيرفي بن العباس بن محمود بن أحمد الابرم المعروف بالمقرئ البغدادي بالبصرة في المحرم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة " بكتاب المنتصر " لابي العباس أحمد بن عبد الله بن عمار في خبر العلوى الصوفى الخارج بالجوزجان على المعتصم، وهو: محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، وكان عبد الله ابن طاهر حاربه وأسره وبعث به إلى المعتصم وهو ببغداد. قال: حدثت أن المعتصم أمر أن يبنى حبس في بستان موسى كان القيم به مسرورا مولى الرشيد (قال): وكنت أرى هذا البناء من دجلة إذا ركبتها فخبرني من دخله أنه كان كالبئر العظيمة قد حفرت إلى الماء أو قريب منه، ثم فيها بناء على

هيئة المنارة مجوف من باطنه، وله من داخله مدرج قد جعل في مواضع من التدريج مستراحات، وفى كل مستراح شبيه بالبيت يجلس فيه رجل واحد كأنه على مقداره يكون فيه مكبوبا على وجهه ليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله، فلما قدم بمحمد حبس في أسفل بيت منه، فلما استقر به أصابه من الجهد لضيقته وظلمته، ومن البرد لندى الموضع ورطوبته ما كاد يتلفه من ساعته، فتكلم بكلام دقيق سمعه من كان في أعالي البئر ممن وكل بالموضع فقال: إن كان أمير المؤمنين يريد قتلى فالساعة أموت وإن لم يكن يريد ذلك فقد أشفيت عليه. فأخبر المعتصم بذلك فقال: ما أريد قتله، وأمر بإخراجه فأخرج وقد زال عقله وأغمى عليه فطرح في الشمس وطرحت عليه لحف، وأمر بحبسه في بيت كان بنى في البستان فوقه غرفة وكان في البيت خلاء إلى الغرفة التى تليها وفى الغرفة أيضا خلاء آخر إلى سطحها فلم يزل محبوسا فيه إلى أن تهيأ له الخروج ليلة الفطر سنة تسع عشرة ومائتين (قال): فحدثني على بن الحسين بن عمر بن على بن الحسين وهو ابن عم أبيه، قال: أصبحت يوم الفطر أتهيأ للركوب فأنا أشد منطقتي في وسطى وقد لبست ثياب أبا در الركوب إلى المصلى ما راعني إلا محمد بن القاسم قد دخل إلى منزلي فملئت رعبا وذعرا، وقلت له كيف تخلصت ؟ قال أنا أدبر أمرى في التخلص منذ حبست، ثم وصف لى الخلاء الذى كان في البيت الذى حبس فيه إلى الغرفة التى فوقه، والخلاء الذى كان في الغرفة إلى سطحها وأنه أدخل معى يوم حبست لبد فكان وطائى وفراشى (قال): وكنت أرى بغرش وهى قرية من قرى خراسان حبالا تعمل فيها من لبود مرصع كما يفعل بالسبور فتجئ احكم شئ فسولت لى نفسي أن أعمل من اللبد التى تحتي حبلا وكان على باب البيت قوم وكلوا بى يحفظوني لا يدخل على منهم أحد إنما يكلموني من خلف الباب ويناولوني من تحته ما أتقوته. فقلت لهم: إن أظفاري قد طالت جدا وقد احتجت إلى مقراض فجاءني رجل منهم كان يميل إلى مذهب الزيدية بمقراض أحد جانبيه منقوش نقش المسحل. وقلت لهم: إن في هذا البيت فيرانا يؤذوننى ويقذرونني إذ قربوا منى فاقطعوا لى جريدة

من النخل تكون عندي أطردهم بها فقطعوا لى من بعض نخل البستان جريدة فرموا بها إلى وكنت لا أزال أضرب بها في البيت

وأسمعهم صوتها أياما، ثم قشرت الخوص عنها وقطعتها على مقدار ما علمت أنها تعرض في ذلك الخلاء إذا رميت بها فضممت كل ما قطعته منها بعضه إلى بعض وقطعت اللبد وضفرت منه حبلا على ما كنت أرى يعمل بغرش، ثم شددت ما قطعته من الجريدة في رأس الحبل ثم رميت به في الكوة وعالجته مرارا حتى أعترض فيها ثم اعتمدت عليها وصعدت إلى الغرفة، ومن الغرفة إلى سطحها (قال): ففعلت ذلك مرارا في أيام كثيرة وتمكنت من الحركة بأن سحلت بجانب المقراض إحدى حلقتي القيد، ولم يمكننى إن أسحل الاخرى فكنت إذا أردت الحركة شددت القيد مع ساقى فأتحرك وقد صرت مطلقا فلما كان في هذه الليلة وشغل الناس بالعيد وانصرف من كان على الباب فلم أحس منهم أحدا إلا شيخا واحدا كنت أسمع حركته وأطلع فأراه، فصعدت بين المغرب والعشاء إلى الغرفة ومن الغرفة إلى سطحها وأشرفت فإذا المعتصم يفطر والناس بين يديه والشموع فرجعت حتى إذا كان في جوف الليل صعدت ولم يتحرك الناس ونزلت إلى البستان فإذا فيه قائد معه جماعة فصاح بى بعضهم. فقال: من هذا ؟ فقلت: مدينى من أصحاب الحمام. فقال: أين تخرج اطرح نفسك حتى تصبح وتفتح الابواب فطرحت نفسي بينهم حتى فتح باب البستان في الغلس وتحرك الناس فصرت إلى دجلة لاعبره فإذا الشيخ الذى كان أحد من يحفظني قد جاء ليعبر فطلب منى الملاح أجرته كما أخذ من الناس. فقلت: ما معى شئ أنا رجل غريب ضعيف الحال. فقال لى الشيخ: اعبر أنا أعطيه عنك، فأعطاه عنى وعبرت حتى جئتك قال على بن الحسين فقلت: والله ما منزلي بموضع لك. فاخرج عنه ولا تقر فيه لحظة واحدة قال وركب إلى الموصل فصار إلى منزل رجل من الشيعة فأخفاه. قال: وروى عن الفضل بن حماد الكوفى من أصحاب الحسين بن صالح يحدث بوفاة عيسى بن زيد بن على رضى الله عنهم بالكوفة وكيف ستر ذلك عن المهدى فذكر حديثا طويلا قال فيه: فتواردت الاخبار عند الرشيد

بحسن طريقة أحمد بن عيسى بن زيد وميل الناس إليه، فأمر بحمله فحمل إلى بغداد ومعه القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهو والد محمد بن القاسم الصوفى الخارج بخراسان في أيام المعتصم فحبسا عند الفضل بن الربيع وكانا في حبسه في داره في الشارعة على دجلة قريب رأس الجسر بمشرعة الصحن. وكان: حسن الصنيع إليهما يؤتيان بمائدة كمائدته التى توضع بين يديه ويواصلان من الحلو والفاكهة والثلج في الصيف بمثل ما يكون على مائدته، إلى أن أتيا بالمائدة ذات يوم فتغديا ثم رفعت من بين أيديهما فوضعت بين أيدى الغلمان فأكلوا وأكثروا ودخل وقت القائلة فناموا فخرج أحمد بن عيسى بن زيد إلى حب في ناحية الدهليز فرأى القوم نياما، فغرف من الحب بالكوز الذى معه فلما رجع قال للقاسم: يا هذا أعلم أنى قد رأيت فرصة بينة هؤلاء نيام والباب غير مقفل لم يحكموه كما كانوا يفعلون وقد أغفلوه فاخرج بنا. فقال له القاسم: أنشدك الله فانك تعلم أنك في عافيه مما فيه كثير من أهل الحبوس، وهذا الرجل يعنى الفضل بنا بر ولنا متعهد. فقال له أحمد: دعني منك واعلم أن العلامة بينى وبينك ما أصف لك فإن تحرك القوم رجعت إليك وكانت علتى بسبب الكوز، وإن لم يتحركوا فأنا والله خارج وتاركك بموضعك. واعلم أنك لا تسلم بعدى. ثم خرج فغرف بذلك الكوز من الحب ثم طرحه من قامته وكان أطول منك ومنى فما تحرك منهم أحد ثم انثنى عليه فقال له: قد رأيت ما قد استظهرت به لك ولنفسي وأنا والله خارج. ثم مضى واتبعه القاسم ففتحا الباب وخرجا فقالا لا نجتمع في طريق ولكن موعدنا كذا. وكذا. قال فما جاز أحمد عتبة الباب إلا خمسين ذراعا حتى لقيه غلام للفضل ابن الربيع مدنى أعرف به من نفسه فبهت الغلام لما رآه وأومأ إليه أحمد بكمه كالآمر

له بغضب ان تنح فما ملك الغلام نفسه ان فعل ثم كان عزمه أن يستقيم في تلك الطريق فلما بلى من الغلام بما بلى عدل عن تلك الطريق في طريق آخر للاستظهار على الغلام وأسرع حتى نجا وذكر بقية الحديث.

---

[١٤٢]

ومن طرائف ما شاهدناه من هذا الباب أن أبا تغلب فضل الله عدة الدولة ابن ناصر الدولة أبى محمد استوحش من أخيه محمد بعد موت أبيهما فقبض عليه واستصفى ماله ونعمته وقبض عقاره وضياعه وثقله بالحديد وأنفذه إلى القلعة المعروفة بأردمشت وهى مشهورة من أعمال الموصل حصينة فحبسه في مطمورة ووكل به عجوزة يثق بها جلدة يقال لها: بازيانا، وأمرها أن لا توصل إليه أحدا ولا تعرفه خبره وأن تخفى موضعه عن جميع سجنة القلعة وحفظتها ففعلت ذلك فأقام على حاله تلك ثماني سنين، ثم اتفق أن انحدر أبو تغلب معاونا بختيار بن المعز الدولة أبو الحسين ومعهما العسكر يقصدان بغداد لمحاربة عضد الدولة وتاج الملة أبى شجاع، وخرج للقائهما فكانت بينهما الوقعة المشهورة بقرب قصر الحصن فقتل فيها باختيار وانهزم أبو تغلب فدخل الموصل وخاف من تخلص محمد فكتب إلى غلام له كانت القلعة مسلمة إليه يقال له طاشتم في أن يمكن رئيسا من رؤساء الاكراد يقال له صالح بن بن يابويه كان كالشريك لطاشتم في حفظ القلعة من محمد بن ناصر الدولة ليمضى فيه ما أمره به، وكتب إلى صالح يأمره بقتل محمد، فمكن طاشتم صالحا فلما أراد الدخول على محمد لقتله منعته بازيانا من ذلك وقالت له لا أمكن من هذا إلا بكتاب يرد على، ودخل عضد الدولة إلى الموصلي وأجفل عنها أبو تغلب وكدته العساكر واشتد عليه الطلب وورد عليه كتاب من القلعة بما قالت بازيانا فالى أن يجيب عليه أحاطت بعض عساكر عضد الدولة بقلعة اردمشت ونازلوها فانقطع ما بين أبى تغلب وبينها ولم يصل إليها كتاب، ثم فتحها عضد الدولة بعد شهور بأن واطأه صالح على القبض على طاشتم، وكتب إليه يعرفه بما عمله ويستأذنه فيما يعمله، وكان لمحمد خادم أسود يسمى ناصحا وكان بعد القبض على محمد قد رفع إلى عضد الدولة وهو بفارس وصار من وجوه خدمه وحضر معه وقعة حصن الجص، فلما ورد خبر فتح القلعة أذكره ناصح بوعد كان عليه في إطلاق مولاه فكتب إليه أن يطلبه في القلعة فإن وجد حيا يطلق وينفذ إليه مكرما، فحين دخل صالح ومعه بعض من قد

---

[١٤٣]

صعد إلى القلعة من حاشية عضد الدولة إلى محمد في حبسه جزع جزعا شديدا ولم يشك في أنهم دخلوا بأمر أبى تغلب لقتله، فأخذ يتضرع ويقول ما يدعو أخى إلى قتلى. فقال له صالح: لا خوف عليك وإنما أمر الملك أن نطلقك وتمضى إليه مكرما، فانه قد ملك هذه البلاد. فقال: أغلب ملك الروم على هذه النواحى وفتحت له القلعة ؟ قال: لا. ولكن الملك عضد الدولة. قال الذى كان بشيراز ؟ قال: نعم وقد جاء إلى بغداد فقال محمد: وأين بختيار ؟ فقالوا قتل. قال وأين أبو تغلب ؟ قالوا انهزم ودخل إلى بلاد الروم. قال: وأين الملك عضد الدولة ؟ قالوا بالموصل. وهو ذا تحمل إليه مطلقا مكرما فسجد حينئذ وبكى بكاء شديدا وحمد الله عزوجل وجاؤا ليفكوا حديده وأغلاله فقال لا أمكن من ذلك إلا بعد أن يشاهد حالى الملك فحمل إلى الموصل فرأيته وقد أصعد به مقيدا من المعبر الذى عبر فيه في دجلة إلى دار أبى تغلب التى نزلها عضد الدولة بالموصل وأنا إذ ذاك أتقلدها له وجميع ما فتحه مما كان في يد أبى تغلب مضافا إلى حلوان وقطعة

من طريق خراسان، فرأيت محمدا يمشى في قيوده حتى دخل إليه فقبل الارض بين يديه ودعا له وشكره، وأخرج إلى حجرة من الدار فأخذ حديده وحمل على فرس فاره بمركب من ذهب، وقيد بين يديه خمس دواب بمراكب فضة مذهبة وخمس بجلالها، وثلاثون بغلا بأفكها محملة مالا صامتا، ومن صنوف الثياب الفاخرة والفرش السرى والطيب والآلات المرتفعة القدر والعلوفات والحيوان والحلو والطعام ونقل وفاكهة وأنبذة وغير ذلك ثم أقطعه بعد أيام أقطاعا بثلثمائة ألف درهم وولاه إمارة بلده وأعماله وهو الذى كان يتولاه لابي تغلب. وذكر الحسين القاضى في كتابه: " كتاب الفرج بعد الشدة " قال: بلغني أن عمرو بن معدى كرب الزبيدى قال: خرجت في خيل من بنى زبيد أريد غطفان فبينما أنا أسير وقد انفردت من أصحابي إذ سمعت صوت رجل ينشد شعر فتفهمته فحفظته وهو هذا:

أما من فتى يخاف العطب * يبلغ عمرو بن معد يكرب بانا نقوط في زمان * بأرجلنا اليوم نوط القرب فإن هو لم يأتنا عاجلا * فيكشف عنا ظلام الكرب وإلا استغثنا بعبد المدان * وعبد المدان لها إن طلب قال: فعلمت أنه قول أسير في بنى مازان بن صعصعة فقلت لخيلي قفوا حتى آتيكم واقتحمت على القوم وحدي وإذا هم يصطلون. فقلت: أنا أبو ثور أين أسرى بنى مذجح ؟ فبادرت الاسرى من الرجال وبادر القوم إلى يقاتلونني فلم أزل أقاتلهم وأقتل منهم حتى استعفوني وقالوا: إنا والله لنعلم أنك لم تأتنا وحدك فاكفف عنا ولك الاسرى، واكفف عنا خيلك. فنزلت وأطلقت بعضهم وقلت ليحل مطلقكم موثقكم وليركب كل واحد منكم ما وجد. قال: وأقبلت خيلى وجاءت الاسرى. فقلت لهم: هل علمتم موضعي حتى أنشد منشدكم ؟ قالوا: لا والله. ما سمعنا وما أصبحنا منذ سرنا أشد بأسا ولا أتم إيقانا بالهلاك منا اليوم فذلك حين أقول: ألم ترنى إذ ضمنى البلد القفر * سمعت ندا يصدع القلب يا عمرو أغثنا فانا عصبة مذ حجية * نناط على وفر وليس لنا وفر تكلفنا يا عمرو ما ليس عندنا * هوازن فانظر ما الذى فعل الدهر فقلت لخيلي انظروني فإننى * سريع اليكم حين ينصدع الفجر وأقحمت مهرى حين صادفت غرة * على الطف حتى قيل قد عقر المهر فأنجيت أسرى مذحج من هوازن * ولم ينجهم إلا السكينة والصبر ونادوا جميعا حل عنا وثاقنا * أخا البطش إن الامر يحدثه الامر وأبت بأسرى لم يكن بين قتلهم * وبين طعانى اليوم ما دونه فتر يزيد وعمرو والحصين ومالك * ووهب وسفيان وسابعهم وبر روى نجيد كاتب إبراهيم بن المهدى ان إبراهيم حدثه أن مخلدا الطبري الكاتب للمهدى على ديوان الرسائل أخبره أنه كان في ديوان عبد الملك يتعلم كما

يتعلم الاحداث في الدواوين إذ ورد كتاب صاحب بريد الثغور الشامية على عبد الملك يخبره فيه أن خيلا من الروم تراءت للمسلمين فتفرقوا إليها ثم رجعوا ومعهم رجل قد كان أسر في أيام معاوية بن أبى سفيان فذكروا أن الروم لما توافقوا أعلموهم أنهم لم يأتوا لحرب، وإنما جاؤا بهذا المسلم ليسلموه إلى المسلمين لان عظيم الروم أمرهم بذلك. وذكر صاحب البريد أن النافرين ذكروا أنهم سألوا المسلم عما قالت الروم فوافق قوله قولهم، وذكر أن الروم قد أحسنوا إليه فانصرفوا عنهم وأخذوه وإنى سألته عن سبب مخرجه فذكر أنه لا يخبر بذلك أحدا دون أمير المؤمنين، فأمر عبد الملك بإحضاره له، ولما حضر قال له: من أنت ؟ قال أنا قبات بن رزين اللخمى أسكن فسطاط مصر في الموضع المعروف بالحمراء أسرت

في خلافة معاوية وطاغية الروم إذ ذاك ورقاء بن مورقة. فقال عبد الملك بن مروان: فكيف كان فعله بكم ؟ قال لا أحد أشد عداوة للاسلام وأهله منه إلا أنه كان حليما، وكان المسلمون في أيامه أحسن حلا منهم في أيام غيره إلى أن أفضى الامر إلى أبنه فقال في أول ما ملك: إن الاسراء إذا طال مكثهم ببلد آنسوا به ولو كان على غاية الرداءة، وليس شئ أنكر لقلوبهم من نقلهم من بلد إلى بلد، وأمر باثنى عشر قدحا، وكتب في رأس كل واحد منها اسم واحد من بطارقته الاثنى عشر يضرب بالقداح في كل سنة أربع مرات فمن خرج إليه القدح الاول حول إليه المسلمون فاحتبسهم عنده شهرا، ومن صار إليه القدح الثاني صاروا إليه بعد البطريق الذى كانوا عنده في الشهر الاول، ومن خرج إليه القدح الثالث حولهم إليه بعد الشهر الثاني، ثم أعيدت القداح بعد ذلك. قال قبات: فكنا لا نصير إلى واحد من البطارقة إلا قال: إحمدوا الله عزوجل حيث لم يبتليكم ببطريق الرخان. قال: فكنا نرتاع لذكره ونحمد ربنا عزوجل على أن لم يكن يبتلينا برؤيته (قال): فمكثنا عدة سنين ثم ضرب بالقداح فخرج القدح الاول والثانى لبطريقين من البطارقة، وخرج

الثالث لبطريق الرخان فمر بنا في الشهرين غم طويل نترقب المكروه، ثم انقضى الشهران فحملنا إليه فرأينا على بابه من الجمع على خلاف ما كنا نعاين، ورأينا من رثاجته والغلظة خلاف ما كنا نرى، ثم وصلنا إليه فتبين لنا من فظاظته وغلظته ما أيقنا معه بالهلكة ثم دعا بالحدادين وأمر بتقييد المسلمين بأمثال ما كان يقيدهم غيره (قال): فلم يزل الحديد يجعل في رجل واحد واحد حتى صار الحداد إلى قال: فنظرت في وجه البطريق فوجدته قد نظر إلى بخلاف العين التى كان ينظر بها إلى غيرى، ثم كلمني بلسان عربي فسألني عن اسمى وعن نسبي ومسكني مثل ما سألني عن أمير المؤمنين فصدقته عما سألني عنه، ثم قال لى كيف حفظك لكتابكم ؟ (قال): فأعلمته أنى حافظ له. فقال: اقرأ آل عمران. فقرأت عليه منها نحو خمسين آية. فقال: إنك لقارئ فصيح، ثم سألني عن روايتي للعشر فأعلمته أنى راوية فاستنشدني لجماعة من الشعراء فأنشدته فقال: إنك لحسن الرواية ثم قال لخليفته قد وثقت بهذا الرجل فلا تحدده، ثم قال: وليس من الانصاف أن أسوءه في أصحابه ففك عن جماعته وأحسن مثواهم، ولا تقصر في قراهم ثم دعا صاحب مطبخه فقال لست أطعم طعاما مادام هذا العربي عندي إلا معه فاحذر أن يدخل المطبخ مالا يحل للمسلمين أكله، واحذر أن تجعل الخمر في شئ من طبيخك، ثم دعا بمائدته واستدنانى حتى قعدت إلى جانبه فقلت له: فدتك نفسي وبأبى أنت أحب أن تخبرني من أي العرب أنت ؟ فضحك. ثم قال: لست أعرف لمسألتك جوابا لانى لست عربيا فأجيبك عن سؤالك. فقلت له: مع هذه الفصاحة بالعربية. فقال: إن كان باللسان تنقل الانساب من جنس إلى جنس فأنت إذا رومى، فان فصاحتك بلسان الروم ليست بدون فصاحتي بلسان العرب فعلى قياس قولك يجب أن تكون روميا وأكون عربيا. (قال): فصدقت قوله وأقمت عنده خمسة عشر يوما لم أكن منذ خلقت في نعمة أكثر منها فلما كانت ليلة ستة عشر، فكرت في أنه قد مضى نصف الشهر وإن الايام تقربنى من الانتقال إلى غيره فبت مغموما وصار إلى

رسوله يدعوني لحضور طعامه فلما جعل الطعام بين أيدينا رأى أكلى مقصرا عما كان يعهده، فضحك ثم قال أحسبك يا عربي لما مضى

النصف من شهرك فكرت في أن الايام تقربك من الانتقال عنى إلى غيرى فلا يعاملك مثل معاملتي ولا يكون عيشك معه مثل عيشك معى، فسهرت واعتراك لذلك غم ثم غير طبعك، فأعلمته أنه قد صدق. فقال: ما أنا إن لم أحسن الاختيار لصديقي بحر. كل فقد آمنك الله مما حذرت، ولم أبت في اليوم الذى رمقتك فيه حتى سألت الملك أن يصيرك عندي مادمت في أرض الروم فلست تنتقل عن يدى ولا تخرج منها إلا إلى بلدك فإنى أرجو أن يسبب الله عزوجل ذلك على يدى. قال: فطابت نفسي ولم أزل مقيما عنده إلى أن انقضى الشهر وضرب بالقداح، وخرج لبطارقة غير البطريق الذى نحن عنده وتحول إليه أصحابي وبقيت وحدي وتغديت في ذلك اليوم مع البطريق. وكان من عادتي أن أنصرف من عنده بعد غدائي إلى إخوانى المسلمين فنتحدث ونأنس، ونقرأ القرآن، ونجمع الصلوات، ونتذاكر الفرائض ويسمع بعضنا بعضا ما حفظ من العلم وغيره. قال: فانصرفت ذلك اليوم إلى الموضع الذى كنت أجتمع فيه مع المسلمين فلم أر أحدا منهم فضاق صدري ضيقا تمنيت أن أكون مع أصحابي، وبت بليلة صعبة لم أطبق فيها بين أجفاني فأصبحت أكثف خلق الله عزوجل بالا، وأسوأهم حالا، وصار إلى رسول البطريق في وقت الغداء فلما صرت إليه تبين الغم في وجهى ومددت يدى إلى الطعام فرأى مد يدى إليه خلاف عادتي. فضحك ثم قال: أحسبك اغتممت لفراق أصحابك فأعلمته أن قد صدق، وسألته هل عنده حيلة في ردهم إلى يده. فقال: إن الملك لم يرد بتنقل أصحابك من يد إلى يد غيرى إلا ليغمهم بما يفعل، ومن المحال أن يدع تدبيرهم في الاضرار بهم لميلى اليك ومحبتى لك، وما عندي في هذا الباب حيلة. فسألته أن يسأل الملك إخراجى عن يده وضمي إلى أصحابي لاكون معهم حيث كانوا. فقال: ولا في هذه أيضا حيلة لانى لا أستجيز أن أنقلك من سعة إلى ضيق، ومن كرامة إلى هوان، ومن نعمة إلى شقاء،

(قال): فلما قال لى ذلك تبين في الانكسار وغلبة الغم. فقال لى: ما بلغ بك من الغم فأعلمته أنه بلغ بى ما نغص إلى الحياة وجب لى الموت لعلمي أنه لا راحة لى بغيره. فقال لى إن كنت صادقا فقد دنا فرجك فسألته عما دله على قوله. فقال لى إنى وقعت في نكبات أشد هولا مما أنت فيه وكان عاقبتها الفرج فاسمع بحكايتي واتعظ. إعلم ان بطرقة ذلك لم تزل منذ مئين سنين في أهلى يتوارثونها وأن عددهم كان كثيرا فتفانوا ولم يبق منهم غير أبيه وعمه، وكانت البطرقة إلى عمه دون أبيه فأبطأ على أبيه وعمه الولد فبذلا للمتطببين الكثير من الاموال لعلاجهما بما يعالج به المتطببون الرجال والنساء. إلى أن بطل العم ويئس من الانتشار فصرف عنايته إلى معالجة أبى البطريق فعلقت أمي بى فلما علم العم أنها علقت وجه فجمع عدة من الحبالى من ألسنة مختلفة فيها اللسان العربي والرومى والافرنجي والكردي والصقلبى والخزرى فوضعن في داره فلما ولدتني أمي أمر بتصبير أولئك النساء كلهن معى يرضعننى، ثم أمر بتصبير ملاعبيه ومؤدبيه من أجناس النساء اللواتى ربينه. قال البطريق: فكانوا يعلمونني الكتابة وقراءة كتب دينهم فلم ينقض عليه تسع سنين حتى علم أمر دينهم وقرأ كتبهم وأجابهم عنها، ثم أمر عمه أن يضم إليه جماعة من الفرسان يعلمونه الثقافة والمساواة وجميع ما نعلمه الفرسان ومنعه من سكنى المنازل وأمره أن ينزل في المضارب وأن يمنع من أكل اللحم إلا ما ناله بصيد طائر يحمله على يده، أو صيد كلب يسعى بين يديه، أو صيد بسهمه فكانت تلك حاله حتى استوفى عشر سنين ثم رمى الله عزوجل في عصب عمه فمات وولى البطرقة بعد عمه أبوه. فأمره بالقدوم عليه فقدم ورأى شمائله وفهم أدبه فاشتد عجبه به فتسمح له بما لم تكن ملوك الروم تتسمح به لولاة أمورها وأعتد له مضارب وفساطيط

الديباج وضم إليه من الفرسان جماعة كثيفة ووسع على الجميع في كل ما تحتاج إليه ورده إلى سكنى المضارب وأمره بالاستبعاد عن منازل أبيه. قال البطريق: فلما استتمت لى خمس عشرة سنة ركبت يوما لارتياد مكان أكون فيه فبصرت بغدير من ماء طوله ألف ذراع وعرضه ما بين ثلثمائة ذراع فأمرت بضرب مضاربي على ذلك

الغدير، وتوجهت لطلب الصيد فرزقت ذلك اليوم منه ما لم أطمع في مثله كثرة، ثم نزلت وقد ضربت المضارب فأمرت الطباخين فطبخوا لى ما اشتهيت من الطعام ثم نصبت المائدة بين يدى وإنى لانتظر الطبيخ يغرف إذ سمعت ضجة ما فهمت خبرها حتى رأيت رؤس أصحابي تتساقط عن أبدانهم، فتخبيت عن مكاني وخلعت ثيابي، ولبست ثياب بعض عبيدى ثم نظرت يمنة وشمالا فلم أر حولي إلا مقتولا، وأرى فاعل ذلك كله بأصحابى منسر من مناسر الرخان ثم أسرت كما يؤسر العبيد واحتملوا كل ما كان معنا من مضرب وغيره، وصاروا بى إلى ملك الرخان فلما رأني لم يكن له ولد ذكر أمر بالتوسعة على وأن أكون واقفا على رأسه وسماني ابنه قال: وكان له ابنة كان مغرما بها وقد علمها الفروسية ومساواة الاقران ومقاتلتهم ومراكدتهم قال: فقال لجماعة من بطارقته من منكم يتوجه إلي ملك الروم فيجئني بكاتب من بلده ليعلم ابنتى الكتابة، فأعلمته أن رسولا لا يأتيه بأكتب منى فأمرني أن أكتب بين يديه فكتبت فاستحسن خطى وقرنه بكتب كانت ترد عليه من والدى فرأى خطى أجود فدفع ابنته إلى وأمرني أن أعلمها الكتابة فهويتها وهويتنى فمكثت معى حتى استوفت ثلاثة عشر سنة ثم عادت إلى يوما وهى باكية فقلت لها ما يبكيك يا سيدتي ؟ فقالت إنى كنت جالسة بين يدى أمي وأبي في هذه الليلة وغلبتني عيناى فنمت فسمعت أبى يقول لامى أرى ثدى ابنتك قد ثقل، وأرى خلق هذا الرومي قد غلظ وليس ينبغى أن يجتمعا بعد هذا الوقت فإذا جلست غدا معه فابعثي إليها من يفرق بينها وبينه حتى لا يراها ولا تراه قال البطريق: من سنة الرخان أن يكون الرجل يخطب لابنته حتى يزوجها ولا يخطب الرجل لابنته زوجا دون أن تختاره البنت. قال البطريق: فقلت لابنة الملك إذا سألك أبوك عمن تحبين أن يخطب لك من الرجال فقولي لست أريد إلا هذا الرومي فغضبت وقالت: كيف يجوز لى أن أسأل أن تخطب لى وأنت عبد ؟ قال فقلت ما جعلني الله عزوجل عبدا. وإنى ابن الملوك وأبى ملك الروم. قال البطريق وأهل الرخان يسمون البطريق الرومي الذى يتولى جند رخان ملك الروم فسألتني: هل ما أعلمتها

حق ؟ فقلت لها: إنه حق فما مضى على كلامنا حين حتى جاء رسول الملك ففرق بينى وبينها ولم يمض لى بعد ذلك إلا ثلاثة أيام حتى دعاني الملك فدخلت عليه فرأيت أمارات البشر مستحكمة في وجهه ثم قال لى: يا شقى ما حملك على الكذب في نسبك فأنا أحكم على من انتسب إلى غير أبيه بالقتل. فقلت: ما انتسبت إلى غير أبى. فقال لى ابنتى تقول أنك ابن ملك الروم فأعلمته أنى أقول ذلك، ودعوته ليكشف الامر وينظر فيه. فقال: إنى لست أحتاج إلى أن أكشف أمرك برسول أرسله ليعرف خبرك ولى أشياء أمتحنك بها فأعرف صدقك من كذبك. فدعوته إلى كشفها بما شاء فدعا بدابة ولبد وسرج ولجام وأمرني بتناول الدابة فأخذتها من يد السائس، ثم أمرنى بأخذ اللبد فأخذته، وأمرني بالقائه على الدابة ففعلت ثم أمرنى بشد الحزام والثفر واللبب وأخذ اللجام والجام الدابة ففعلت

ذلك كله، ثم أمرنى بركوب الدابة فركبته وأمرني بالسير فسرت، ثم أمرنى بالاقبال فأقبلت، ثم أمرني بالنزول فقال عند آخر ذلك كله أشهد أنه ابن ملك الروم، لانه أخذ الدابة أخذ ملك، وعمل سائر الاشياء مثل ما تعمله الملوك، فاشهدوا أنى قد زوجته ابنتى. فلما قالوا إنا قد شهدنا قال: لا تشهدوا قال البطريق فلما سمعت قوله لا تشهدوا نزلت على الكلمة نزول الصاعقة وخفت أن تأتى على نفسي ثم قال لى لم أنههم عن الشهادة رغبة عنك ولكن لنا شرط لا يمكن أن نخالفه، ولم آمن أن نضطر فنحملك على شرطنا وهو ما لم نخبرك به ونقفك عليه فنكون قد ظلمناك أو ندع سنة بلدنا فنكون قد فارقنا ملتنا. إن سنتنا يا رومى أن لا نفرق بين الزوجين إذا مات أحدهما فان مات الرجل قبل المرأة جعلناها في سريرها وجعلنا زوجها معها وصيرناهما جميعا في البئر فان رضيت بهذا الشرط فبارك الله لك في زواجها ؛ وإن لم ترض بها فليست راضية بك ولا يستقيم لك أن تتزوجها على خلاف سنتنا فأحوجتنى الصبابة بها إلى أن قلت قد رضيت بهذه السنة فأمر بتجهيزها وتجهيزى، وجمع ما بيننا فأقمت معها أربعين يوما لا يرى كل واحد منها ومنى إلا أنه قد فاز بملك الدنيا ثم اعتلت علة كان معها غشية

لم نشكك وجميع من رآها أنها قد قضت نحبها. قال: فجهزت بفاخر ثيابها وجهزت مثل ذلك وحملنا في نعش واحد وركب الملك وأهل مملكته فشيعونا حتى وافوا بنا شفير البئر ثم شدوا أسافل السرير بالحبال وجعلوا معنا في النعش طعاما وشرابا لثلاثة أيام، ثم دلونا حتى صرنا إلى قرار البئر ثم أرخيت علينا الحبال فسقط حبل منها على وجه الجارية فأزال ما أصابها من الغشى فانتبهت، فلما أفاقت رأيت أنا الدنيا قد جمعت لى واستمرت عينى على الظلمة فرأيت في الموضع الذى أنا فيه من الخبز اليابس ماله دهر كثير فأخذت أغتذى وأغذيها في تلك البئر وكنا لا نعدم في كل يوم أن يدلى سرير فيه زوجان، أحدهما حى والآخر ميت فكان النازل إذ كان رجلا حيا توليت قتله لئلا يكون معى ومع امرأتي رجل وإن كانت امرأة تولت بنت الملك قتلها غيرة على من أن يكون معى امرأة سواها قال فمكثنا في البئر وهذه حالنا أكثر من سنة إذ دلى إلى البئر دلو فعلمت أن مدليه غير راخانى ولابد أن يكون فاعل ذلك رومى، ووقع لى أن أقدم الجارية فتتخلص ثم تعرفه حالى فيرد الدلو فأخرج قال: فحملت ابنة الملك فجعلتها في الدلو بكسوتها وحليها وجوهرها واجتذب القوم الدلو فخرجت إليهم الجارية وإذا القوم مماليك لابي ولم ينتبهوا على السؤال عنى وهابتهم الجارية وقد كانوا رأوا ما كان فيه أبى وأمى من غلبة الحزن عليهما من فقدي فدبروا بالمصير بالجارية إلى أبوى ليتخذوا عندهم يدا وليتخذاهما الجارية ولدا يسكنان إليها ويتعزيان بها فصاروا بها إليهما فسرا بها وسكنا إليها واستمرت الفتهما بالجارية فحصلت خير محصل وقد كان صديق لابي له أدب وحكمه وعلم بالتصاوير صور له صورتي في خشية وزوقها وجعلها لابوى في بيت وقال لهما متى ما ذكرتما ابنكما واشتد جزعكما فادخلا وانظرا إلى هذه الصورة فانكما ستبكيان بكاء شديدا يعقبكما سلوة (قال البطريق): ولما صارت الجارية إلى والدى ورأتهما يدخلان ذلك البيت ويخرجان وقد بكيا سبقتهما مرة وهما داخلان فبصرت بالصورة فلما رأتها لطمت وجهها ومزقت شعرها وثيابها فسألاها عن

السبب فيما أحلت بنفسها ؟ فقالت: هذه الصورة صورة زوجي فسألاها عن اسمه واسم أبيه وأمه فأسمتهم جميعا فقالا لها وأين زوجك هذا ؟ قالت: في البئر التى أخرجت منها فركب أبى وأمى في أكثر أهل البلد ومعه الغلمان الذين أخرجوا الجارية من البئر حتى وافوا البئر فدلوا الدلو قال البطريق فلما رأيت الدلو وكنت قد سللت سيفى الذى أنزل معى من غمده وجعلت ذؤابته بين ثدي لا تكى عليه فأخرجه من ظهرى فأستريح من الدنيا لغلبة الغم على فوثبت وقعدت في الدلو واجتذبنى من كان فوق البئر حتى خرجت منها فوجدت أبى وأمى وامرأتى على شفيرها وقد أحضروا لى الدواب لانصرف إلى بيت أبى وأمى وكان أبى قد صار ملك تلك البلاد فلم أطعهما وأعلمتهما أن الاصوب البعثة إلى أبى الجارية وأمها حتى يرى ابنتهما مثل ما رأني أبواي ففعلا ذلك ووجها إلى أبى الجارية وهو صاحب الرخان فخرج في أهل مملكته حتى عايناها، وأقاما لها عرسا وحدثت مهادنة بين الروم والرخان جرت فيها أيمان أنه لا يغزو أحد منهما صاحبه ثلاثين سنة وصار القوم إلى بلادهم، وصرنا إلى منازلنا ومات أبى فورثت البطرقة منه ورزقت من ابنة الملك الولد، وأنت يا عربي إن كان الغم قد بلغ منك ما ذكرت فقد جاءك الفرج. قال: فلما انقضى كلام البطريق حتى دخل عليه رسول ملك الروم فقال له: يقول لك الملك صر إلى فخرج إليه ثم عاد فقال يا عربي قد جاءك الفرج. ثم قال لى: إنى كنت عند الملك وجرى ذكر العرب فرمتهم البطارقة عن قوس واحد وذكروا أنهم لا عقول لهم ولا أدب، وإن قهرهم الروم هو بالغلبة لا بحسن التدبير فأعلمت الملك أن الامر على خلاف ما ذكروا وأن للعرب آدابا وأذهانا فقال لى الملك: أنت لمحبتك لضيفك العربي مفرط في اعطاء العرب ما ليس لها فقلت إن رأى الملك أن يأذن لى في إحضار العربي للجمع بنيه وبين هؤلاء المتكلمين ليعرف فضيلته فأمرني بحملك إليه. فقال قبات: فقلت له بئسما صنعت بى لانى أخاف ان غلبتني أصحابه أن يستخف بى، وإن غلبتهم أن يضهدنى فقال صفتك هذه صفة العامة والملوك على خلافها وإنى أخبرك أنك إن غلبتهم جللت في عين الملك وكنت

عنده بمكان يقضى لك فيه حاجة، وإن غلبوك سره غلبة أهل دينه لك فأوجب لك بذلك ذماما، وان أقل ما نرى أن يقضى لك به حاجة وإن غلبت أو غلبت فاسأله إخراجك عن بلده وردك إلى بلدك فانه سيفعل ذلك. قال قبات: فلما دخلت على الملك استدنانى وقربني وأكرمني وقال لى ناظر هؤلاء البطارقة فأعلمته أنى لا أرضى لنفسي بمناظرتهم، وإنى لا أناظر إلا البطريق الكبير فأمر بإحضاره. فلما دخل سلمت عليه وقلت له مرحبا بهذا الشيخ الكبير القدر: ثم قلت له: يا شيخ كيف أنت ؟ قال: في عافية. فقلت له فكيف حالك كلها ؟ فقال: كما تحب. فقلت وكيف ابنك ؟ قال: فتضاحك البطارقة كلهم. وقالوا: زعم البطريق يعنون الذى هو صديقى إن هذا أديب وإن له عقلا وهو لا يعلم بجهله أن الله عزوجل قد صان هذا البطريق أن يكون له ابن فقلت: كأنكم ترفعونه عن أن يكون له ابن ؟ فقالوا: أي والله إنا لنرفعه ان كان الله عزوجل قد رفعه عنه. فقلت: واعجبا ان لا يحل لعبد من عبيدالله أن يكون له ابن، ويحل لله تعالى ذكره وهو خالق الخلائق كلها أن يكون له ابن. قال: فنخر البطريق نخرة أفزعتني، ثم قال: أيها الملك أخرج الساعة هذا من بلدك لئلا يفسد عليك أهله. فدعا الملك بالفرسان وضمني إليهم وأحضر لى دواب البريد وأمر بحملي عليها وببدرقتى. وتسليمي إلى من يلقانا في أرض الاسلام من المسلمين فسلموني إلى من تسلمني من أهل الثغور ثم ذكر حديثا لعبد الملك مع الرجل لا يتعلق بهذا الباب.

الباب السادس من فارق شدة إلى رخاء بعد بشرى منام ولم يشب صدق تأويله كذب الاحلام قال أبو على: أخبرني أبو بكر محد بن يحيى الصولى، قال: حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عياد الجيشى قال: رأى المعتضد وهو في حبس أبيه كأن شيخا جالسا على دجلة يمد يده إلى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت فسألت عنه فقيل لى هذا على بن أبى طالب رضى الله عنه فقمت إليه فسلمت عليه فقال لى يا أحمد: إن هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدي وصنهم ولا تؤذهم. فقلت السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين * وحدثني أبى رحمه الله تعالى بهذا الحديث على أتم من هذا بإسناد ذكره عن ابن حمدون النديم قال: قال لي المعتضد وهو خليفة لما قدم أبى وهو عليل العلة التى مات فيها وأنا في حبسه ازداد خوفى على نفسي ولم أشكك في أن إسماعيل بن بلبل سيحمله على قتلى أو يحتال بحيلة يسفك دمى بها إذا وجد أبى قد ثقل في علته وآيس منه، فقمت ليلة من تلك الليالى وأنا من الخوف على أمر عظيم وقد صليت صلاة كثيرة ودعوت الله عزوجل فرأيت في منامي كأنى على شاطئ دجلة فرأيت رجلا جالسا على الشط وهو يدخل يده في الماء فيقبض عليه فتقف دجلة ولا يخرج من تحت يده جرعة من ماء حتى يجف ما تحت يده ويتزايد الماء إلى فوق يده ويقف كالطود العظيم ثم يخرج يده من الماء فيجرى ففعل ذلك دائما فهالني ما رأيت فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له من أنت يا عبد الله الصالح ؟ قال: أنا على بن أبى طالب ! قلت يا أمير المؤمنين ادع على. قال: ان هذا الامر صائر اليك فاعتضد بالله تبارك وتعالى واحفظنى في ولدى. قال: فانتبهت وكأني أسمع كلامه لسرعة المنام فوثقت بأنى أتلقد الخلافة وقويت نفسي وزال خوفى فقلت لغلام كان معى في الحبس لم يكن معى غيره من غلماني إذا أصبحت

فامض وابتع لى فصا، واكتب عليه: أحمد المعتضد بالله، واصنعه خاتما وائتنى به. ففعل، ولبسته وقلت: إذا وليت الخلافة جعلت لقلبي المعتضد بالله قال: ثم أخذت أقطع ضيق صدري في الحبس بتصفح أحوال الدنيا وأعمال فكرى في تدبير عمارة الخراب منها، ووجه فتح المنغلق منها، وتعيين العمال للنحواحى والامراء للبلدان ثم أخذت رقعة وكتبت فيها بدرا الحاجب وعبيد الله بن سليمان الوزير، وفلان أمير البلد الفلاني، وفلان عامل البلد الفلاني، وفلان للديوان الفلاني. إلى أن أتيت على ما في نفسي من ذلك، ودفعتها إلى الغلام وقلت: احتفظ بها فان دمى ودمك مرتهنان بما فيها فحفظها وما مضى على الامر إلا أيام يسيرة حتى لحقت الموفق غشية لم يشك الغلمان في أنه قد مات. فجاؤا إلى فأخرجوني فصرت إلى بيت فيه الموفق فلما رأيته علمت أنه غير ميت، فجلست عنده وأخذت يده أقبلها وأترشفها، فأفاق فلما رآني أفعل ذلك أظهر التقبل وأومأ إلى الغلمان أن أحسنتم فيما فعلتم ثم مات الموفق في ليلته تلك، ووليت مكانه فأمضيت بقايا تلك التدبيرات كلها. قال لى أبي: قال ابن حمدون: فما تعرض المعتضد في أيامه للعلويين ولا آذاهم ولا قتل منهم أحدا لهذا المعنى. قال على بن هاشم بن عبد الله الكاتب بإسناده: أن أبا الحسين بن ميمون الافطس كاتب المتقى في أيام أبيه ووزيره لما استخلف قال: كان بينى وبين أبى أيوب بن سليمان بن وهب مودة وكيدة فلما تسهلت محنته بعد قتل إيناخ صرت إليه وهو محبوس مقيد إلا أنه مرفه في الكسوة وكبر الدار والفرش وحسن الخدمة، وقد صلحت حاله بالاضافة إلى ما كان عليه في أول نكبته من الضرب والتضييق فحدثني أنه رأى في ليلته تلك في منامه كأن قائلا يقول هذا البيت: اصبر ورب البيت لا يقتادها *

أحد سواك وحظك الموفور قال: فصرت إلى أخيه أبى على بن الحسن بن وهب فحدثته بذلك فسر به

---

[١٥٦]

وكان كالمستتر الممتنع من ملاقاة السلطان فعمل شعرا ضمه إلى البيت وسألني إيصاله إلى أبى أيوب فأخذته فأوصلته وهو: الدمع من عين أخيك غزير * في ليله ونهاره محذور بأبى وأمى حظوك المقصور * ومقيد ومصفد وأسير وزاد فيه غيره في هذه الرواية: فكر يجول بها الضمير كأنما * يذكر بها دون الشغاف سعير وجوى دخيل ليس يعرف كنهه * ممن يلاهيه أخ وعشير فيظنه خدانه متسليا * والبث في أحشائه مستور رجع إلى الرواية الاولى: ما كنت أحسبنى أعيش ومهجتي * تحت الخطوب تدور كيف تدور قلقا فأنك بالعزاء جدير * وعلى النوائب منذ كنت صبور عثرات مثلك في الزمان كثيرة * ولهن بعد مثابة وحبور ان تمش في حلق الحديد فحشوها * منك السماحة والندى والخير والفصل للشبهات رأيك ثاقب * فيها يضئ سداده وينير وتحمل العبء الثقيل بثقله * منك المجرب عزمه المخبور فاصبر ورب البيت لا يقتادها * أحد سواك وحظك الموفور ماذا بقلب أخيك مذ فارقته * ليكاد من شوق اليك يطير فكأنما هو قرحة مقرونة * منها البلابل والهموم تثور والله مرجو لكربتنا معا * وعلى الذى نرجوه منك قدير قال: فما مضت إلا أيام يسيرة حتى أطلق سليمان بن وهب ثم انتهى بعد ذلك إلى الوزارة: حدثنى على بن هشام قال: حدثنى أبو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال: حدثنى أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قال: كان أبو محمد الحسن ابن مخلد أول من رفعني واستخلفني على ديوان الضياع فكنت أخلفه عليه

---

[١٥٧]

إلى أن ولى شجاع بن القاسم الوزارة مع كتابة أو تامش في أيام المستعين واشتد جزع أبى محمد منه فسألته عن ذلك ؟ فقال: هذا رجل حمار لا يغار على صناعته وهو مع هذا من أشد الناس حيلة وشدة، وهو يعرف كبر نفسي وصغر نفسه وقد بدأ بأبى جعفر بن اسرائيل فصرفه عن ديوان الخراج ونكبه ونفاه إلى انطاكيا ولست آمن أن يجعلني في أثره. (قال): فما مضى إلا أسبوع حتى ظهر أن أبا موسى عيسى بن فرخان شاه القنانى الكاتب وكان من صنائع الحسن وقد أسلم إذ ذاك قد سعى مع شجاع في تقلده ديوان الضياع ثم تقلده صارفا للحسن بن مخلد وخلع عليه فازداد جزع أبى محمد الحسن وأغلق بابه وقطع الركوب فأنا عنده في بعض العشيات إذ أتت رقعة شجاع يستدعيه ويؤكد عليه في البدار فارتفع ونهض وتعلق قلبى به فانتظرته إلى أن عاد وهو مهموم مكروب. فقلت: ما خبرك ؟ قال قد فرغ شجاع من التدبير على وذاك أنه قد صح عندي بعد افتراقنا أن أو تامش قال البارحة لبعض خواصه قد ثقلنا على شجاع وحملناه مالا يطيق من كتابتي والوزارة وتركنا هذا الشيخ يعنى الحسن بن مخلد متعطلا لابد من أن يفرج له شجاع إما عن كتابتي، وإما عن الوزارة لاقلده إحداهما. فلما بلغ ذلك شجاعا أنفذ إلى في الوقت. فلما رأيته الساعة قال لى يا أبا محمد: أنت شيخي ورئيسي وأنت اصطنعتني وأنا معترف لك بالحق وآخر مالك عندي من الانعام أنك قلدتني عمالة همدان فانتقلت منها إلى هذه المنزلة والامير يحذرك الحذر كله وقد أقام على أنه لابد من نكبتك وإفقارك فلاجل ما أقمت من الامتناع عليه من هذا وسألته في أمرك فجرت خطوب تقررت على أن لا تجاوره وتشخص إلى بغداد ورضيته بذلك وصرفت عنك النكبة وقد أمرنى بإخراجك من ساعتك. فما زلت

حتى استنظهرته ثلاثة أيام أولها يومنا هذا فاعمل على هذا فإنك تمضى إلى بلد الآمر فيه والناهي أبو العباس محمد بن عبد الله ابن طاهر وهو صديقك، ويخدمك الناس كلهم ولا تخدم أحدا، وتقرب من ضيعتك فأظهرت له الشكر وضمنت له الخروج، وأنا خائف منه أن يدعنى حتى أخرج آلاتى

والحرم وتجملى ثم يقبض على ذلك كله وينكبنى. فقلت: الوجه أن تفرق جميع مالك من الحرم والامتعة والدواب وتودعه ثقاتك وإخوانك. من وجوه قواد الاتراك وكتابهم، وتطرح الثقل الذى لا قيمة له من خيش وستائر وأسرة وآلات مطبخ في الزواريق وتجلس في الحراقة العجائز اللواتى لا تفتكر في هن ليظن أنهن الحرم وتخرجهن، وتجتهد أن يكون خروجك خروجا ظاهرا ولا تكاشف بالاستتار بل على سبيل توق ومراوغة فإذا حصلت ببغداد أمنت. فقال: هذا رأى صحيح وأخذ يصلح أمره على هذا فلما كان في ليلة اليوم الثالث لم أنم أكثر الليل فكر فيه ثم نمت لما غلبتني عينى فرأيت في السحر كأن قائلا يقول لا تغتم فقد ركب الاتراك من أصحاب وصيف وبغا إلى أوتامش، وكاتبه شجاع وقد هجموا عليها وقتلوهما واسترحتم. قال: فانتبهت مفزوعا ووجدت الوقت قد جاوز انفجار الفجر فصليت وركبت إلى الحسن بن مخلد فدخلت عليه من باب له غامض لانه قد كان أغلق أبوابه المعروفة فسألته عن خبره فقال هذا آخر الاجل وقد خفت أن يعاجلني شجاع بالقبض على فأغلقت أبوابي واستظهرت بغلماني براعون رسله فإذا جاؤا ورأو أمارة الشر فيهم أنذروني فأخرج من هذا الباب الغامض وإن يسألوا خبر شجاع فان كان في داره قالوا لمن يجيئنى فيطلبني من جهته أنى في دار أو تامش، وإن كان في دار أوتامش قالوا للرسل أنى في دار شجاع مدافعة عنى حتى أهرب. قال: فقصصت عليه الرؤيا فتضاحك وقال ما ظننتك بهذه الغفلة نحن في اليقظة كما ترى كيف يصح لنا خبرك في المنام لهذا إنما نمت وأنت متمنى خلاصى فرأيت ذلك في منامك. قال: فخرجت من عنده أريد دارى فليقنى في الطريق جماعة كثيرة فعرفوني أن الاتراك قد ركبوا بالسلاح فصرت إلى منزلي وأغلقت بأبى ووصيت عيالي بحفظ الدار وعدت فدخلت إلى الحسن فأخبرته بالخبر فأمر بمراعاة الامر، فما زلنا نتعرف الاخبار ساعة بساعة إلى أن جاء الناس فعرفونا قتل الاتراك لشجاع، ثم دخل رجل فقال: أنا رأيت الساعة

رأس أو تامش. قالو وصح الخبر بقتلهما ونهبت سر من رأى كلها فما أفلت من النهب أحد أحسن من إفلات الحسن بن مخلد لان ماله كله كان قد جعل عند القواد وكتابهم ولم يضع منه شئ وكان متعطلا فلم تقصد النهابة داره وما أمسينا إلا على سرور بالفرج الذى لم يكن لنا في الحساب. حدثنى أبو الفرج المخزومى المعروف بالببغاء الشاعر قال: كان بحلب رجل بزار يعرف بأبى العباس بن الموصل فاعتقله سيف الدولة بخراج كان عليه مدة. وكان: الرجل محدقا في تفسير الرؤيا فلما كان في بعض الايام كنت بحضرة سيف الدولة وقد أوصلت له رقعة إليه يسأله فيها حضور مجلسه فأمر باحضاره وقال له: لاى شئ سألت الحضور ؟ قال لعلمي أنه لابد أن يطلقني الامير سيف الدولة من الاعتقال في هذا اليوم فقال له: ومن أين لك ذلك ؟ قال لاني رأيت البارحة في آخر الليل رجلا قد سلم إلى مشطا وقال سرح لحيتك. ففعلت ذلك فتأولت التسريح سراحا من شدة واعتقال، ولكون المنام في آخر الليل حكمت أن تأويله يصح سريعا. ووثقت بذلك فجعلت الطريق إلى الامير مسألة الحضور ولاستعطفه فقال له:

أحسنت التأويل والامر على ما ذكرت وقد أطلقتك وسوغتك خراجك في هذه السنة فخرج الرجل وهو يدعو له ويشكر. أخبرني القاضى أبو طالب محمد بن أحمد بن إسحق بن البهلول التنوخى فيما أجاز لى رواية عنه بعدما سمعته منه قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنى أبو سهل الدارى القاضى قال: حدثنا أبو حسان الزيادي القاضى قال: جاءني رجل من أهل خراسان فأودعني بدرة دراهم فأخذتها مضمونة وأسرعت فيها وكان قد عزم على الخروج إلى مكة ثم بدا له فعاود فطلبها فاغتممت وقلت له: تعود غدا ثم فزعت إلى الله عزوجل ودعوته، ثم ركبت بغلتي في الغلس

وأنا لا أدرى أين أتوجه وعبرت الجسر وأخذت نحو المخرم وما في نفسي أحد أقصده فاستقبلني رجل راكب فقال اليك بعثت. فقلت: ومن بعثك ؟ قال دينار بن عبد الله فأتيته وهو جالس فقال لى: ما حالك ؟ فقال نمت الليلة فأتاني آت فقال لى أغث أبا حسان فحدثته بحديثي فدعا بعشرين ألف درهم فدفعها إلى فرجعت فصليت في مسجدي الغدا فجاء الرجل فقضيته وأنفقت الباقي * ووقع لى هذا الخبر من طريق آخر بأسانيد قالوا: حدثنا أبو حسان الزيادي قال أضقت إضاقة بلغت منها الغاية حتى ألح على القصاب، والبقال، والخباز، وسائر المعاملين ولم تبق لى حيلة. وإنى ليوم من الايام على تلك الحال وأنا مفكر فيما أعمل إذ دخل على غلامي فقال: حاجى بالباب يستأذن. فقلت له ائذن له. فدخل رجل خرساني فسلم وقال ألست أبا حسان ؟ فقلت: نعم. فما حاجتك قال أنا رجل غريب وأريد الحج ومعى جملة مالى وقد أحضرته في بدرة معى وهو عشرة آلاف درهم وأنا محتاج أن يكون قبلك حتى أقضى حجى وأرجع فاخذه إذ كنت غريبا بهذه البلد لا أعرف به أحدا. فقلت هات البدرة فأحضرها ووزن ما فيها وختمها فلما خرج فككت الختم على المكان ثم أحضرت المعاملين فقبضت كل من كان له عندي دين واتسعت وأنفقت وقلت أضمن هذا المال للخراساني فالى أن يجئ يأتي الله بفرج من عنده فكنت يومى ذلك في سعة ولست أشك في خروج الخرساني إلى الحج، فلما أصبحت من غد ذلك اليوم دخل إلى الغلام فقال: الخرساني الذى كان عندك أمس بالباب. فقلت أئذن له فدخل إلى فقال: انى كنت عازما على ما أعلمتك به ثم ورد على الخبر بوفاة والدى وقد عزمت على الرجوع إلى بلدي فتأمر لى بالمال الذى أعطيتك أمس فورد على أمر لم يرد على مثله قط، وتحيرت فلم أدر بماذا أجيبه، وتفكرت ماذا أقول للرجل ان جحدتة قدمنى واستحلفني فكانت الفضيحة في الدنيا والآخرة والهتك وان دافعته صاح وهتكني. فقلت نعم عافاك الله منزلي هذا ليس بالحريز ولما أخذت مالك وجهت به إلى من هو قبله فتعود في غد فتأخذه. فانصرف

وبقيت متحيرا لا أدرى ما أصنع، وغلظ على الامر جدا فأدركني الليل وفكرت في بكور الخراساني فلم يأخذني نوم ولم أقدر على الغمض. فقمت إلى الغلام وقلت له: اسرج لى البغلة. فقال يا مولاى: هذه العتمة بعد وما مضى من الليل شئ فالي أين تمضى ؟ ! فرجعت إلى الفراش فإذا النوم ممتنع على فلم أزل أقوم إلى الغلام وهو يردنى حتى فعلت ذلك ثلاث مرات وأنا لا يأخذني القرار حتى طلع الفجر وأسرج الغلام البغلة وأقبلت أفكر وهى تسير حتى بلغت الجسر فعدلت بى إليه فتركتها فعبرت ثم قلت إلى أين أعبر ولكن إن رجعت وجدت الخراساني على بابى فأعدها تمضى حيث شاءت

فلما عبرت الجسر أخذت بى يمنة دار المأمون فتركتها ومرت فلم أزل كذلك إلى أن قربت من دار المأمون والدنيا بعد مظلمة وإذا بفارس قد تلقاني ونظر في وجهى ثم سار وتركني ثم رجع إلى وقال: ألست أبا حسان الزيادي ؟ قلت: نعم. قال بعثت اليك. فقلت وما تريد يرحمك الله ؟ ومن بعثك إلى فقال الامير حسن بن سهل. فقلت في نفسي ما يريد منى ثم قلت فها أنا ذا أمضى إليه فمضى حتى أستأذن لى عليه فدخلت عليه فقال أبا حسان. ما خبرك، وكيف حالك، ولم انقطعت عنا ؟ قلت: لاسباب، وذهبت أعتذر من التخلف. فقال دع ذا عنك أنت في لوثة وأمر ما هو فانى رأيتك البارحة في النوم في تخليط كثير. فابتدأت فشرحت له قصتي من أولها إلى آخرها إلى أن لقيني صاحبه ودخلت عليه فقال: لا أغمك الله يا أبا حسان قد فرج الله عنك هذه بدرة للخراساني مكان بدرته، وبدرة أخرى تتسع بها فإذا نفدت اعلمنا. فرجعت من ساعتي فقضيت دين الخراساني واتسعت بالباقي وفرج الله عزوجل عنى * وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن محمد بن جعفر قال حدثنا أبو القاسم على بن محمد بن أبى حسان الزيادي، وكان محدثا ببغداد ثقة مشهورا قال: حدثنى أبى عن أبيه قال: كنت وليت القضاء من قبل أبى يوسف القاضى رحمه الله ثم صرفت وتعطلت وضقت إضاقة شديدة وركبني دين فادح، لخباز، وبقال، وقصاب، وعطار

وبزاز، وغيرهم حتى قطعوا معاملتي لكثرة مالهم على وثابتهم من أن أقضيهم فتضاعفت إضاقنى واشتدت حيلتى فإنى يوما في مسجدي قد صليت بأهله الغداة ثم أقبلت أدرس أصحابي الفقه إذ جاءني رجل خراساني وذكر الحديث على نحو ما ذكره طلحة إلا أنه قال: فلما بلغت بغلتي مربعة الجسر استقبلني موكب فيه من الشموع والنفاطات ما أضاء منه الطريق فصار كالنهار فطلبت زقاقا أستخفى فيه حتى يجوز الموكب فلم أجد فإذا رجل من أهل الموكب يقول أبو حسان ؟ فتأملته فإذا هو دينار بن عبد الله فسلمت عليه فقال: اليك جئت أرسل أمير المؤمنين إلى الساعة وأمرني أن أركب اليك بنفسى وأحضره إياك قال: وأدخلني على المأمون فقال: قصتك فإنى رأيتك في منامي البارحة وأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم باغاثتك ؟. قال فحدثته بحديثي. فقال المأمون: اعطوا أبا حسان ثلاث بدر وولانى الرى وأمرني بالخروج إليها. قال: فعدت وما طلع الفجر، فلما كان وقت صلاتي في مسجدي خرجت فإذا الخراساني فلما قضيت الصلاة أدخلته الدار وأخرجت البدر فلما رآها قال: ما هذا ؟ فقصصت عليه الحديث وأعطيته بدرة فأخذها وانصرف * وذكر محمد بن عبدوس في: " كتاب الوزراء " في أخبار دينار بن عبد الله: أن رسوله لقى أبا حسان في طريقه فقال له: قسمت شيئا على عيالي فذكرت عيالك فأنفذت اليك عشرة آلاف درهم فأخذها ورجع من الطريق، وباكره الخراساني فأعطاه إياها كلها لانه كان أنفق جميع مال الخراساني ثم عاد من غد إلى دينار فعرفه وشكره وعرفه الحديث فقال: فكأنما قضينا دين الخراساني ثم أمر له بعشرة آلاف درهم أخرى ولم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكر المنام ولا المأمون * وحدثني أبى هذا الحديث في المذاكرة قال: حدثنى شيخ ذكره أبى وأنسيته أنا، عن أبى حسان الزيادي بنحو ما ذكره محمد بن جعفر في حديثه إلا أنه قال فيه: إن الخراساني قال في حديثه لابي حسان إن رجع الحجاج ولم ترنى قد رجعت إليك فاعلم أنى قد هلكت والبدرة هبة منى اليك، وإن رجعت فهى لى. ثم يتقارب لفظ الحديثين إلى أن لقيه في الجانب الشرقي قوم فلما رآهم

تنحى عن طريقهم فلما رأوه بطيلسان بادروا إليه وقالوا له: أتعرف منزل رجل يقال له أبو حسان الزيادي ؟ فقال أنا هو. فقالوا له: أجب أمير المؤمنين، وحمل فدخل على المأمون فقال له من أنت ؟ قال رجل من أصحاب أبى يوسف القاضى من الفقهاء. قال بأى شئ تكنى ؟ قال: بأبى حسان. قال: بمن تعرف ؟ قال: فقلت بالزيادي. ولست منهم إنما سكنت بينهم فنسبت إليهم. فقال: قصتك فشرحت له خبرى. قال فبكى بكاء شديدا ثم قال ويحك ما تركني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنام الليلة بسببك إذ أتانى في أول الليل فقال: أغث أبا حسان الزيادي فانتبهت ولم أعرفك، وأثبت اسمك ونسبك ونمت فأتاني. فقال كمقالته فانتبهت منزعجا. ثم نمت فأتاني وقال ويحك أغث أبا حسان. فما تجاسرت على النوم وأنا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثثت الناس في طلبك ثم أعطاني عشرة آلاف درهم فقال هذه للخراساني. ثم أعطاني عشرة آلاف درهم أخرى فقال اتسع بها، وأصلح أمرك، وأعمر دارك واشتر مركبا سريا وثيابا حسنة وعبدا يمشى بين يدى دابتك، ثم أعطاني ثلاثين ألف درهم فقال جهز بناتك بهذه وزوجهن فإذا كان يوم الموكب فصر إلى لاقلدك عملا وأحسن اليك. قال فخرجت والمال محمول معى فجئت إلى مسجدي فصليت الغداة والتفت فإذا الخراساني فأدخلته إلى البيت وأخرجت بدرة فقلت: خذ هذه. فلما رآها قال: ليس هي عين مالى. فقلت: نعم. فقال: ما سبب هذا الامر ؟ فقصصت عليه القصة فبكى وقال: والله لو صدقتني في أول الامر عن خبرك ما طلبتك بها، وأما الآن فو الله لا دخل مالى شئ من مال هؤلاء، وأنت في حل. وقام فانصرف فأصلحت أمرى وبكرت يوم الموكب إلى باب المأمون فأدخلت عليه وهو جالس جلوسا عاما فلما مثلت بين يديه استدنانى ثم أخرج عهدا من تحت مصلاه فقال: هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربي من مدينة السلام، وقد أجريت عليك في كل شهر كذا. كذا. فاتق الله تدم لك عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فعجب الناس من كلامه وسألوني عن معناه فاخبرتهم الخبر فانتشر فما زال أبو حسان قاضى

المدينة الشرقية إلى أن مات في آخر أيام المأمون. أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر عن بعض الهاشميين قال: حبس المهدى يعقوب بن داود وزيره فطال حبسه قال فأتاني آت في منامي فقال: قل يا رفيق يا شفيق أنت ربى الحقيق ادفع عنى الضيق إنك على كل شئ قدير. فما شعرت إلا والابواب تفتح، فأدخلت على الرشيد فقال: أتانى الذى أتاك فاحمد الله عزوجل وخلى سبيلى * وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا بروايات مختلفة قالوا: حدثنا عبد الله بن يعقوب بن داود، قال: قال لى أبى حبسني المهدى في بئر وبنيت عليها قبة فكنت فيها خمس عشرة سنة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد وكان يدلى إلى في كل يوم رغيف وكوز ماء وأوذن بأوقات الصلاة فما كان رأس سنة ثلاث عشرة حجة أتانى آت في منامي فقال: حن على يوسف رب فأخرجه من قعر جب وبئر حوله غمم قال: فحمدت الله تعالى وقلت أتى الفرج. قال: فمكثت حولا آخر لا أرى شيئا، فلما كان في رأس الحول الرابع عشر أتانى ذلك الآتى فقال لى: عسى فرج يأتي به الله إنه * له كل يوم في خليفته أمر ثم أقمت حولا آخر لا أرى شيئا، ثم أتانى الآتى بعد الحول فقال لى: عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله الرجل الغريب قال: فلما أصبحت نوديت فظننت أنى أوذن بالصلاة فدلى إلى حبل وقيل لى شد به وسطك. ففعلت وأخرجونى فلما تأملت الضوء غشى على بصرى فانطلقوا بى إلى الرشيد فقيل لى سلم على أمير المؤمنين. فلت: السلام عليك

يا أمير المؤمنين المهدى. قال: لست به. فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين الهادى قال: لست به قلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الرشيد. فقال الرشيد: يا يعقوب بن داود ما شفع فيك أحد. غير أنى حملت الليلة صبية لى

---

[١٦٥]

على عنقي فذكرت حملك إياى على عنقك فرثيت لك من المحل الذى كنت فيه وأخرجتك. قال وأكرمني وقرب مجلسي ثم إن يحيى بن خالد تنكر لى كانه خاف على أن أغلب على أمير المؤمنين دونه فخفته فاستأذنت في الحج فأذن لى، ثم لم يلزل مقيما بمكة حتى مات بها * وجدت في بعض الكتب أن المهدى استحضر صاحب شرطته ليلا وقد انتبه من منامه فزعا مرعوبا فقال: ضع يدك على رأسي واحلف بما استحلفك به. فقال: هي تقصر عن رأس أمير المؤمنين ولكن على وعلى وحلف بأيمان البيعة اننى أمتثل ما تأمرني به. فقال سر إلى المطمرة واطلب فلانا العلوى الحسينى فإذا وجدته فأخرجه وخيره بين الاقامة عندنا مطلقا مكرما محبورا. أو الخروج إلى أهله فإن أراد الخروج قدمت إليه كذا وكذا، وإن أراد المقام أعطيته كذا وكذا. وهذه توقيعات بذلك. قال فأخذتها وصرت إلى من أزاح علتى في الجميع وصرت المطبق فطلبت الفتى فأخرج إلى وهو كالشن البالى فعرفته أمر أمير المؤمنين وعرضت عليه الحالين، فاختار الرجوع إلى أهله بالمدينة فسلمت إليه الصلات والحملان فلما جاء ليمضى قلت له: بالذى فرج عنك هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين إلى اطلاقك ؟ قال أي والله: كنت الليلة نائما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي كأنه أيقظني وقال: " أي بنى ظلموك ؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال قم فصل ركعتين وقل بعدهما، يا سابق الفوت، ويا سامع الصوت، ويا ناشر العظام، بعد الموت صل على محمد وعلى آل محمد، واجعل لى فرجا ومخرجا إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب يا أرحم الراحمين. " قال فو الله لقد قمت وفعلت ذلك وما زلت أكررها حتى دعوتني قال: فحمدت الله عزوجل على توفيقي في مسألته وعدت إلى المهدى وحدثته بالحديث. فقال: ويحك صدقك والله كنت نائما في فراشي فرأيت في منامي زنجيا بعمود حديد قائما على رأسي يقول لى اطلق فلانا العلوى الحسينى وإلا قتلتك فانتبهت. فزعا فو الله ما جسرت على العود إلى النوم حتى جئتني باطلاقه.

---

[١٦٦]

أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولى عن أحمد بن يزيد المهلبى قال: كنا ليلة ين يدى المعتمد فحمل عليه النبيذ فجعل يخفق برأسه نعاسا فقال: لا يبرحن أحد ثم نام مقدار نصف ساعة وانتبه، وكانه ما شرب شيئا. فقال: أحضروا لى من الحبس رجلا يعرف بمنصور الجمال. فأحضر فقال له منذ كم أنت محبوس ؟. فقال منذ ثلاث سنين. قال: فاصدقني عن خبرك ؟ قال أنا رجل من أهل الموصل كان لى جمل أعمل عليه وأعود بكرائه على أهلى فضاق الكسب على بالموصل، فقلت أخرج إلى سر من رأى فان العمل ثم أكثر فخرجت فلما قربت منها إذا جماعة من الجنة قد ظفروا بقوم يقطعون الطريق وكتب صاحب البريد بعددهم وكانوا عشرة فأعطاهم واحد من العشرة مالا على أن يطلقوه فأطلقوه وأخذوني مكانه وأخذوا جملى فسألتهم بالله عزوجل وعرفتهم خبرى فأبوا ثم حبسوني فمات بعض القوم وأطلق بعضهم وبقيت وحدي. فقال المعتمد: أحضروني خمسمائة دينار فجاؤا بها. فقال: ادفعوها إليه وأجرى عليه ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوا أمر جمالنا إليه. ثم أقبل علينا فقال:

رأيت الساعة النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: " يا أحمد وجه الساعة إلى الحبس واخرج منصورا الجمال فإنه مظلوم وأحسن إليه " ففعلت ما رأيتم قال: ثم نام من وقته وانصرفنا * ووقع إلى هذا الخبر بطريق آخر بأتم من هذه الرواية بإسناد غير هذا قال: كان المعتمد مع مع سماحة أخلاقه وكثرة جوده شديدا لعربدة على ندمائه إذا سكر لا يكاد يسلم له من العربدة مجلس إلا قل. قال: فاشتهى يوما أن يطبخ الاترج فجمع له شئ كثير مفرط العدة وعبى وخزم بعضه فاطبخ عليه فما ترك شيئا من الخلع والخملانات والصلات إلا عمله ذلك اليوم مع جلسائه وخصنى منه بأوفر نصيب وكان كثير الشرب وكانت علامته إذا أراد ينهض جلساؤه التفت إلى سرير لطيف كان إذا جلس استند إليه ويشيل برجله كأنه يريد أن يصعد فيقوموا فان كان يريد النوم صعده وإن لم يرد النوم رد رجله إذا قمنا ويتم شربه إما مع الحرم أو الخدم، فلما كان ذلك اليوم جلسنا بحضرته نهارنا أجمع وقطعة من الليل ثم شال رجله فقمنا وانصرفت إلى حجرة

موسومة كانت لى، فلما انتصف الليل إذا بخدم يدقون باب حجرتي فانتبهت مرعوبا فقالوا: أجب أمير المؤمنين. فقمت وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون. قد مضى يومنا وبعض ليلتنا أحسن مضى، وقدرت أنى أفلت من عربدته وقد عن له أن يعربد على فاستدعاني لهذا ولم أزل أفكر كيف أشاغله عن العربدة إلى أن صرت بحضرته. فلما رأني قائما لم يستجلسنى وقال يا غلام صاحب الشرطة فزدت جزعا وقلت لم تجر عادته في العربدة باستدعاء صاحب الشرطة وما هو إلا لبلية احتيل بها على عنده. فأقبلت أنظر إليه واجتهد أن يفاتحنى بكلمة فأداريه بالجواب وهو لا يرفع رأسه من الارض إلى أن جاء صاحب الشرطة فرفع رأسه وقال: في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمال أحضرنيه الساعة فمضى ليحضره فسهل على الامر قليلا ووقفت وهو لا يخاطبني إلى أن حضر الرجل فقال له المعتمد: من أنت ؟ قال: أنا فلان ابن فلان الجمال. قال: وما قصتك ؟ قال: أنا محبوس ظلما منذ كذا وكذا. سنة. وذاك انى رجل من أهل الجبل وكان لى جمال أعيش من فضل أجرتها وكان يتقلدنا فلان الامير فاستدعى إلى الحضرة فأخذ جمالي غصبا يستعين بها في حمل سواده فتظلمت إليه وضججت فلم ينصفني وقال إذا صرت بالحضرة رددت جمالك. فخرجت لئلا تذهب جمالي، أصلا فكنت مع جمالي أخدمها في الطريق فلما قربت من حلوان سل الاكراد منها جملا محملا فبلغه الخبر فأحضرني وقال أنت سرقت الجمل بما عليه فقلت غلمانك يعلمون أن الاكراد سلبوه فقال الاكراد إنما جاؤه بمواطأة منك ثم أمر فضربت ضربا عظيما، وقيدت وطرحت على بعض جمالي فلما وردت الحضره أنفذت إلى الحبس وتملك الجمال ولم يكن لى متظلم ولا مذكر فطالت بى المحنة إلى الآن فقال لبعض الخدام امض الساعة إلى فلان يعنى الامير واقعد على دماغه ولا تبرح أو يرد على هذا جماله أو قيمتها على ما يدعى الجمال فإذا قبض فاحمله إلى الخزانة واكسه كسوة حسنة وادفع إليه كذا وكذا دينارا واصرفه إلى شأنه، ثم في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الحداد ؟ قال: نعم قال: هاته الساعة فأحضره فأحضر. فقال: ما قصتك ؟. فقال أنا رجل حبست بظلم منذ كذا. وكذا

قال: ما كان سبب ذلك فقص عليه قصة طويلة، فقال لصاحب الشرطة: خل عنه. وقال لخادم آخر: خذه فغير حاله واكسه وادفع

إليه كذا وكذا دينارا. وقال لصاحب الشرطة انصرف، ثم رفع رأسه وقال يا ابن حمدون: الحمدلله الذى وفقني لهذا الفعل ففرج عنى. فقلت وكيف تكلف أمير المؤمنين النظر في هذا بنفسه في مثل هذا الوقت ؟ فقال: ويحك إنى رأيت الساعة رجلا في منامي يقول في حبسك رجلان مظلومان يقال لاحدهما فلان بن فلان الجمال، والآخر فلان بن فلان الحداد. فاطلقهما الساعة وانصفهما من خصومهما وأحسن إليهما فانتبهت مذعورا ثم نمت فما استثقلت حتى رأيت الشخص بعينه. فقال ويلك آمرك أن تطلق رجلين مظلومين في حبسك قد طال مكثهما وتحسن اليهما فلا تفعل وترجع إلى نومك لصممت أن أوجعك وكان يمد يده إلى فقلت يا هذا: من أنت قال محمد رسول الله. فكأني قد قبلت يده وقلت يا رسول الله: ما عرفتك ولو عرفتك ما تجاسرت على النوم. ولا على تأخير أمرك. فقال: قم فافعل في أمرهما الساعة ما أمرتك به فانتبهت واستدعيتك لتشاهد ما يجرى فقلت هذه عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتمام لامير المؤمنين بما أصح دينه وثبت ملكه ومنة عظيمة لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فليشكر الله تعالى أمير المؤمنين وليكثر من الصدقة. فقا امض فقد أزعجتك فعدت إلى حجرتي فلما كان من غد عشيا دخلت إليه وهو جالس على الرسم للشرب فأحببت أعرف الجلساء ما جرى ليس هو بذلك، وكنت أعرف من طبعه أنه يحب الاطراء والمدح ونشر ما هذا سبيله إذا عمل جميلا أكثر من ذكره ويتبجح به وإن كان صغيرا، فقلت أرى أمير المؤمنين لم يخبر خدمه بما كان من المعجزة البارحة من أمر صاحب الشرطة والجمال والحداد ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم وما أمره به وما تقدم به إلى أمير المؤمنين من إنصافهما والاحسان اليهما. فقال: والله ما أذكر من هذا شيئا وما كنت إلا سكرانا نائما طول ليلتى ما انتبهت. فقلت يا سيدى فتنكر ؟ ! وقال يا ابن حمدون: اتغالطنى وتخادعني بالكذب ؟ فقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله هذا أمر مشهور في الدار عند الخدم الخاصة فقال: من

كان حاضرا ؟ قلت: فلان الخادم وفلان صاحب الشرطة واقتصت القصة وشرحتها فاستدعى الخدم فحدثوه بمثل ذلك فأظهر عجبا شديدا وحلف بالله عزوجل وبالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنه نفى من العباس ابن عبد المطلب أنه لم يذكر من هذا كله شيئا، ولا يعلم إلا أنه كان نائما ولا رأى مناما ولا انتبه ولا جلس ولا استدعى أحدا ولا أمر بأمر فما رأيت بأعجب من المنام والحال ولا أظرف من نسيانه. ووجدته في بعض الكتب على قريب من هذه الالفاظ إلا أنه ليس فيه حديث ألاترج وذكر فيه: أن الجمال كان يسمى نصرا وأن قصته إنه كان من أهل نهاوندا وله جمال يكريها فاكترى عامل المعونة منها عشرين جملا وحمل عليهم عشرين رجلا من الاكراد أسرى ليحملهم إلى الحضرة فسار الجمال فهرب في بعض الطريق واحد من جماله فوقع لصاحب المعونة أن نصرا الجمال هربه فقيده وحمله مكانه فلما دخلوا الحضرة أنفذ الجمال مع القوم إلى الحبس وأخذ صاحب المعونة جماله * وإن قصة الحداد أنه كان رجلا من أهل الشام وكانت له نعمة فزالت عنه فهرب من بلده فاتصلت محنته إلى أن وافى الحضرة طالبا للتصرف فتعذر عليه حتى تلف جوعا فسأل عن عمل يعمله ليلا بيديه ليتوفر نهارا عن طلب التصرف وينفق من أجرة ما يكسبه ليلا فأرشد إلى حداد يعمل بالليل فقصده فاستأجره بدرهم في كل ليلة فكان يعمل معه هو وغلام آخر يضربان بالمطرقة فأفسد ذلك الغلام على الحداد نعلا كان يطرقها فاعتاظ عليه فرماه بالنعل الحديد فوقعت على قلبه فتلف في الحال فهرب الحداد وبقيت أنا في الموضع متحيرا لا أدرى أين أمضى وأحس الحارس بما أنكره في الدكان فهجم فوجد الغلام ميتا ووجدني قائما فلم يشك أنى القاتل فقبض على فحبست ثم تتقارب الروايتان *

وحدثني أبو محمد المصلحى قال: حدثنى أبو بكر محمد بن على الماردانى بمصر وكان شيخا جليل عظيم الحال والنعمة والجاه قديم الرياسة والولايات الكبار للاعمال وقد وزر لخمارويه بن أحمد بن طولون وتقلد مصر مرات وعاش نيفا وتسعين سنة ومات في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة (قال): لما كتبت لخمارويه كنت حدثا فركبتني الاشغال وقطعتني ترادف الاعمال عن تصفح أحوال

المتعطلين، وكان ببابى شيخ من شيوخ الكتاب قد طالت عطلته وقد غفلت عن تصريفه فرأيت ليلة في منامي أبى وكأنه يقول: ويحك يا بنى أما تستحى من الله عزوجل أن تتشاغل بأعمالك والناس ببابك يتلفون ضرا وهزالا هذا فلان من شيوخ الكتاب، وقد أفضى أمره إلى أن تقطع سراويله وما يمكنه أن يشترى بدلها انظر أن لا تغفل أمره أكثر من هذا. فانتبهت متعجبا واعتقدت الاحسان إلى الشيخ من غد ونمت وأصبحت وقد أنسيت أمره فركبت إلى دار خمارويه وإذا بالرجل على دويبة له ضعيفة ثم أومى إلى الترجل فانكشف فإذا هو لابس خفا بال سروايل فحين وقعت عينى عليه ذكرت المنام وقامت قيامتي فوقفت في موضعي واستدعيته وقلت يا هذا: ما حالك ؟ وما صنعت بنفسك في ترك أذكاري أمرك ما كان في الدنيا من يوصل إلى رقعة أو يخاطب في أمرك الآن قد قلدتك الناحية الفلانيه وعينت لك رزقها وهو في كل شهر مائتا دينار وأطلقت لك من خزانتى ألف دينار معونة وأمرت لك من الثياب والحملان بكذا وكذا فاقبض ذلك واخرج فان حسن أثرك في عملك زدتك وفعلت بك وصنعت. قال: وضممت إليه من ينجز له ذلك. حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخى قال: خرج أخى أبو محمد الحسن بن يوسف يقصد أخاه أبا يعقوب اسحاق بن يوسف وهو حينئذ بمصر ومعه زوجة كانت لابي يعقوب ببغداد وصبية منها فلما عاد حدثنى أنه سلك في قافلة كبيرة من هيت على طريق السماوة يريد دمشق قال: فلما حصلت في أعماق السماوة أخفرتنا خفراؤنا وجاء قوم من الاعراب ظاهروهم علينا وأظهروا أنهم من غيرهم وقطعوا علينا واستاقوا ركابنا وبقيت أنا والناس مطروحين على الماء الذى كنا نزلنا عليه بلا جمل ولا زاد فأيسنا من الحياة فقلت للناس: إن الموت لابد منه على كل حال أقمنا في مكائنا أو سرنا، ولان نسير في طلب الخلاص فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا ويخلصنا أولى من أن نموت ها هنا، وإن متنا في سيرنا كان أعذر فساعدوني وسرنا يومنا وليلتنا وأنا أحمل الصبية بنت أخى لان أمها عجزت

عن حملها ولما طال الطريق ولم نر محجة ولا إنسانا أحسسنا بالهلاك ومات منا قوم (قال): وأنا في خلال ذلك قد بدأت بختمة وأنا متشاغل بها وبالدعاء إلى أن وقعنا في اليوم الثالث على حلة أعراب فأنكرونا فلم أعمل أنا عملا حتى ولجت بيت امرأة منهم وأمسكت ذيلها وكنت سمعت أن هذا إذا عمله الانسان فهو آمن من شرهم وقد وجب حقه عليهم قال فتفرقنا في بيوتهم، واختلف أحوال الناس فأما أنا فإن صاحب البيت الذى أنزلت عليه لما رأى هيبتى ودرسي للقرآن وأني لم أزل أحادثه وأرفق به قال لى: ما تشاء ؟ قلت تركبني وهذه المرأة وهذه الطفلة راحلة لك وتسير معى إلى دمشق حتى أعطيك ثمن راحلتك واهبها لك وأقضى حقك بعد هذا فتذمم واستحيا وقدرت أنى إذا دخلت إلى دمشق وجدت بها من أصدقاء أخى من آخذ منه ما أريده. فكساني الاعرابي وكسا المرأة والصبية ووطأ لى راحلة ولهما راحلة وحمل معنا من الزاد والماء ما يكفينا وركب معنا

راحلة وكان أكثر من وصل معنا إلى ذلك الموضع قد تأتى له مثل ما تأتى لى قال فسرنا ونحن رفقة صالحة العدد فلما كان بعد أيام شارفنا دمشق مع طلوع الشمس فإذا أهلها قد طلعوا يستقبلون الناس، وكل من له صديق أو معرفة يسأل عنه وقد بلغهم خبر القطع. فما شعرت إلا وإنسان يسأل عن كنيتي ونسبتي فقلت ها أنا ذا فعدل إلى فقال: أنت أبو محمد بن الازرق الانباري ؟ قلت: نعم. فقام إلى فأخذ بخطام راحلتي وتبعني الاعرابي برواحله حتى دخلنا مع الرجل إلى دمشق فجاء بنا إلى دار حسنة تدل على نعمة حسنة فأنزلنا فلم أشك في أنه صديق لاخى فنزلت والاعرابي، وأخذت جمالنا، وأدخلنا الحمام، والبست خلعة نظيفة وفعل بالمرأة والصبية كذلك وأقمت يومى وغده في خفض عيش لا أسأله عن شئ ولا يسألنى، فلما كان في اليوم الثالث قال لى: ما صورة هذا الاعرابي فأخبرته بما أخذنا منه. فقال خذ ما تريد من الدنانير فقلت كذا وكذا دينارا فأعطانيها فدفعتها إلى الاعرابي وسلمت إليه الجمال، وسألت الرجل أن يزوده زادا لا يكون مثله في البادية فأخرج له شيئا كثيرا وخرج الاعرابي شاكرا. فقال الرجل: أين تريد الآن من البلاد وكم يكفيك من النفقة،

فلما قال لى ذلك أرتبت به وقلت لو كان هذا من أصدقاء أخى الذين كاتبهم بتفقدي لكان قد علم مقصدي فقلت له كم كاتبك أخى أن تعطيني ؟ قال: ومن أخوك ؟ فقلت: أبو يعقوب بن الازرق الكاتب الانباري المقيم بمصر. قال والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا أعرفه، فورد على أعجب مورد فقلت: يا هذا إنى ظننتك صديقا له وإن ما عاملتني به من الجميل بسببه فانبسطت اليك بالطلب ولو لم أعتقد هذا لانقبضت فما السبب فيما عاملتني به قال أمر هو أوكد من أمر أخيك يحب أن يكون انبساطك به أتم. فقلت ما هو ؟ قال: ان خبر الوقعة بالقافلة التى كنت فيها بلغنا في يوم كذا وكذا فما بقى بدمشق أحد إلا وردت عليه مصيبة عظيمة إما بذهات مال، أو بغم على صديق غيرى فانه لم يكن لى بشئ من ذلك تعلق واستعد الناس للخروج إلى تلقى المنقطعين وإصلاح أحوالهم، ولم أعزم أنا، فلما كان في الليل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي، وكأنه يقول لى: أدرك أبا محمد بن الازرق الانباري فأغثه وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده، فلما أصبحت خرجت مع الناس اسأل عنك، فكان ما رأيت فهات فاذكر الآن ما تريده. قال: فبكيت بكاء شديدا لم أقدر معه على خطابه مدة، ثم نظرت ما يبلغني مصر فطلبته منه وأخذته وأصلحت أمرى وسألت الرجل عما يعرف به ؟ فقال: أنا فلان ابن فلان الصابونى. ذكره أبو محمد وأنسيه أبو الحسن. فلما بلغت إلى مصر حدثت أخى بالحديث فتعجب منه وبكى. وقال أبو الحسن: وضرب الدهر من ضربه، وورد أخى أبو محمد إلى بغداد بعد سنين كثيرة فتذاكرنا هذا الحديث. فقال لى: لما عرفني أخى أبو محمد ما عامله به ابن الصابونى الدمشقي جعلته صديقا وكنت أكاتبه فلما وردت إلى دمشق وجدت حال الرجل قد اختلفت بمحن لحقته فوهبت له ضيعتي بدمشق وكانت جليلة الغلة والقيمة وسلمتها إليه مكافأة على ما فعل وعامل به أخى أبا محمد. قال محمد بن عبدوس في: " كتاب الوزراء " حدثنى الحسين بن على الباطقائى قال: حدثنى أبى، قال: قال أحمد بن المدبر: لما أمر محمد بن عبد الملك بحبسي ادخلت محبسا فيه أحمد بن اسرائيل وسليمان بن وهب،

وهما يطالبان قال: فجعلت في بيت ثالث وكنا نتحدث ونأكل جميعا، وربما أدخل الينا النبيذ فنشرب، وكان أحمد بن اسرائيل شديد الجبن، وكان ينكر علينا ويمنعنا أن نتحدث بشئ أو نرجو لانفسنا فجاءني يوما سليمان بن وهب فقال: رأيت البارحة في نومى كأن قائلا يقول لى: يموت الواثق إلى ثلاثين ليلة، ففم بنا إلى أبى جعفر حتى نحدثه. فقلت: والله لئن سمع أبو جعفر هذا ليشقن ثوبه وليسدن أذنه. فقال لى قم على كل حال فقمنا فدخلنا عليه فأخبره سليمان بالخبر فقال يا هذا: أنت أحسن الناس وأشدهم تحننا على نفسك وعلينا، وإنما تريد أن يشيع هنا فتقتل. فقال له: فتكتب هذه الرؤيا عندك لنمتحن صدقها، فنفر، وقال: أنا لا أكتب مثل هذا. فكتبت أنا في رقعة صغيرة اليوم. فلما جاز يوم الثلاثين دخل إلى أحمد بن اسرائيل فقال لى: يا أبا الحسن هذا يوم الثلاثين. فأخرجت الرقعة فإذا هو قد حفظ اليوم قال: ومضى يومنا إلى آخره فلما كان في الليل لم نشعر بالباب إلا وقد دق دقا شديدا، وصاح بنا صائح: البشرى قد مات الواثق واخرجوا. فقال أحمد: قوموا بنا فقد حقق الله الرؤيا وأتى بالفرج. فقال سليمان بن وهب: كيف نمشي مع بعد منازلنا، ولكن نوجه من يجيئنا بما نركب فاغتاظ أحمد ابن اسرائيل وقال: نعم نقعد حتى يجلس خليفة آخر، ويقال له في الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال فيأمر بالتوثق بنا إلى أن ينظر في أمرنا قم عافاك الله تعالى حتى نخرج. فخرج وخرجنا على أثره فقبل أن نخرج من باب الهادونى، رأينا رجلين يقول أحدهما لصاحبه: سئل أمير المؤمنين جعفر عمن في الحبس فقيل له جماعة من الكتاب، فقال: يكونون فيه إلى أن ينظر في أمورهم فجدينا في السير وقصدنا غير منازلنا فاستترنا وبحثنا عن الاخبار، فبلغنا إقرار الخليفة محمد بن عبد الملك فكتبت إليه رقعة عن جماعتنا نعرفه خبرنا واتساع آمالنا ونستأذن فيما نفعل، فلما وصلت إليه وقع على ظهرها، ولم استخفيتم وليس منكم إلا من عنايتي تخصه ورأيى فيه جميل أما أبو أيوب فقد تكلم في أمره أبو منصور إيناخ واستوهبه فوهبته له، وأمرت بإحضاره ليخلع عليه فليحضر عليه، وأما أبو جعفر فإنه طولب بما ليس

يلزمه وقد وضحت حجته في بطلانه فليصر إلى، وأما أبو الحسن فإنه قذف بباطل فأظهروا جميعا واثقين بما عندي من حياطتكم ورعاية حرماتكم فصرنا إليه جميعا وزال عنا ما كنا فيه وخلع على سليمان بن وهب خاصة، قال: وفى هذه الحبسة كتب سليمان بن وهب إلى أخيه الحسن بن وهب فيما حكاه محمد بن داود: هل رسول وكيف لى برسول * إن ليلى إن نمت حد طويل هل رسول إلى أخى وشقيقي * ليت أنى مكان ذاك الرسول يا أخى لو ترى مكاني في الحبـ * س وحالى وزفرتي وعويلى وعثارى إذا أردت قياما * وقعودا في مثقلات الكبول لرأيت الذى يغمك في الاعـ * داء إذ يسلكوا جميعا سبيلى هذه جملة أرانى غنيا * معها عن أداك بالتفصيل ولعل الاله يأتي بصنع * وخلاص وفرجة عن قليل وذكر أبياتا آخر تماما لهذه الابيات لم أذكرها لانها ليست من هذا المعنى ثم قال: وقد ذكر محمد بن داود في كتابه المسمى: " كتاب الوزراء " من أمر خروج سليمان بن وهب من حبس الواثق غير هذا وتركت ذكره وإعادته * حدثنى على بن محمد الانصاري الخطمى، قال: حدثنى أبو عبد الله الحسن بن محمد السمرى كاتب الديوان بالبصرة قال: كان أبو محمد المهلبى في وزارته قد قبض على بالبصرة وطالبني فأطال حبسي حتى آيست من الفرج فرأيت ليلة في المنام كأن قائلا يقول: اطلب من ابن الزاهبونى دفترا قديما خلقا عنده على ظهره دعاء فادع الله به فإنه عزوجل يفرج عنك. قال: فكان ابن الزاهبونى صديقا لى من أهل ثناة واسط وهو بالبصرة فلما كان من غد قلت له: عندك دفتر على ظهره دعاء ؟ فقال: نعم. فقلت فجئني به، فرأيت على ظهره

مكتوبا: " اللهم أنت أنت انقطع الرجاء إلا منك، وخابت الآمال إلا فيك، صلى على محمد وعلى آل محمد، ولا تقطع اللهم رجائي ولا رجاء من يرجوك في شرق الارض وغربها،

يا قريبا غير بعيد، يا شاهدا لا يغيب، ويا غالبا غير مغلوب، اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا وارقني رزقا واسعا من حيث لا أحتسب إنك على كل شئ قدير. قال: فواصلت الدعاء بذلك فما مضت إلا مدة يسيرة حتى وجه المهلبى فأخرجني من الحبس وقلدنى الاشراف على أحمد بن محمد الطويل في أعماله بأسافر الاهواز. حدثنى أبو الربيع سليمان بن داود وكانت جدته تعرف بشمسة قهرمانة كانت في دار القاضى أبى عمرو محمد بن يوسف رحمه الله قال: كان في جوار القاضى قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أبا عمرو حماه من السلطان فسألت عن الحكاية فدافعني طويلا ثم حدثنى فقال: ورثت عن أبى مالا جليلا فأسرفت فيه وأتلفته حتى أفضيت إلى بيع أبواب دارى وسقوفها، ولم يبق لى في الدنيا حيلة وبقيت مدة لا قوت لى إلا من بيع أمي لما تغزله وتطعمني ونفسها منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة في منامي كأن قائلا يقول لى غناك بمصر فاخرج إليها فبكرت إلى أبى عمرو القاضى وتوسلت إليه بالجوار والخدمة التى كانت من أبى لابيه وسألته أن يزودنى كتابا إلى مصر لاتصرف بها ففعل وخرجت فلما حصلت مصرا وصلت الكتاب وسألت التصرف فسد الله على التصرف حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لى شغل، ونفذت نفقتى فبقيت متحيرا وفكرت في أن أسأل الناس وأمد يدى إلى الطريق فلم تسمح نفسي بذلك فقلت أخرج ليلا وأسأل الناس بين العشاءين فما زلت أمشى في الطريق وتأبى نفسي المسألة ويحملني الجوع عليها وأنا ممتنع إلى أن مضى من الليل نصفه فلقينى الطائف فقبض على فوجدني غريبا فأنكر حالى فسألني فقلت رجل غريب ضعيف فلم يصدقني وبطحني وضربنى مقارع فصحت وقلت له أنا أصدق فقال هات فقصصت عليه قصتي من أولها وحديث المنام فقال لى: أنت رجل ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كأن قائلا يقول لى ببغداد بالشارع الفلاني بالمحلة الفلانية - قال - فذكر شارعي ومحلتى فسكت

وأصغيت وأتم الشرطي الحديث فقال -: دار يقال لها دار فلان فذكر دارى واسمى وفيها بستان فيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض فخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت إليه وأنت أحمق فارقت وطنك وأهلك وجئت إلى مصر بسبب منام قال: فقوى قلبى بذلك وأطلقنى الطائف فبت في مسجد وخرجت في غد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت فيها قمقما فيه ثلاثون ألف دينار، فأخذتها ودبرت أمرى فأنا أعيش من تلك الدنانير، وكلما ابتعته منها من ضيعة وعقار إلى الآن. وجدت في كتاب أبى الفرج عبد الواحد المخزومى الخبطى، عن على ابن العباس النحو بختى قال: حدثنى أحمد بن عبد الله التغلبي قال: كان من بقايا شيوخ خراسان ممن يلزم دار العامة بسر من رأى شيخ يكنى أبا عصمة وكان يحدثنا كثيرا بأخبار الدولة وأهلها فحدثنا أن خزيمة ابن حازم كان يجلس في داره للناس في كل يوم ثلاثا فلا يحجب عنه أحد ولا يستأذن لمن يحضره إنما يدخلون إرسالا بغير إذن فمن كان من أشراف الناس ووجوهم سلم وانصرف، ومن كان من طلاب الحوائج أو خطاب التصرف دفع رقعة إلى الحاجب، وكان قد أفرد لهذا

كاتبا حصيفا يقال له الحسن بن سلمة يتصفح الرقاع قبل عرضها عليه فما كان يجوز أن يوقع فيه عنه وقع وسلمه إلى أربابه، وما كان لابد من وقوفه عليه وتوقيعه فيه بخطه عرضه عليه، وما كان من زائر ومسترفد عرضه عليه رقعته فيكون هو الموقع فيها بما يراه. ولا يكاد أن ينصرف أحد من هذا الجمع العظيم المفرط إلا وهو مسرور بقضاء حاجته. قال أبو عصمة وكان ممن يتصرف في الاعمال رجل من العرب له لسان وفصاحة يقال له حامد بن عمرو الحرانى، وكان فيه إلحاح شديد وملازمة تامة إذا تعطل فيؤذي بذلك ويبرم ولا يقنع بذلك حتى يلازم بابه في كل يوم، وإذا ركب خاطبه على الطريق وبما تعرض له في الدار الخليفة فيخاطبه ولم يكن في طبع خزيمة الاحتمال لمثل هذا. قال أبو عصمة فحدثني

الحسن بن سلمة كاتب خزيمة قال: نظر خزيمة يوما إلى هذا الرجل في داره وكان لقيه وخاطبه قبل ذلك بيوم وأضجره ووافق من خزيمة ضجرا بشئ حدث من أمور المملكة مع ما فيه من الجبروتية والكبر فحين خاطبه الرجل صاح فيه وأمر بإخرجه من داره إخراجا عنيفا ثم دعاني فقال: والله لئن دخل هذا الرجل دارى لاضربن عنقه فأخبره بذلك وحذره، وتقدم إلى البوابين والحجاب بذلك. وكان خزيمة إذا وعد أو توعد فليس إلا الوفاء فخرجت إلى البوابين والحجاب وأصحاب المقارع فبالغت في تحذيرهم وعرفتهم ما قال وأنه حلف أن يضرب أعناقهم وأكدت القصة والوصية بجهدي مستظهرا لنفسي ومضيت خارج الدار فإذا الرجل واقفا فأعلمته أن دمه مرتهن بنظرة ينظرها إليه خزيمة في دار السلطان، أو على بابه أو في بعض الطريق وحذرته تحذيرا شديدا، وخوفته بالله عزوجل في دمه أن لا يجعل لى نفسه سبيلا فشكرني على تحذيره وانصرف كئيبا. فلما أصبحنا من غد غدوة إلى دار خزيمة على رسمى في الملازمة فلما دنوت من الباب إذا بالرجل واقفا كما كان يقف منتظرا لركوبه فعظم ذلك على فقلت يا هذا: أما تخاف الله عزوجل أتحب أن تقتل نفسك، أما تعرف الرجل ؟ فقال: والله ما أتيت هذا الرجل جهلا منى ولا اغترارا بل أتيته على أصل قوى وسبب وثيق وستري من لطف الله عزوجل ما يسرك وتعجب منه. قال الحسن بن سلمة فزاد عجبى منه ودخلت الدار فصادفت خزيمة في صحن الدار يريد الركوب فحين نظر إلى قال لى ما فعل حامد بن عمرو ؟ قلت رأيته الساعة بالباب وقد تهددته فلما رأيته اليوم بالباب تعجبت من جهله وعوده مع ما أعذرت إليه من الوعيد وأمرته بالانصراف فأجابني بجواب لا أدرى ما هو فأنا برئ من فعله. فقال: بأى شئ أجابك ؟ فأخبرته فسكت خزيمة وخرج فركب فحين رآه ترجل له حامد فصاح خزيمة لا تفعل وألحقني إلى دار أمير المؤمنين قال وسرنا ودخل إلى دار أمير المؤمنين الرشيد ودخلنا معه إلى حيث جرت عادتنا أن نبلغه معه من الدار فجلسنا فيه ومضى خزيمة يريد دار الخليفة وجاء حامد فجلس

إلى فقلت: أصدقني عن خبرك والسبب في جسارتك على خزيمة ولينه لك بعد الغلظة وعرفته ما جرى بينى وبين خزيمة ثانيا فقال: طب نفسا فما أبدى لك شيئا إلا بعد بلوغ الامر. فبينما نحن كذلك إذ دعى بحامد بن عمرو وأدخل إلى حيث كان بأن موسو ما يدخل إليه من يخلع عليه فتحيرت فلم يكن بأسرع من أن خرج وعليه خلع الخليفة، وبين يديه لواء عقده له وقد ولى طريق الفرات بأسره. فقمت إليه وهنأته وقلت له: ولا الساعة تخبرني الخبر ؟ فقال ما فات شئ وودعني ومضى وأقمت بمكانى إلى أن خرج خزيمة فسرت

معه إلى داره فلما استقر فيها دعاني فسألني عن أمور من خدمته ثم قال: أظنك قد أنكرت ما جرى في أمر حامد بن عمرو ؟ قلت أي والله أيها الامير، قال فاسمع الخبر: إعلم انى كنت في نهاية الغيظ عليه فأمرت فيه بما أمرت فلما كان البارحة رأيت فيما يرى النائم كأنه قائم يصلى ورفع يديه إلى الله عزوجل يدعو على فكأنه قد وقع في نفسي أنه يريد أن يدعو على قال: فصحت به لا تفعل وادن منى فانفتل من صلاته فجاء فوقف بين يدى فقلت له ما حملك على أن تدعو على ؟ فقال لانك أهنتني واستخففت بى وأخرجتني من دارك ذليلا آيسا وأشمت بى أعدائي ووعدتني بالقتل ظلما، وقطعت أملى في طلب رزقي وقوتى، فأنا أشكوك إلى الله عزوجل، واستعينه عليك فكأني أقول له طب نفسا ولا تدع على فإنى أحسن اليك غدا وأوليك عملا واستعطفته. فعجبت من المنام، وعملت أنى ظلمت الرجل وقلت في نفسي شيخ من العرب وله سن وشرف أسأت إليه بغير جرم، وأرعبته وماذا على إذا لحح في طلب الرزق، وعلمت أن المنام موعظة في أمره وحث على حفظ النعم ولا أنفرها بقلة الشكر واستعمال الظلم واعتقدت أن أوليه كما وعدته في المنام فكان ما رأيت. قال الحسن بن سلمة: فصوبت رأيه في هذا ودعوت وانصرفت فجاءني من العشى حامد بن عمرو مسلما ومودعا ليخرج إلى عمله فقلت: هات الآن خبرك ؟ قال: نعم انصرفت من باب خزيمة موجع القلب قلقا مرتاعا فأخبرت عيالي بما جرى فكأنه في دارى مأتم عظيم، ولم أطعم أنا ولا عيالي

يومى وليلتي طعاما وأمسيت على ذلك، فلما هدأت العيون توضأت واستقبلت القبلة وصليت ما شاء الله وتضرعت إليه عزوجل ودعوته بإخلاص طوية وصدق نية وأطلت فحملتني عينى وأنا ساجد في القبلة فرأيت في منامي كأنى على حالى في الصلاة والدعاء وكأن خزيمة بن حازم قد وقف على وأنا أدعو فصاح بى لا تفعل، وعد إلى فإنى أحسن اليك وأوليك. فانتهت مذعورا، وقد قويت نفسي فقلت أبكر إليه فلعل الله عزوجل أن يطرح في قلبه الرقة لى. فغدوت إليه فكان ما رأيت فقال الحسن: فكثر تعجبي لاتفاق المنامين وقلت لحامد لقد أخبرني الامير بمثل هذا لم يخرم منه حرفا. وبكرت إلى خزيمة وحدثته الحديث وأحضر حامدا حتى سمع ذلك منه فعجب منه وأمر له بصلة وكسوة وحملان ولم يزل بعد ذلك متعهدا إكرامه ولا يتعطل * ويقارب هذا الحديث حديثان: أحدهما حدثنى به غير واحد من أهل بغداد أن عطارا من أهل الكرخ بها كان مشهورا بالستر والامانة فارتكبه دين وقام عن دكانه ولزم بيته مستترا وأقبل على الدعاء والصلاة إلى أن صلى ليلة جمعة صلاة كثيرة ودعا ونام. قال: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول اقصد على ابن عيسى وكان إذ ذاك وزيرا فقد أمرته لك بأربعمائة دينار فخذها وأصلح بها أمرك. قال: وكان على ستمائة دينار، فلما كان من غد قلت: قال النبي صلى الله وسلم: " من رأني في منامه فقد رأني حقا فان الشيطان لا يتمثل بى " فلم لا أقصد الوزير قال: فقصدته فما صرت ببابه منعت من الوصول إليه فجلست إلى أن ضاق صدري وهممت بالانصراف فخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني معرفة ضعيفة، فأخبرته الخبر فقال يا هذا: الوزير والله في طلبك منذ السحر إلى الآن، وقد سألني عنك فأنسيتك وما عرفك أحد والرسل مبثوثة في طلبك فكن بمكانك ورجع ودخل فما كان بأسرع من أن دعا بى فدخلت على على ابن عيسى فقال: ما اسمك ؟ فقلت فلان بن فلان. قال من أهل الكرخ ؟ قلت: نعم. فقال يا هذا أحسن الله جزاءك في قصدك إياى فو الله ما تهنأت بالعيش منذ البارحة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني البارحة

في منامي فقال لى: أعط فلان بن فلان العطار بالكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه فكنت اليوم طول نهاري في طلبك وما عرفك أحد. فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى البارحة في منامي فقال لى كيت كيت. قال فبكى على بن عيسى وقال أرجو أن تكون هذه عناية من رسول الله صل الله عليه وسلم بى. ثم قال: هاتوا ألف دينار فجاء بها عينا فقال خذ أربعمائة دينار امتثالا لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وستمائة دينار هبة منى لك: فقلت ما أحب أن أزداد على عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنى أرجوا البركة فيه لا فيما عداه. فبكى على بن عيسى وقال: هذه ألف دينار فخذ ما بدا لك. فأخذت أربعمائة دينار وانصرفت فقصصت قصتي على صديق لى وأريته الدنانير وسألته أن يقصد غرمائي ويخبرهم ويتوسط بينى وبينهم ففعل ذلك فقالوا: نؤخر بالمال ثلاث سنين فليفتح دكانه فقلت لاولئك تأخذون منى الثلث في كل سنة فأعطيتهم مائتي دينار وفتحت دكاني بالمائتى الباقية فما حال الحول إلا ومعى ألف دينار، فقضيت دينى كله وما زال مالى يزيد وحالى يصلح إلى الآن * والآخر حدثنى به أبو الحسن على بن يوسف الازرق التنوخى، قال: حدثنى أبو القاسم بن ماجور المنجم، قال: حججت فرأيت عند طاهر ابن يحيى العلوى بالمدينة رجلا خراسانيا كان يحج في كل سنة فإذا دخل المدينة جاء إلى طاهر بن يحيى فأعطاه مائتي دينار من ماله كانت كالجراية له منه. فلما كان سنة قبل ذلك جاء يريد داره ليعطيه المال فاعترضه رجل من أهل المدينة فسب عنده طاهرا وقال: تضيع دنانيرك التى تدفعها إليه وهذا يأخذ منك ومن غيرك فيصرفه فيما يكرهه الله عزوجل فيفعل ويصنع ؟ وتكلم فيه بكل قبيح قال الخراساني: فلما سمعت ذلك عرضت نفسي عن دفع شئ إليه وتصدقت بالدنانير وخرجت من المدينة فلم ألقه، فلما كان في العام الثاني دخلت المدينة فتصدقت بما كنت أريد أن أتصدق به وطويت طاهرا فلم أمض إليه. فلما كان في العام الثالث تأهبت للحج فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول: ويحك قبلت في ابني طاهر بن يحيى

قول أعدائه، وقطعت عنه ما كنت تبره به ؟ ! لا تفعل واقصده بما فاته ولا تقطعه عنه ما استطعت. قال: فانتبهت فزعا ونويت ذالك وأخذت صرة فجعلت فيها ستمائة دينار وحملتها معى فلما صرت بالمدينة بدأت بدار طاهر فدخلت وجلست ومجلسه حافل، فلما رأني قال يا أبا فلان: لو لم يبعث بك الينا ما جئت فتغافلت عنه، وقلت: ما معنى هذا الكلام أصلحك الله ؟ قال قبلت في قول عدو الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعدوى، وقطعت عادتك حتى لامك رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك، وأمرك أن تعطيني الستمائة دينار هاتها، ومد يده إلى فتداخلني من الدهش ما ذهلت معه. فقلت: أصلحك الله هكذا والله كانت القضية فما علمك بذلك ؟ قال: إنه بلغني خبر دخولك المدينة في السنة الاولى فلما خرج الحاج ولم تجئنى أثر ذلك في حالى. وسألت عن القضية فعرفت أن بعض أعدائنا لقيك فسبني عندك فألمني ذلك. فلما كان في الحول الثاني بلغني دخولك وأنك قد عملت على قوله في فازداد بذلك غمى، فلما كان منذ شهور ازدادت إضاقتي وامتنع النوم على غما بما دفعت إليه ففزعت إلى الصلاة فصليت ما قضى لى ودعوت الله سبحانه وتعالى بالفرج مما أنا فيه، ونمت في المحراب، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول: لا تغتم فقد لقيت فلانا الخراساني وعاتبته على قبوله فيك قول أعدائك، وأمرته أن يحمل اليك ما فاتك لسنتين، ولا يقطع عنك بعدها ما استطاع. فحمدت الله عزوجل وشكرته فلما رأيتك الآن علمت أن المنام جاء بك. فأخرجت الصرة

التي فيها ستمائة دينار فدفعتها إليه وقبلت رأسه وبين عينيه وسألته أن يجعلني في حل من قبول قول ذلك الرجل فيه. حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي الموصلي قال: كانت في شارع دار الرقيق ببغداد جارية علوية أقامت مزمنة نحو خمس عشرة سنة وكان أبى أيام نزولنا من هذا الشارع في دار شفيع المقتدرى التى كان اشتراها يتفقدها ويبرها، وكانت مسجاة لا تنقلب من جنب إلى جنب حتى تقلب، ولا تقعد حتى تقعد، وكان لها من يخدمها في ذلك وكانت فقيرة

لا قوت لها هي وخادمتها إلا مما تبرها الناس، فلما مات أبى اختل أمرها، وبلغ تجنى جارية الوزير المهلبى خبرها فكانت تقوم بأمرها، وأجرت عليها جرابة في كل شهر وكسوة في كل سنة. قال فباتت ليلة من الليالى على حالها تلك. ثم أصبحت من غد وقد برئت، ومشت، وقامت. وقعدت، وكنت مجاورا لها فكنت أرى الناس يتناوبون باب دارها فأنفذت أمرأة من دارى ثقة تعرفها حتى شاهدتها وسمعتها تقول: إنى ضجرت من نفسي ضجرا شديدا، فدعوت الله عزوجل طويلا بالفرج مما أنا فيه أو بالموت، وبكيت بكاء متصلا وبت وأنا قلقلة متألمة ضجرة وكان سبب ذلك: أن الخادمة تضجرت وخاطبتنى بما ضاق منه صدري فلما استثقلت في نومى دخل على رجل فارتعدت منه وقلت: يا هذا كيف تستحل أن تراني ؟ فقال أنا أبوك فظننته أمير المؤمنين. فقلت: يا أمير المؤمنين ما ترى ما أنا فيه ؟ فقال: أنا أبوك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبكيت، وقلت يا رسول الله: ادع لى بالعافية. قال فحرك شفتيه بشئ لم أفهمه ثم قال: هاتى يديك فأعطيته يدى، فأخذها وجذبني بهما فقمت، فقال لى: امشى على اسم الله تعالى. فقلت: كيف أمشى ؟ فقال: يديك فأخذهما وما زال يمشى وهما في يديه ساعة. ثم أجلسني حتى فعل بى ذلك ثلاث مرات، ثم قال: قد وهب الله عزوجل لك العافية فاحمديه واتقيه، وتركني ومضى. فانتبهت وأنا لا أشك أنه واقف لسرعة المنام. فصحت فظنت الجارية أنى أريد البول فتثاقلت. فقلت: ويحك اسرجى السراج فانى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم. فانتبهت المرأة فوجدتني مسجاة فشرحت لها المنام. فقالت: أرجو أن يكون الله عزوجل قد وهب لك العافية هاتى يديك فأعطيتها يدى فأجلستني. ثم قالت لى: قومي فقمت معها ومشيت متوكئة عليها ثم جلست وفعلت ذلك ثلاث مرات. الاخيرة منهن مشيت وحدي فصاحت الخادمة سرورا بالحال وإعظاما لها فقدر الجيران أنى قدمت فجاؤني فقمت ومشيت معهم. قال أبو محمد: وما زالت قوتها تزيد إلى أن رأيتها قد جاءت إلى والدتى في خف وإزار بعد أيام ولا قلبة بها فبررتها وهى باقية وهى من أصلح النساء. وأورعهن

من أهل زماننا، وقد زوجت من رجل علوى موسر وصلحت حالهها ولا تعرف الآن إلا بالعلوية المزمنة، ومضى على هذا الحديث شهور كثيرة فجرى بينى وبين أبى بكر محمد بن عبد الرحمن بن فريعة مذاكرة بالمنامات فحدثني بحديث منام هذه العلوية وقصتها وعلتها على ما حدثنى به أبو محمد بن فهد، قال: قال لى أبو بكر: أنا كنت أحمل إليها جرايتها من عند تجنى جارية الوزير أبى محمد المهلبى وكسوتها على طول السنين. وسمعت منها هذا المنام ورأيتها تمشى بعد ذلك صحيحة بلا قلبة وتجى إلى تجنى وتجنى زوجتها من العلوى، وأعطتني مالا قمت منه بتجهيزها وأمرها حتى اعرس

بها زوجها. وهى الآن من خيار النساء. قال مؤلف هذ الكتاب: وحدثني بهذا الحديث جماعة أسكن إليهم من أهل الشارع دار الرقيق بخبر هذه العلوية على مثل هذا وهى باقية إلى الآن وآخر معرفتي بخبرها في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ولا تعرف الآن إلا بالعلوية الزمني * حدثنى أبو محمد يحيى بن فهد الازدي الموصلي، قال: سمعت أبا القاسم السعدى يحدث أبى رحمه الله قال: كنت وأنا حدث السن مشغوفا بغلام لى شغفا شديدا وكنت منهمكا على الفساد، وكان ربما هجرني فأترضاه بكل ما أقدر عليه حتى يرضى (قال): وانه غضب على مرة عضبا شديدا وهرب واستتر عنى حتى لحقني من الحيرة والوله ما قطعني عن النظر في أمرى، واجتهدت في صرف ذلك عنى فلم ينصرف، وحضر وقت خروج الناس إلى الحائر على ساكنة أفضل الصلاة والسلام فكتبت رقعة أسأل الله الفرج مما أنا فيه ودفعتها إلى بعض من خرج وسألته أن يدفعها في ناحية من القبر واتت ليلة النصف من شعبان ففزعت إلى الله عزوجل في كشف ما بى، وصليت ودعوت، ثم غلبنى النوم فرأيت في منامي كأننى في مقابر قريش والناس مجتمعون فيها إذ قيل جاء الحسين بن على، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة فتشوقت لرؤيتهما، فإذا بالحسين رضى الله عنه في صورة كهل، وعليه دراعة وعمامة ومعه فاطمة عليهما السلام متنقبة بنقاب بياض، فاعترضت الحسين رضى الله عنه وقلت له يا ابن رسول الله: كتبت

اليك رقعة في حاجة لى أسألك فان رأيت ان تعمل فيها. فلم يجبنى ودخل القبة بالمدفن ودخلت فاطمة وكأن قوما قد وقفوا يمنعون الناس من الدخول اليهما. فلم أزل أتوصل إلى أن دخلت. فأعدت الخطاب عليه فلم يجبنى، فقلت يا سيدة: إنى رأيت على أن تعملي في أمرى. فقالت على أن تتوب. قلت: نعم. فقالت: قل الله. فقلت الله. فكررت على ثلاثا أومأت إلى جماعة ممن كانوا قياما ودفعت إليهم خاتما كان في يدها وكلمتهم بما لم أفهمه فحملوني حتى غبت عنهما، ثم حلوا سراويلي وشدوا ذكرى بخيط شدا قويا ثم وضعوا عى الشد طيبا وختموه بالخاتم فورد على من الالم ما أنبهني فانتبهت وأثر الخيط في الموضع، وصار أثر الختم كالجدري مستديرا حول الموضع ثم قال: ان شئت كشفت لك فأريتك فقد أريته لجماعة. فقلت إنى لا أستحل النظر إلى ذلك. قال السعدى فأصبحت من غد ولم يبق في قلبى شئ من الغلام فاشتريت الجوارى وكنت لا أنكر من جماعى شيئا. ثم طالبتني نفسي بالغلمان وغلبتني الشهوة فاستدعيت غلاما فلم أقدر عليه وبطل العضو قال فلما فارقته أنعظت، فعاودته فاسترخى. فجربت ذلك مع عدة غلمان فكانت صورتي واحدة فجددت التوبة بعد ذلك وما نقضتها إلى الآن. حدثنا أبو على الحسين بن محمد الانباري الكاتب، قال: كان ابن الفرات يتتبع أبا جعفر بن بسطام بالاذية، ويقصده بالمكاره فلقى منه في ذلك شدائد كثيرة، وكانت أم أبى جعفر محمد قد عودته مذ كان طفلا أن تجعل في كل ليلة تحت مخدته التى ينام عليها رغيفا، فإذا كان من غد تصدقت به عنه، فلما مضت مدة من أذية ابن الفرات له دخل إلى ابن الفرات في شئ احتاج إليه فيه. فقال ابن الفرات يا أبا جعفر: لك مع أمك حبر في رغيف ؟ فقال: لا. قال لابد أن تصدقني. فذكر أبو جعفر الحديث فحدثه به على سبيل التطاير بأحوال النساء فقال ابن الفرات: لا تفعل فإنى بت البارحة وأنا أدبر عليك أمرا لو تم لاستأصلتك، ونمت فرأيت في منامي كأن بيدى سيفا مسلولا، وقد قصدتك فاعترضتني أمك بيدها رغيف تترسك به منى فما وصلت اليك

[١٨٥]

وانتبهت. فعاتبه أبو جعفر على ما كان بينهما، وجعل ذلك طريقا على استصلاحه، وبذل له من نفسه ما يريده ولم يبرح حتى أرضاه وصارا صديقين. وقال له ابن الفرات: لا رأيت بعدها منى سوءا ما عشت أبدا * وروى عن محمد بن على بن يونس عن أبيه أنه كتب لرجاء بن أبى الضحاك وهو بدمشق، وان على بن إسحاق بن يحيى بن معاذ كان يتقلد خلافة خمار تكين على المعونة علي دمشق، فوثب على رجاء فقيده وقبض على جماعة من أسبابه وأمر بحبسي فحبست في يدى سجان كان جارا لى، وكان يأتيني بالخبر ساعة بعد ساعة. فدخل إلى وقال: اخرج والله رأس صاحبك رجاء على قناة، ثم جاءني وقال: قد قتل مطببه، ثم جاءني فقال: قد قتل ابن عمه، ثم جاءني فقال: قد قتل كاتبه الآخر فلان، ثم قال: الساعة يدعى بك لتقتل. فلما سمعت ذلك نالنى جزع شديد وخرج السجان وقفل الباب ودعى بى فدافع عنى وقال: مفتاح القفل مع شريكي والساعة يحضر، فنالني في تلك الساعة نعاس فرأيت في منامي كأنى ارتمطت في طين كثير، وكأني قد خرجت وما بلت قدمى واستيقظت وتأولت الفرج، وسمعت حركة شديدة فلم أشك أنها لطلبي فعاودني الجزع، فدخل السجان وقال ابشر: فقد أخذ الجند على بن اسحاق فحبسوه، فلم البث حتى جاءني الجند فأخرجوني وجاءوا بى إلى مجلس على بن اسحاق الذى كان فيه جالسا وقدامه دواية وكتاب قد كان كتبه إلى المعتصم في تلك الساعة يخبره بخبر قتله رجاء وجعل له ذنوبا ولنفسه معاذير ويسمى رجاء المجوسى الكافر. فحرقت الكتاب وكتبت بالخبر كما يجب إلى المعتصم من نفسي وما أجرى إليه على بن إسحاق وأنفذت الكتاب، ولم أزل أدبر العمل حتى تسلم منى وحمل إلى المعتصم فحبس حبسا طويلا، وأظهر الوسواس وتكلم فيه أحمد بن أبى داود فأطلق * وجدت في بعض الكتب أن المنصور استيقظ من منامه ليلة من بعض الليالى وهو مذعور لرؤيا رآها فصاح بالربيع وقال له: صر الساعة إلى الباب الذى يلى باب الشام فإنك ستصادف هناك رجلا مجوسيا مستندا إلى الباب الحديد فجئني به. فمضى الربيع مبادرا وعاد والمجوسي معه. فلما رآه المنصور قال: نعم هو هذا ما ظلامتك ؟ فقال: إن عاملك بالانبار

---

[١٨٦]

جاورنى في ضيعتي فساومني أن أبيعه إياها فامتنعت لان معيشتي منها، وقوت عيالي. فغصبني عليها. فقال له المنصور: فأى شئ دعوت به قبل أن يصل إليك رسولي ؟ قال قلت: اللهم إنك حليم ذو أناة ولا صبر لى على اناتك. فقال المنصور للربيع: أشخص إلى هذا العامل وأحسن أدبه وانتزع الضيعة من يده وسلمها إلى هذا المجوسى وابتع من العامل ضيعته وسلمها إليه أيضا ففعل الربيع ذلك كله في بعض نهار وانصرف المجوسى وقد فرج الله عنه وزاده وأحسن إليه * وجدت في كتاب حديث القاسم بن كرسوع صاحب أبى جعفر بخبره وقال: إن ابن أبى عون صاحب الشرطة قد وعد مخبره أن يجيئه للاقامة عنده والشرب مصطبحا على ستارته في يوم ثلاثاء فأبطأ عنه وتعلق قلب مخبره بتأخره فبعث غلاما له في طلبه وتعرف خبره فعاد إلى مخبره، وقال: وجدته في مجلس الشرطة يضرب رجلا بالسياط وقد ذكر أنه يجئ الساعة. فلما كان بعد ساعة جاء ابن أبى عون. فقال له أبو جعفر: قد وعدتني ببكورك وشغلتني بتأخرك فما سبب ذلك ؟ فقال إنى رأيت البارحة في منامي كانى بكرت بليل لاجيئك وليس معى سوى غلام واحد، فسرت في خراب إسحاق بن إبراهيم بن مصعب لاجئ إلى رحبة الجسر فإنى لاسير في القمر إذ رأيت شيخا بهيا نظيف الثوب وعلى رأسه قلنسوة لاطية وفى يده عكاز فسلم على وقال: إنى أرشدك

على ما فيه مثوبة لك. في حبسك شيخ مظلوم وافى البارحة من المداين في وقت ضيق فانهم أنه قتل رجلا وهو برئ من دمه وقد ضرب وحبس، وقاتل الرجل غيره وهو في غرفة وسطى من ثلاث غرف مبنية على طاق التك بالكرخ واسمه فلان بن فلان إبعث من يأخذه فانك ستجده عريان سكران وفى يده سكين مخضبة بدم، فاصنع ما ترى به وأطلق الشيخ البائس. فقمت فانتبهت فركبت وسرت حتى وافيت رحبة الجسر فقلت ما حدث في هذه الليلة ؟ فقالوا: وجدنا هذا القتيل وهذا الشيخ معه فضربناه فلم يقر فرأيت به أثر ضرب عظيم فسألته عن خبره. فقال أنا معروف بالمداين بسلامة الطريقة ومعاشي التغيح أنفذني فلان بن فلان إلى فلان بن

فلان من أهل بغداد بهذه الكتب فأخرج اضبارة فدخلت وقت العتمة أوائل بغداد فوجدت في الطريق رجلا مقتولا فخرجت ولم أدر أين آخذ فأنا على حالى إذ أدركني الاعوان فظنوني قتلته، والله ما أعرفه ولا رأيته قط، ولا أدرى من هو ولا من قتله. ولا قتلت أحدا قط وقد ضربوني وحبسوني فالله الله في دمى. فقلت قد فرج الله عنك. انطلق حيث شئت ثم أخذت الرجالة ومضيت إلى طاق التك فوجدت الغرف مصفة كما وصف الشيخ فهجمت على الوسطى فإذا رجل سكران عليه سراويل فقط، وفى يده سكين مخضبة بالدم وهو يقول أخ عليك نعم يا سيدى أنا جرحته ابن القحبة، وإن مات فأنا قتلته فأنزلته مكتوفا وبعثت به إلى الحبس وانحدرت إلى الموفق فحدثته الحديث فتعجب منه وتقدم إلى أن اضرب القاتل بالسياط إلى أن يتلف، وأصلبه في موضع جنايته فتشاغلت بذلك إلى أن فرغت ثم جئتك. حدثنى محمد بن على بن إسحاق قال: خرجت مع أبى وهو يكتب لمحمد بن القاسم الكرخي المكنى بأبى جعفر لما تقلد الموصل والديارات، وكان قد ضم إلى أبى جعفر جماعة من قواد السلطان فلما صرنا بنصيبين كان أبى قد مضى وأنا معه إلى أبى العباس أحمد بن كشمرد مسلما عليه فتحدثا فسمعته يحدثه قال: لما أسرني أبو طاهر القرمطى فيمن أسره بالهبير فحبسني، وأبا الهيجاء، والغمر في ثلاث حجر متقاربة ومكننا من أن نتزاور ونجتمع على الحديث فمكن أبا الهيجاء خاصة واختص به وعمل على إطلاقه وشفعه في أشياء فسألت أبا الهيجاء أن يسأله إطلاقي فوعدني واستدعاه القرمطى. فمضى إليه وعاد إلى حجرته فجئت وسألته هل خاطبه فدافعني فقلت لعلك أنسيت فقال: لا والله ولوددت أنى ما ذكرتك له إنى وجدته متغيظا عليك. فقال والله لاضربن عنقه عند طلوع الشمس في غد، ورحل أبو الهيجاء فورد على أمر عظيم وعدت إلى حجرتي وقد يئست من الحياة فلما كان في الليل رأيت في منامي كأن قائلا يقول لى اكتب في رقعة " بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل،

إلى المولى الجليل، مسنى الضر والخوف وأنت أرحم الراحمين. فبحق محمد وآل محمد اكشف همى، وحزني وفرج عنى ". واطرح الرقعة، في هذا النهر وأومأ إلى ساقية كانت تجرى هناك في المطبخ فانتهت من نومى وكتبت الرقعة وطرحتها في الساقية فلما كان السحر استدعاني القرمطى فلم أشك أنه القتل. فلما دخلت إليه أدناني وأجلسني وقال: قد كان رأيى فيك غير هذا إلا أنى قد رأيت تخليتك فخرجت فإذا على الباب راحلة ورجل يصحبني فركبت ودخلت البصرة سالما ولحقت أبا الهيجاء بها فدخلنا معا إلى بغداد * وقال أبو الحسن على ابن زكى. قال: كنت مع صاحبي عيسى

البوسرى وكان مضافا لمحمد بن سلمان الكاتب على حرب الطولونية إلى أن افتتحت مصر فتقلد قال: قال عيسى خرج يوما محمد بن سليمان إلى ظاهر الفسطاط فانتهى به السير إلى قبة كانت لاحمد ابن طولون يقال لها قبة الهواء مطلة على النيل وعلى البر فجلس فيها ومعه الحسين ابن حمدان، وجماعة من القواد ثم قال: الحمد لله الذى بيده الامر كله يفعل ما يشاء. فقال له: الحسين بن حمدان لا شك أن تجديدك الحمد لامر ؟ قال: نعم. وهو عجيب ظريف ذكرته الساعة وهو أنى نزعت إلى مصر وأنا في حال رثة في زى صغار الاتباع فضاق على المعاش بها فاتصلت بلؤلؤ الطولونى فأجرى على دينارين في كل شهر، وصيرني مشرفا في اصطبله على كراعه فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهى جيدا ولا أقدم على الوقوف بين يديه، فلما كان بعض الايام أحضرني فقال: ويحك من أين يعرفك الامير ؟ يعنى: أحمد بن طولون. فقلت: والله ما رأني قط ولا وقعت عينه على إلا في الطريق ولا محلى محل من يتصدى للقائه. فقال دعاني الساعة وهو في قبة الهواء فقال: معك رجل أشقر أشهل يقال له محمد بن سليمان. فقلت: ما أعرفه فقال: بل هو في جنبتك فأبعده عنك فإنى رأيته البارحة وفى يده مكنسة يكنس دارى بها. فتوق ويحك ولا تتعرف إلى أحد من حاشيته وأقرنى على أمرى فامتثلت أمره ومضت لهذا الحديث شهور ثم دعاني ثانية فقال: ويحك ماذا بليت به منك وبليت أنت به من هذا الامير دعاني بعدة من أصحاب الرسائل

فوافيته وأنا في غاية الوجل فقال: أليس أمرتك بصرف محمد بن سليمان الازرق الاشقر. فقلت: قد عرفتك يا سيدى أنى ما استخدمت من هذه سبيله. ولا وقعت لى عليه عين. فقال لى: كذبت وهو معك في اصطبلك فاخرجه عن البلد الساعة، فانى رأيته في النوم أيضا وفى يده مكنسة وهو يكنس بها سائر دورى وحجرى ونسأل الله الكفاية. فقلت للؤلؤ أي ذنب لى يا سيدى في الاحلام ؟ فقال لى صدقت فاستتر إلى أن يتناسى الامير ذكرك وكان يجرى على رزقي في كل شهر وأنا لا أعمل شيئا فلما تهيأ من إنفاذ لؤلؤ إلى الشام ما تهيأ نهضت معه وتخلف عنه كتابه لما كانوا علموا من تغيير حاله عند صاحبه فادنانى وقربني واجري على عشرة دنانير في كل شهر وحملنى على دابة فلزمت خدمته ولقيته واستحمدت إليه فزادني من رأيه ولم ينتبه أحمد بن طولون من استيحاش لؤلؤ فكتب له بالرجوع إلى مصر، فشاورني فأشرت إليه بالانحدار إلى نواحى ديار مصر وأخذ كل ما استخف نيله من المال. ولم أترك غاية إلا أتيتها في تضريته وتأليبه حتى أوردته مدينة السلام. ثم تقلبت بى الاحوال في خدمة السلطان وخدمة الدولة وتوفى أحمد بن طولون وحبس ابنه وقتل أبو الجيش وتولى بعدهم هارون بن خماروية بن أحمد وضم لى القواد والرجال وكان فيهم لؤلؤ صاحبي وكان أصغرهم حالا، فلم أقصر في صلاح حاله والاحسان إليه ومعرفة حقه فلم ادن من الشام حتى تلقاني بدر الحمامى مطيعا، وتلاه طغج بن حف مسرعا وصرت إلى مصر فلما شارفتها وثب شيبان بن أحمد بن طولون ومن معه من جند مصر فقتلوا هارون وتولى شيبان الامر أياما وانثال إلى القواد في الامان ولحق بهم شيبان وتخلف الرجالة وقطعة من الفرسان، وأظهروا الخلاف فأوقعت بهم وأفنيتهم قتلا وأسرا، ودخلت الفسطاط عنوة وحويت النعم والمهج واشخصت الطولونية من البلد إلى الحضرة حتى لم يبقى فيها منهم أحد وصح بذلك منام أحمد بن طولون فسبحان الذى ما شاء فعل، وإياه نسأل خير ما تجرى به أقداره، وأن يختم لنا بخير رحمته.

حدثنى أبو الفرج عبد الواحد بن نصر الكاتب المعروف بالببغاء قال: اعتللت بحلب علة خف منها بدنى كله فكنت كالخشبة لا أقدر أن أتحرك، ونحل جسمي وتقلبت في إغلال متصلة متضادة وأنا من هذا ألقى خلف فراش ثلاث سنين متواليات وآيس الاطباء من برئى، وقطعوا مداواتي وكان لى صديق يعرف بأبى الفرج بن دارم من أهل بلدي يعنى نصيبين مقيم بحلب يلازم عيادتي وكان لفرط اغتمامه بى وان الاطباء أيسوا منى يظهر لى حزنا يؤلم قلبى ويؤيسني من نفسي ويجاوز ذلك إلى التصريح لى باليأس. وتوطيني ثم تعدى هذا إلى أن صار لا يملك دمعته إذا خاطبني فضعفت عن تحمل ذلك، وتضاعفت به علتى وخارت معه قوتي فاعتقدت أن أقول لغلامي أن يترصده فإذا جاء ليدخل علي قال له عنى أنى لا أستحسن حجابه، وإن علتى قد تضاعفت بما أشاهده واسمع من خطابه، ويسأله أن ينقطع عنى أو يقطع مخاطبتي بما فيه إياسى، وقررت عزمى على ذلك في ليلة من الليالى ولم أخاطب به غلامي. فلما كان في صبحة تلك الليلة باكرنى ابن أبى دارم فحين وقعت عينى عليه تثاقلت به خوفا من أن يسلك معى مذهبه، وهممت أن أفتتح مخاطبته بما كنت عزمت على مراسلته به فسبقني بأن قال لى: قد جئتك مبشرا فقلت بماذا ؟ قال: رأيت البارحة كأنى بالرقة والناس يهرعون إلى زياة قبور الشهداء. فقال أبو الفرج: وهم ممن قتلوا مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بصفين منهم عمار بن ياسر رضى الله عنه، وحملوا إلى ظاهر الرقة فدفنوا بها والحال في ذلك مشهور والقبور إلى الآن مغشية معمورة، فقال ابن أبى دارم: ورأيت كأن أكثر الناس مطيفون بقبة فسألت عنها. فقيل لى: قبر عمار بن ياسر. فقصدتها وأطلعت فيها فإذا القبر مشكوف وفيه رجل شيخ جالس بثياب بيض وفى رأسه ضربات بينة دامية، وعلى لحيته دم والناس يقولون: هذا عمار بن ياسر. وكأني سلمت عليه والناس يسألونه فيجيبهم. فلحقتني حيرة ولم أدر عما اسأله. فقلت يا سيدى: لعلك عارف بأبى الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومى المعروف بالببغاء قال: أنا عارف به. قلت: أتعرف ما به من الجهد والبلاء بالعلة الطويلة ؟ فقال: نعم. قلت: أفيعيش

ويبرأ أم لا ؟ فقال: يعيش ويبرأ، ولكن أنت لك ابن الحذر عليه من علة تلحقه قريبا واستيقظت. قال: وأخذ يهنيني بالعافية ويقول قد سرنى لك ما جرى، ولكن قد أوحشني في أمر ابني فاسأل الله الكفاية. قال أبو الفرج وكان للرجل ابن عمره نحو الثلاثين سنة وهو في الحال معافى فلما مضت خمسة أيام من الرؤيا حم الفتى فقويت نفسي في صحة المنام وما مضت إلا أيام يسيرة حتى مات الفتى وأدبر مرضى، ولم تزل العافية تتزايد إلى أن قويت وعاودت إلى عادتي بعد مدة قريبة * وجدت في بعض الكتب أنه لما اشتدت الحرب بين الاسكندر وبين دار ابن دارا استظهر دارا عليه فأشرف الاسكندر على الهلاك وآيس من النصر وحال المساء بينهما فانصرف الاسكندر إلى معسكرة قلقا مغموما متحيرا مهموما عامة ليلته ثم نام فرأى في منامه كأنه صارع دارا فصرعه دارا، فانتبه وقد زاد همه وغمه فقص رؤياه على بعض فلاسفته. فقال: إبشر أيها الملك بالغلبة والنصر وإنك تملك على دارا الارض لانك كنت قلبها لما صرعك. فلما كان بعد أيام يسيرة انهزم دارا وقتل وجاؤا برأسه إلى الاسكندر وملك ممالكه. قال مؤلف هذا الكتاب رحمه الله: ومثل هذا مشهور في روايات أصحاب السير والاخبار أن عبد الله بن الزبير رأى في منامه كأنه صارع عبداللك بن مروان فصرع عبد الملك وسمره في الارض بأربعة أوتاد فأرسل راكبا إلى البصرة وأمره أن يلقى ابن سيرين ويقص الرؤيا عليه ولا يذكر له من أنفذه ولا يسمى عبد الملك، فسار الراكب

حتى أناخ بباب ابن سيرين فقص عليه المنام فقال له ابن سيرين من رأى هذا ؟ فقال: أنا رأيته في رجل بينى وبينه عداوة. فقال ليس هذه رؤياك هذه رؤيا ابن الزبير، أو عبد الملك ابن مروان أحدهما في الآخر فسأله الجواب. فقال: ما أفسرها أو تصدقني فلم يصدقه فامتنع من التفسير وانصرف الراكب إلى ابن الزبير فأخبره بما جرى. فقال له: أرجع إليه فاصدقه إنى رأيتها في عبد الملك. فرجع الراكب إلى ابن سيرين برسالة ابن الزبير فقال له: قل له أيها الامير عبد الملك يغلبك

على الارض، ويلى هذا الامر من ولده لصلبه بعده أربعة بعدد الاوتاد التى سمرته بها في الارض * قال: وحدثني أبو القاسم الحسين بن بشر الادمدى الكاتب المقيم بالبصرة إلى أن مات بها قال: لما سعى أبو أحمد طلحة بن الحسين بن المتنبي مع جيش أبى القاسم بن أبى عبد الله اليزيدى في أن يقبضوا عليه ويحبسوه عند أبى أحمد وأن يرد المطيع لله أو جيش له بالبصرة فيملكوها ويتسلموا منه أبو القاسم اليزيدى وكانت القصة مشهورة في ذلك، فبلغتني فخلوت بأبى أحمد وكنت أكتب له حينئذ وكان لا يحتشمني في أموره ونبهته على هذا الرأى، وعرفته وجوه الغلط عليه، والغلط في ذلك والمخاطرة والغدر بدمه ونعمته وهو غير قابل لمشورتي إلى أن أكثرت عليه. فقال لي: إعلم أنى رأيت رؤيا وأنا بها واثق في تمام ما شرعت فيه من القبض على هذا الرجل. فعجبت من نفسي في رجل يخالف الحزم الظاهر، والرأى الواضح من أجل منام ثم قلت له: ما الرؤيا ؟ قال: رأيت كأن حية عظيمة قد خرجت على من حائط هذا العرض. قال: وكان جالسا في عرض ذكره قال: وكأني قد رميتها فأثبتها في الحائط فذكرت تأويل ابن سيرين لمنام ابن الزبير وقص المنام الذى ذكرته. قال فسبق إلى قلبى تأويل منام أبى أحمد أنه قد أثبت عدوه في حائطه وأنه سيغلبه على البلد. فأمسكت وقطعت الكلام. فما مضت مدة يسيرة حتى شاع التدبير وصح الخبر عند القاسم اليزيدى فبادر بالقبض على فائق الاعسر، وكان هو الذى ندبه أبو أحمد للقبض على اليزيدى، وأن يكون أمير البلد إلى أن يرد جيش الخليفة فقرره فأقر بالخبر على شرحه فقبض أبو القاسم على أبى أحمد بعد قبضه على فائق بيومين أو ثلاثة أيام فاستصفاه وأهله وولده ثم قتله بعد ذلك بأيام. بلغني عن إبراهيم بن المهدى أنه قال: كنت في جفوة شديدة من أخى الرشيد أثرت في جاهى، ونقصت حالى وأفضيت معها إلى الاضافة بتأخر رزقي وظهور اطراحه إياى، واختلت لذلك ضيعتي، وركبني دين فادح فبلغ منى القلق بذلك والفكر فيه ليلة من الليالى مبلغا شديدا، ونمت فرأيت في منامي

كأنى واقف بين يدى المهدى وهو يسألنى عن حالى وأنا أشكو إليه ما نكبنى به الرشيد وأنهيت حالى إليه وأقول: ادع عليه يا أمير المؤمنين فكأنه يقول: اللهم أصلح ابني هارون. يكررها فكأني أقول له يا أمير المؤمنين: أشكو اليك ظلم هارون لى واسألك أن تدعو عليه فتدعو له. فقال لى: وما عليك إذا أصلحه الله لك وللكافة أن يبقى على حاله هو ذا أمضى إليه الساعة وآمره أن يرجع لك ويقضى دينك ويوليك جند دمشق فكأني أومى إليه بسبابتي وأقول له دمشق. دمشق استقلالا لها ؟ ! فكأنه يقول حركت مسبحتك استقلالا لدمشق انها رؤيا. وكيف قل حظك منها كان في العاقبة أجود لك. فانتبهت وأحضرت مؤدبا كان لى في أيام المهدى فسألته

عن المسبحة فقال: كان عبد الله بن العباس يسمى السبابة بالمسبحة فما سبب سؤالك أيها الامير عنها ؟ فقصصت عليه الرؤيا وأمتنع النوم عنى، فأخذ يحدثنى وأنا جالس في فراشي إذ جاءني رسول الرشيد فارتعت له ارتياعا شديدا ولم أعبأ بالمنام، وخفت أن يكون يريدنى بسوء يوقعه بى فخفت وقلت أدافعه إلى أن تطلع الشمس ثم أدخل عليه نهارا فان كان أراد بى غيلة لم تتم. فتقاطرت رسله حتى أعجلوني عن الرأى واضطروني إلى الركوب في الحال فدخلت عليه وأنا شديد الجزع، وهو جالس في فراشه ينتحب فلما رأني قال سألتك بالله يا أخى هل رأيت الليلة في منامك شيئا ؟ قلت: نعم. الساعة رأيت المهدى فلما قلت له ازداد بكاؤه. ثم قال ويحك: بالله شكوتني إليه وسألته أن يدعو على. قلت كان ذلك، ولكنه قال: كذ، وكذا. وشرحت عليه ما قال. فقال: والله الساعة جاءني في منامي فقص على ما ذكرت. وقد وفى بعهده، والله لامتثلن أمره ولاصلن رحمى منك، كم دينك ؟ قلت: كذا. وكذا. فأمر بقضائه وقال: لا تبرح حتى أصلى وأعقد لك على دمشق. فانتظرت حتى وجبت الصلاة فاستدعاني فأظهر تكرمتي، وعقد لى لواء على دمشق، وأمر الناس فصاروا معى إلى منزلي فعاد جاهى وصلحت حالى * وقال: حدثنى أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد، قال: حدثنى أبو الحسين

عبد الواحد بن محمد الحصبى، قال: حدثنى أبو الفضل ميمون بن مهران، قال: حدثنى موسى بن عبد الملك، قال: رأيت في منامي وأنا في الحبس قائلا يقول هذه الابيات: لازلت تعلو بك الجدود * نعم وحفت بك السعود ابشر فقد نلت ما تريد * بيد أعدائك المبيد لم يمهلوا ثم لم يقالوا * والله يأتي بما يريد فاصبر فصبر الفتى حميد * واشكر ففى شكرك المزيد فانتبهت وقد طفئ السراج فطلبت شيئا حتى كتبت الابيات على الحائط وأصبحت وقد قويت نفسي وأطلقت بعد مدة يسيرة. وقال: وذكر المدايني في كتابه " الفرج بعد الشدة والضيقة " قال: توبة العنبري: اكرهني يوسف بن عمر على العمل، فلم رجعت حبسني حتى لم يبق في رأسي شعرة سوداء فأتاني آت في منامي وعليه ثياب بيض فقال يا توبة: أطالوا حبسك ؟ فقلت: أجل. فقال: سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ثلاثا، فاستيقظت فكتبتها، ثم توضأت وصليت ما شاء الله، ثم جعلت أدعو حتى وجبت الصلاة للصبح. فصليتها فجاء حرسي فقال: أين توبة العنبري، ثم حملني في قيودي وأنا أتكلم بهن فلما رأني يوسف بن عمر أمر بإطلاقى. قال توبة العنبري: وكنت علمتها وأنا في السجن رجلا فقال لى: لم ادع إلى عذاب قط فقلتهن إلا خلى عنى. فجئ بى يوما إلى العذاب فجعلت أتذكرها ولا أذكرها حتى جلدت مائة سوط، ثم ذكرتهن بعد فدعوت بهن فخلى سبيلى * وروى المدايني أيضا في كتابه عن أبى المثنى على بن القاسم، قال: حدثنى رجل، قال: رأيت في أيام الطاعون في المنام أنهم أخرجوا من دارى اثنتى عشرة جنازة، وأنا وعيالي اثنا عشر نفسا فمات عيالي وبقيت وحدي فاغتممت فضاقت على الارض، فخرجت من الدار ثم رجعت من الغد فإذا لص قد دخل ليسرق فطعن في الدار، فخرجت جنازته منها فسرى عنى ما كنت فيه ووهب الله عزوجل السلامة.

وذكر القاضى أبو الحسن في كتابه " كتاب الفرج بعد الشدة ": أن وهب ابن منبه قال أملقت حتى قنطت أو كدت فأتاني آت في منامي ومعه شبيه بالفستقة فدفعها إلى وقال: افضض فضضتها فإذا

فيها حرير فقال: انشرها فنشرتها فإذا هي ثلاثة أسطر ببياض. الاول: لا ينبغى لمن عرف من الله عدله. الثاني أو عقل عن الله أمره. الثالث: إن يستبطئ الله في رزقه. قال فأعطاني الله عزوجل بعدها فأكثر * وذكر الواقدي أنه قال: ضقت ضيقة شديدة، وهجم شهر رمضان وأنا بغير نفقة، فضاق ذرعي لذلك فكتبت إلى صديق لى علوى أسأله أن يقرضنى ألف درهم فبعث إلى بها في فنشرتها فإذا هي ثلاثة أسطر ببياض. الاول: لا ينبغى لمن عرف من الله عدله. الثاني أو عقل عن الله أمره. الثالث: إن يستبطئ الله في رزقه. قال فأعطاني الله عزوجل بعدها فأكثر * وذكر الواقدي أنه قال: ضقت ضيقة شديدة، وهجم شهر رمضان وأنا بغير نفقة، فضاق ذرعي لذلك فكتبت إلى صديق لى علوى أسأله أن يقرضنى ألف درهم فبعث إلى بها في كيس مختوم فتركتها عندي، فلما كان عشى ذلك اليوم وردت على رقعة صديق لى يسألنى إسعافه لنفقة شهر رمضان بألف درهم، فوجهت بالكيس إليه بخاتمه، فلما كان من الغد جاءني صديقى الذى اقترض منى والعلوي الذى اقترضت منه فسألني العلوى عن خبر الدراهم. فقلت صرفتها في المهم، فأخرج الكيس بختمه وضحك وقال: اعلم أنه قرب هذا الشهر وما عندي إلا هذه الدريهمات فلما كتبت إلى وجهت بها إليك، وكتبت إلى صديقنا هذا أقترض منه ألف درهم فوجه إلى الكيس فسألته عن القصة فشرحها لى. وقد جئناك لنقسمها وإلى أن تنفقها يأتي الله عزوجل بالفرج قال الواقدي فقلت لهما: لست أدرى أينا أكرم واقتسمناها ودخل شهر رمضان فانفقت أكثر ما حصل لى منها، وضاق صدري فجعلت أفكر في أمرى فبينما أنا كذلك إذ بعث إلى يحيى بن خالد البرمكى في سحرة يومى فقال لى يا واقدى: رأيتك البارحة فيما يرى النائم وأنت على حال دلتني أنك في غم شديد وأذى فاشرح لى أمرك، فشرحت له إلى أن بلغت إلى حديث العلوى وصديقي والالف درهم فقال والله لا أدرى أيكم أكرم وأمر لى بثلاثين ألف درهم ولهما بمثلها وقلدنى القضاء. (انتهى الجزء الاول من كتاب الفرج بعد الشدة) (ويليه الجزء الثاني أوله الباب السابع)

مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية